

كشَفُ الْأَسْرَارِ
فِي

حِكْمِ الطُّبُورِ وَالْأَفْئِدَةِ

لِلْعَلَّامَةِ عِزِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَسَايِمِ الْمُقَدِّسِي
(٦٧٨ هـ)

مَقَقَه دَسَن عَلِيَه

عَلَّامَةُ عِزِّ الدِّينِ

دار الفخيلة

دار الفضيحة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة، القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة ٧١ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات، دبي - ديرة - ص ب ٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

وكيلنا في المملكة المغربية،

دار الإحصاء

للطباعة والنشر والتوزيع

الرسماني بجزر الكناري

35 - 33 الشارع الملكي (الأحياس) - الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39

جميع الحقوق محفوظة للنّاشِر





مقدمة المحقق

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ، وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ ، فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وبعد :

فمن العبادات المهمة في الإسلام التفكير في مخلوقات الله
سبحانه وتعالى ومحاولة البحث عن خصائص تلك المخلوقات ليكون
الإقرار بالعبودية لله الواحد الأحد عن دراية و يقين صادق عملاً
بقوله عزّت قدرته : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى
جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا
بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) .

فعالم الحيوان عالم رحيب جداً كرحابة الأكوان العلوية ، ومن
يسرّح الطرف في خصائص الحيوانات وتكوينها وتصوّر مراحل حياتها
وخدماتها الجلى لبني البشر ، وكيف إنها تتزاوج وتتناسل ، وتعتنى
بأولادها ، وتتفاهم فيما بينها وهي عجماء (٢) ، وتكسب رزقها ،

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩١ . (٢) لا تنطق .

وتميز الحيوان الذى يناصرها العداء من الذى لا ضرر منه ، وكيف
تُهاجر من قطر لآخر طلباً للرزق أو المناخ الملائم ، ثم تعود إلى
مواطنها الأصلية فى الوقت المناسب بدون أن يختلف عليها الزمن
أو تخفى عليها المعالم .

فمن ذا الذى يتدبر هذه الأمور ولا يقف عندها مبهوراً أمام
عظمة البارئ المصور جلّت قدرته ؟ ثم لا يهتف قائلاً :
فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

قال الجاحظ : « من علم البعوضة أن من وراء ظاهر جلد
الجاموس دماً ، وأن ذلك الدم غذاء لها ، وأنها متى طعنت فى ذلك
الجلد الغليظ الشديد الصلب أن خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة ،
ولو أن رجلاً منّا طعن جلده بشوكة لانكسرت الشوكة قبل أن تصل
إلى موضع الدم ... والذى سخر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس
هو الذى سخر قمقم النحاس لإبرة العقرب » . انتهى .

إلهى قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك ،
وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك ، وانحسرت الأبصار دون
النظر إلى سبحات وجهك ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك
إلا بالعجز عن معرفتك ، فاهدنا يا أرحم الراحمين ، صراطك المستقيم
واشمل برحمتك من قال :

فِيكَ يَا أَعْجُوبَةَ الْكَوْنِ غَدَا الْفِكْرُ كَلِيلًا
أَنْتِ حَيَّرْتِ ذَوِي اللَّحْيِ وَبَلَبَلْتِ الْعُقُولَا
كُلَّمَا قَدَّمَ فِكْرِي فِيكَ شِبْرًا فَرَّ مِيلًا
نَاكصًا يَخْبِطُ فِي عَشْوَاءٍ لَا يُهْدَى سَبِيلًا

من خلال بحثي في تراثنا من عدة سنوات ، عثرت على مخطوط
لعالم من علماء القرن السادس الهجري ، وهو ابن غانم المقدسي .
ولقد جذبني هذا المخطوط جذباً شديداً ، لما يتحلى به من
أسلوب أدبي وعظمي راق ، وظننت أنه من مؤلفات الإمام ابن الجوزي
- رحمه الله - ولكن بعد بحث لا يعرف الملل ، ثبت لي أنه من
مؤلفات ابن غانم المقدسي ، وعذري في هذا الظن هو الشبه الشديد
بين أسلوب ابن غانم وأسلوب ابن الجوزي ، ولأنه أول كتاب لابن
غانم أطلع عليه ، والحق أني اكتشفت أن ابن غانم على قلة مؤلفاته
صاحب شخصية أدبية لا تپال .

وها أنا أقدم لك أخي القارئ هذا الكتاب الجيد المفيد ، راجياً
من الله - عز وجل - أن تنتفع به .
والله أسأل أن يرزقني حسن النية وسلامة القصد ، وأن يجمع
لي بين صلاح الدنيا والآخرة .

عبد الوهاب محمد

* * *

ترجمہ المؤلف

هو عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين ، عز الدين أحمد الأنصاري الشافعي المقدسي .
اشتهر بابن غانم المقدسي ، ولقب بعز الدين ، وكنى بأبي محمد ،
حكيم ، صوفي ، واعظ .

نشأ في القدس في بيت مشهور بالتقى والصلاح وطلب العلم ،
فجده هو الشيخ غانم بن علي المقدسي . كان قدوة وسيداً من سادات
المشايع وأعيانهم وأعلمهم بطريق القوم ، وكان له زاوية باسمه في
قرية بورين من عمل نابلس .

وأبوه هو الشيخ أحمد بن غانم أبو العباس الأنصاري المقدسي .
كان شيخاً جليلاً منقطعاً عن الناس ، مشغلاً بأوراده وأذكاره
وتلاوته ، لا يضيع أوقاته في شيء من أمور الدنيا ، ولا يتطلع إلى
مشيخة أو رئاسة أو منصب .

وعمه هو عبد الله بن غانم أبو محمد الأنصاري المقدسي .
كان من أعيان المشايخ مشهوراً بالخير والعبادة ومكارم الأخلاق ،
وكان له زاوية معمورة في نابلس .

وابن غانم المقدسي هو الواعظ المُنْطَبِق ، الشاعر الفصيح المفلق ،
الذي نسج على منوال ابن الجوزي وأمثاله ، وهو أحد المبرزين في
الوعظ والنظم والنثر في وقته ، ذُكر أنه عمل مجلساً بدمشق ،
فارتجل فيه خطبة مطلعها :

(الحمد لله الذي ملأ الوجود جوداً وإحساناً ، وأسبغ على
كل موجود من سوابغ نِعَمِهِ سرّاً وإعلاناً) ، وقد أورد خلال خطبته
هذه مقطعات من شعره تتغنّى بالحب الإلهي تثير الوجد والحنين ،
وتأخذ بمجامع القلوب .

وقد أورد له الكُتَّابُ أشياءَ حسنة كثيرة مليحة ، وكان له قبول عند الناس ، ذُكِرَ أنه حَجَّ مرَّةً ، فتكلم تجاه الكعبة المعظَّمة ، وكان في الحضرة تاج الدين الفزارى من الشام ، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد من مصر ، وابن العُجَيل من اليمن ، وأمير مكة وغيره ، فارتجل خطبة أولها :

(الحمد لله ذى القدرة التى لا تضاهى ، والحكمة التى لا تتناهى ، والقسمة التى لا يضيق خلقٌ أن يتعدها ، الذى تعزَّز فى أزليته فلا يعرف الأول أُولاهَا ، وتسرمد فى أبدِيَّتِه فلا يدرك الآخِرُ أخراها) .
وكانت وفاته - رحمه الله - بالقاهرة فى شوال من سنة (٦٧٨ هـ) ، وقبل وفاته كتب يقول :

إلهى أنت قلت ، وقولك الحق : أنا عند ظن عبدى بى ، فليظن بى ما شاء ، فأنت على لطفك دللتنى ، وفى جنب جودك أطعمتنى ، وإلى كرم حرمك أوصلتنى ، فقد حَسُن بك ظنّى ، على ما كان منّى ...) إلى أن قال : (إلهى أنت أمرتنا بالوصيَّة ، عند حلول المنية ، فقد تهجَّمت عليك ، وجعلت وصيتى إليك ، عند قدومى عليك ... إلخ) .

مِنْ تَصَانِيفِهِ :

١ - الروض الأنيق فى الوعظ الرشيق - رسالة لطيفة فى الوعظ : توجد منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٤) .

٢ - حل الرموز ومفاتيح الكنوز :

وتوجد منه نسخ خطية كثيرة فى دار الكتب المصرية منها :

- ٩٩ ص خط ٩٤١ هـ (تصوف تيمور ٣٥٠) .

- ٧٠ ق خط ١٠٥٥ هـ (تصوف ٤٢٨١) .

- ١٠٠ ص خط ١٠١٨ هـ (تصوف تيمور ٢٨٦) .

- ٣٩ ق خط ١١١٧ هـ (تصوف ٦٣) .

٣ - الحديث النفيس في تفليس إبليس : وهى مناظرات له مع الشيطان ، وتوجد منه عدة نسخ خطية فى دار الكتب المصرية منها :

- ٣٣ ق خط ١١٤٣ هـ (تصوف ٣١٩) .

- ١٦ ق خط ١٠٨٣ هـ (تصوف ٣١٩٥) .

- ١٠ ق (الزكية ٤٠٨) .

٤ - الفتوحات الغيبية فى الأسرار القلبية .

٥ - كشف الأسرار ، ومناقب الأبرار ، ومحاسن الأخيار .

٦ - طُرُق الوسائل وتملُّق السائل .

٧ - شرح حال الصحابة والأولياء .

٨ - مفاخرة الأزهار والنباتات الناضرات ، ومجاهدة الأطيار

والجمادات الناطقات : توجد منها نسخة خطية فى دار الكتب

المصرية ، كتبت سنة ١٨٤٠م بخط المستشرق يوحنا بن

يوسف وارسى الفرنسى ، وهى تحت رقم (١٥٨٦) وتقع

فى (٧٧) ورقة .

٩ - نزهة اللواحق فى العبر والمواعظ .

١٠ - الأجوبة القاطعة لحجّ الخصوم الواقعة فى كل العلوم .

١١ - الشجرة فى التصوف .

١٢ - رسالة فى شرح حديث : « السبعة الذين يظلّهم الله تعالى

فى ظلّ عرشه » .

١٣ - إفراد الأخد عن أفراد العدد - رسالة لطيفة .

* * *

مَصَادِرُ التَّرْجَمَةِ :

- الأعلام للزركلى (٣٣٥/٣) .
- كشف الظنون (١٤٨٥/٢) .
- هدية العارفين (٥٧١/١) .
- البداية والنهاية (٢٨٩/١٣) عند دخول سنة ٦٧٨ هـ .
- شذرات الذهب (٣٦٢/٥) .
- معجم المؤلفين (٢٢٣/٥) .
- مرآة الجنان (١٩٠/٤) .
- إيضاح المكنون (٢٤٦/١ ، ٨٤/٢) .

* * *

هَذَا الْكِتَابُ

كتاب (كشف الأسرار) من الكتب الأدبية الوعظية الممتعة جداً . وهو عبارة عن محاورات نثرية وشعرية بين الطيور والأزهار وابن غانم ، القسم الأول منها في إشارات الأزهار ، والقسم الثاني في إشارات الطيور ، والقسم الثالث في إشارات الحيوانات .

وكان هدف المؤلف من تأليف هذا الكتاب هو توجيه الوعظ لأبناء جنسه من البشر وحثهم على الفضائل الأخلاقية وذلك على لسان الطيور تارة والأزهار تارة أخرى . وهذا أسلوب رائع اهتدى إليه المؤلف لمعرفته بطبيعة النفس البشرية الملولة النافرة للوعظ والإرشاد المباشر . وسوف يلمس القارئ من خلال تصفحه لهذا الكتاب مدى عبقرية ابن غانم الأدبية التي تميز بها ، والتي تذكرنا بأسلوب الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - .

واستخدم ابن غانم في كتابه جميع أساليب المحسنات البديعية من مجاز ، وكناية ، وجناس . كما استخدم أسلوب التلميح الجيد لتوصيل ما يريد ، مقتبساً من آيات القرآن الكريم .

وقد اختلف عنوان الكتاب في المخطوطات التي اعتمدت عليها :

- ففي نسخة دار الكتب كان العنوان : كتاب المختار لكشف الأسرار في مناقشة الطيور والأزهار .

- وفي نسخة مكتبة طلعت كان العنوان : كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار .

- وفي نسخة مكتبة نجم الدين كان العنوان : كشف الأسرار في لغة الطيور والأزهار .

- وفي النسخة المطبوعة كان العنوان : كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار .

- وفي البداية والتهاية وغيره من المراجع : كشف الأسرار عن الحكم المودعة في الطيور والأزهار .

- وفي نسخة جامعة كمبرج : كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار .

وقد رجحت اسم (كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار) لأنه أفضلهم وأصحهم ، ولأنه ورد على أكثر النسخ الخطية الموجودة للكتاب ، وكذا في باقي المراجع التي أشارت للكتاب .

وقد طُبِعَ كتاب (كشف الأسرار) - على حسب علمي - ثلاث طبعات :

١ - طبع بمصر سنة (١٢٧٥ هـ) طبعة حجر لصاحبها يوسف بير ، بحثت جاهداً عن هذه الطبعة فلم أتمكن من العثور عليها .

٢ - طبع بمصر سنة (١٣٣٠ هـ) في المطبعة الحسينية المصرية على نفقة عبد الفتاح أفندي أحمد صاحب مكتبة الكمال بشبين الكوم . والحمد لله عثرت على هذه الطبعة في مكتبة الحاج / طه عاشور ، واستعنت بها في تحقيق الكتاب مع باقي المخطوطات .

٣ - طبع بمدينة دمشق سنة (١٤١٠ هـ) في دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع ، بتحقيق الدكتور مختار هاشم . وقد تفضل الحاج / طه عاشور صاحب دار الفضيلة بإعارتي هذه النسخة كي أستفيد منها قبل طبع الكتاب مرة أخرى .

وقد ذكر الدكتور مختار في مقدمة كتابه أنه عثر على نسخة مطبوعة للكتاب ، طبعت في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية سنة (١٨٢١ م) ، واعتنى بتصحيحها وترجمتها من اللغة العربية إلى الفرنسية الفقير (يوسف أليودوروس غرسين) .

كما ذكر أنه عثر على نسخة طبعت في القاهرة سنة (١٢٩٠ هـ) على ذمة شيخ السادة الحضارمة الشيخ صالح باعيسى .

وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على أن كتاب (كشف الأسرار) لابن عانم قد لقي القبول والذيع بين الناس ، وهذا لكثرة النسخ الخطية الموجودة له في المكتبات .

كتاب كشف الأسرار

وصححة نسبته لابن غانم المقدسي

اتفقت جميع النسخ الخطية التي اطلعت عليها على نسبة كتاب
(كشف الأسرار) لابن غانم المقدسي ، كما اتفقت المراجع التي نظرت
فيها على نسبة الكتاب له ، فقد ذكره :

- حاجي خليفة في كشف الظنون (١٤٨٥ / ٢) .
- خير الدين الزركلي في الأعلام (٣٥٥ / ٣) .
- البغدادى في هدية العارفين (٥٧١ / ١) .
- ابن كثير في البداية والنهاية (٢٨٩ / ١٣) .

* * *

النسخ الخطية لكتاب كشف الأسرار

لكتاب كشف الأسرار نسخ خطية كثيرة في دار الكتب المصرية العامة ، فيوجد بها النسخ الآتية :

- ٧٣ ورقة خط ٩٨٢ هـ (أدب ٧٧٦٠) .
- ٣٧ ورقة خط ١١١١ هـ (أدب طلعت ٤٤٩١) .
- ١٥٤ صفحة خط ١٠١٣ هـ (أدب تيمور ٢٥٧) .
- ٣٦ صفحة (أدب تيمور ٧٥٥) .
- ٥٠ صفحة خط ١٢٦٧ هـ (الزكية ١٧١) .
- ٣٤ صفحة (أدب طلعت ٤٧٢٣) .
- ١٨ لوحة عن نسخة الدار - رقم ١٧١ مجاميع . م
(ز ٣٩١٨٩) .

وهناك نسختان من كتاب كشف الأسرار في قسم المخطوطات العربية بمكتبة جامعة كمبرج :

- الأولى : تتألف من (٥١) ورقة قياس ٢٠,٨ × ١٥,٤ -
الناسخ محمد عابدين بن إبراهيم عابد .
- الثانية : تتألف من (٦٠) ورقة قياس ١٩,٥ × ١٢,٦ .

* * *

وَصَف النُّسخ الخطيَّة التي اعْتَمَدت عَلَيْهَا فِي تَحْقِيق الكِتَاب

قد يَسَّر اللّٰه لى وحصلت على أربع نسخ من كتاب (كشف
الأسرار) :

١ - نسخة مكتبة دار الكتب المصرية :

فى مجلد بقلم معتاد - مسطرتها (١٧) سطر - مقاس الصفحة
٢١,٩ × ١٥,٥ - تقع فى (٧٣) ورقة - ورقمها (٧٧٦٠)
أدب) كتبت سنة ٩٨٢ هـ ، وهى نسخة عليها تصحيحات
ومقابلة على نسخة أخرى .

٢ - نسخة مكتبة طلعت التابعة لدار الكتب المصرية :

فى مجلد بقلم معتاد حسن - مسطرتها (١٩) سطر - مقاس
الصفحة ٢١ × ١٦ - تقع فى (٣٧) ورقة - ورقمها
(٤٤٩١ أدب طلعت) ميكروفيلم رقم (١٢٨٤٣) - كتبت
سنة ١١١١ هـ على يد كاتبه العبد الفانى محمد محيى الدين
إمام زاوية سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، وهى نسخة محلاة
برسوم ملونة .

٣ - نسخة مكتبة الشيخ نجم الدين الخاصة :

فى مجلد بقلم معتاد حسن - مسطرتها (٢١) سطر - مقاس
الصفحة ٢٠ × ١٤,٥ - تقع فى (٤٠) صفحة - بها نقص
يسير من أولها - بدون تاريخ نسخ .

٤ - نسخة مكتبة تيمور التابعة لدار الكتب المصرية :

فى مجلد بقلم معتاد حسن - مسطرتها (٢١) سطر - مقاس
الصفحة ٢٢ × ١٦ - تقع فى (٣٦) صفحة - ورقمها
(٧٥٥ أدب تيمور) ميكروفيلم رقم (٢٧٨٥٥) .

* * *

عملي في الكتاب

كان عملي في تحقيق الكتاب سائراً - بفضل الله تعالى -
وفق الخطوات التالية :

١ - قارنت بين النسخ التي بحوزتي مقارنة دقيقة ، بغية الوصول
بالنص إلى أقرب صورة صحيحة وواضحة ، ولم أثبت في
مجموع المتن أيّاً منها ، بل لفتت بينها واخترت ما رأيته مناسباً
وموصلاً إلى النص السليم الذي قصده المؤلف .

٢ - لم أشير إلى الاختلافات الكثيرة بين النسخ لكثرة ذلك ،
وحتى لا أثقل الهوامش .

٣ - أعملت جهدي لضبط النص ، وشرح ما غمض من ألفاظه ،
وشكلت ما رأيته بحاجة إلى الشكل .

٤ - خرجت الآيات التي أشار إليها المؤلف .

٥ - لم أكثر التعليقات والحواشي في الهامش حتى لا أخرج
بالكتاب عن هدفه الذي أراده المؤلف .

وإني أرجو أن أكون قد وفقت إلى خدمة هذا الكتاب ،
وإخراجه بصورة صحيحة ، فإن كنت أصبت فمن الله سبحانه ،
وإن أخطأت فمن نفسي .

إِنْ تَجِدْ غَيْرَ فَسَدِّ الْخَلَا جَلُّ مِنْ لَا غَيْبٍ فِيهِ وَعَلَا

عَلَى عِزِّ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ

* * *

كتاب المختار لكشف الاسرار في مناقشة الطيور والازهار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الاسمر العالم العلامة لسان الفصحاء والمتكلمين
عز الدين ^{غفر له} بن عبد السلام المقدسي، رضي الله عنه وارضاه، وجعل
الجنة مثواه، الحمد لله البعيد في قربه، والقريب في بعده، المتعالي
في رفيع مجده، عن الشئ وضده، الذي اوجد بقدرته الوجود بعد
ان كان عدما، واوجد كل موجود موجود حكما، وجعل العقل
بينهما حكما، ليميز بين الشئ وضده، والهبة بها علمه تعلم مراد قل
مصاياه من حلوة شهوده، فمن نكر بفضيح فضده، ونظر بتوفيق ^{الرب}
رشدته، علم ان كل مخلوق موثوق في قبضتي شقائه وسعدته، ^{الرب}
مرزوق من خزاين نعمه ورفده، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ملك لها وما يبسلك فلا مرسل له من بعده، ما فلو ضفت عين بصيرتك
واصغيت آتقظتك، لا سمعت كل شئ موجود ما يجده من متقلبات
وجده وما يكايده من وجدان بعده، الم تسمع للنسيم كيف تنفس
أستفا لبا السحاب على جزره ومدته، وتاوه لها على تبسم البرق
ما سمع قهقهة رعدته، الم تسمع للربيع ما هو يبشرك بوروده وزده
ما خبرك بنشور ورده وثمرود برده، وسعر اليك بانقلاب الشتاء

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية

ليلتقطوا حبة المحبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر
 موصولوا حين حصلوا ، وانصلوا حين وصلوا ، ما فنظروا ما رزأ
 الحجب قد رفعت ، والأكوان قد وضعت ، والاحباب
 قد جمعت ، ما فضل لآذن فذ سمعت ، ما شعروا
 يا قلب بشر اك ايام الرضا رجعت ،
 ما هذه الدار بالاحباب فذ جمعت ،
 ما انزى سمات الحية قد عقت ،
 ما انقاسها وبروق البرق قد لمعت ،
 ما بعثت نبيًا بوصول غير منفضل ،
 ما من نجب فنجب الفجر قد رفعت ،
 ما وانظر رجال الذي من اجل رؤيته ،
 ما قلوب عشاقه من حبه الضد عت ،
 ما تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ،
 ما على الفقير محمد بن يحيى الربماوى ،
 ما يوم السبت في العشر الاخير من شهر ربيع
 ما شهر ذى القعدة من شهر ربيع
 ما سنة اثنين وثمانين
 ما شهر ربيع
 ما شهر ربيع

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية

الزهر وجنتك وصفت أعلامه المظلمة بسجلك
 قريب إليه النورين قايما للقيام بورد • وأقبل النورين
 بتسعين نوبة وقد • فكانت في حقت خذ • وسلكي
 إليك الجلنا نخل نار تبعك وصديقه • وصار العندليب
 على عوده الرطب بقده • وباح العاشق بما يكاتبه
 ثنت هوى زيبده وفضلك • وهام في جوارات ظلماته
 باسمعه بن طيب نجك • ففرها ربا إلى من يعلم جنابا
 ما انداه وحالم يبك • فالعارف من سكر سوانح النعم
 واحضر معادن الحكمة ولم ينع من اللين إلا بربك •
 وإن الله ما أحدث حادثا وأهمله بل كل واقف على حقه •
 بات على حفظ عهده • مقر بصدق وعيك ووعده •
 وإن من شيء إلا يسبح بحمك أحسن • واسمعه توفيق
 حقه وأسهمك أن لا اله الا الله وحد لا شريك له
 في علو جحك وأسهمك أن سيدنا محمد أعين وزيار
 الذي أنزل عليه في حكم كتابه بيان رفيع قدس وقد •
 سبحان الذي أرى بعين حسني الله وسلم عليه
 وعلى الهدى وحبه وعسيره وجنته وهدى
 فاني نظرت بعين التحقيق • فزيت بنور الصدق
 والتوفيق • أن كل مخلوق مقر بوجوه الخالق • وكل

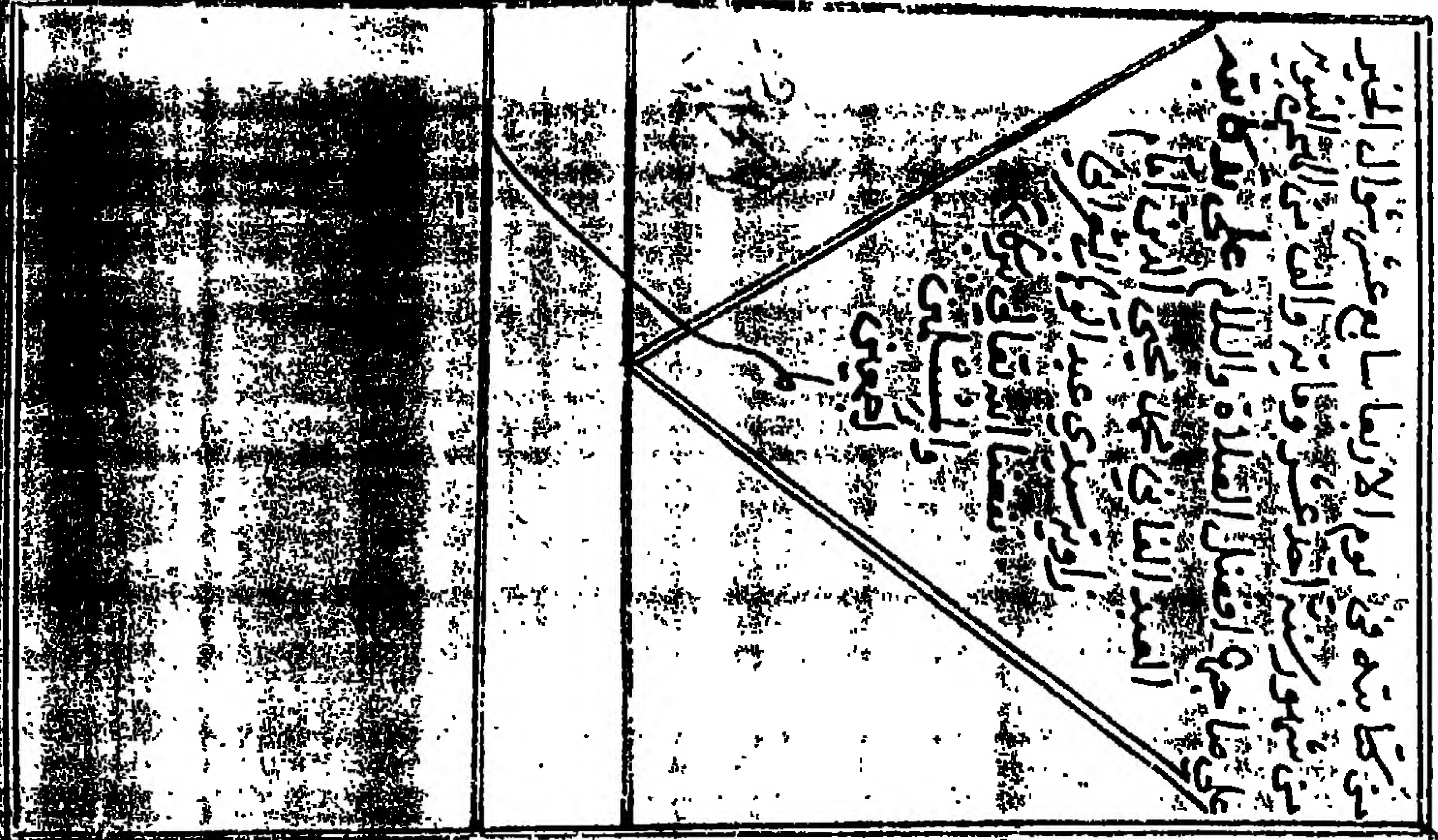
الحمد لله المبدع في قربه • العرب في بجه • المتعالي
 في محله • عز وجل القول وحبه • المقدس في رفيع مجله •
 الذي أوجد ما كان عدا ما • وأودع كل موجود حكما •
 لميز بين الشيء وضده • واليه بما علمه فعلم مدائق ما •
 من شهادته • فمن تفكر بعجج قصده • ونظر بتوفيق شرك
 علم أن كل مخلوق في قبضة شقائد • وسعده • مزروق
 من خزان نعمة • ورفعة ما ينع الله للناس من رحمة •
 فلا محسبك لها • ما يحسك فلا مرسل له • من بعثه •
 فلو صفت عين بعيرتك • وأجلت مراره • سريرتك •
 وأصغيت بسبع نطقك • لا سمك كل موجود ما حكه •
 من فقد أن وجك • وما يكابد من وجدان فقله •
 المرشح إلى النسيم كيف تدس سنا لك المسحاب على
 بواقي يعلو • وتأوه لها على تبسم البوق لما سمع من
 بهيمة • فاسمع إلى الزبيع • فها هو قد بشرك
 بورد • • • • •
 بانقلاب الشفا وهزيمة ورد • ووسى إليك القبول
 بوتي الرفض • ورد • وسلكي إليك المان مان من
 مايل قلبه • وأنى إليك ألا تخوان ما خاشى الوان

نسخة مكتبة طلعت
 من الأوراق الأولى



من كتابه في يوم الاربعاء سابع عشر من شهر
 ربيع الثاني سنة احدى عشر وثمان مائة والتمس
 على صاحبها افضل الصلاة والسلام على ملاك
 المذنبات في عهد يحيى الدين ابا
 روبرت سدي عبد الوهاب بن ابي
 روبرت سدي

والتمس
 يحيى



فاذا الحبيب قد رُفِعَتْ والاكوام قد وضعت
 والاحباب قد جمعت فلا عين رأت ولا اذ سمعت
 ولا خطر على قلب بشر فالحمد والمجد والفرح
 والثناء لله في ذلك
 يا فلان بشارك يا امرؤ رجب
 وهذه الدار بالاحباب قد جمعت
 اما ترى نغفات الحبي قد عبقت
 انفا سها وروق القرب قد لمعت
 فغنى هنيئاً بوصلي غير منفصل
 بن حب وجب الجود رفس
 وانظر حال الذي من اجل ربه
 قلوب عشاقه في حيرة اضعت
 وق

لما رأت بني الزمان وما هم
 حال صدق اللطائف امطلي
 عالت ان المستحيل لا يشر
 الغول والخمائن والحيال التي
 في ذلك من هذه الكائنات والحيات
 حيا رسل الصلاة والبر والامور

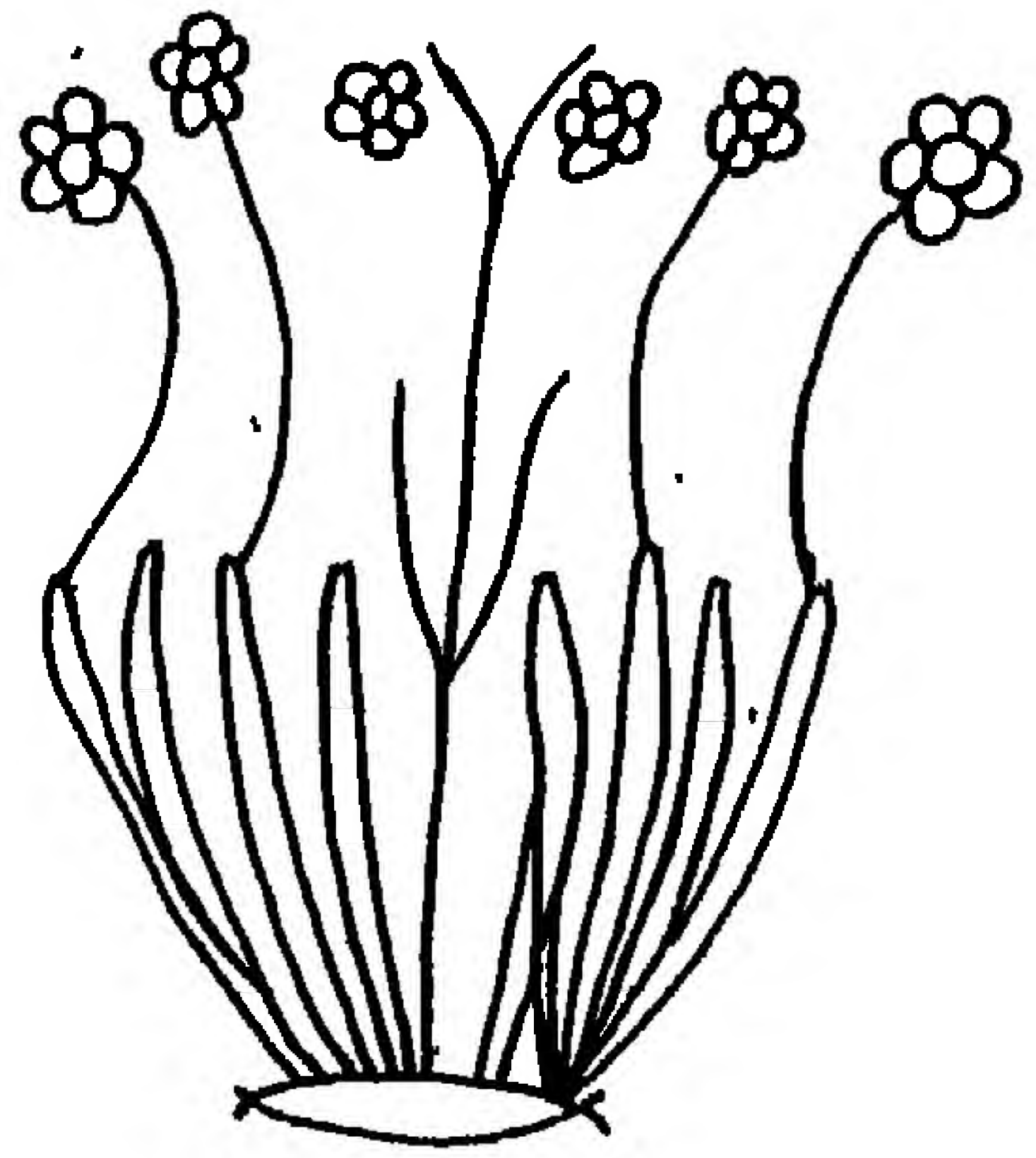
ال ورقة الأخيرة من نسخة مكتبة طلعت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنِيبِ فِي قُرْبِهِ الْغَرِيبِ فِي بَيْتِهِ الْمُتَعَالَى فِي جَعَلَهُ
 هَذَا الْقَوْلَ وَجْهَ التَّغْدِيسِ فِي رَجْعِ نَجْدِ الَّذِي وَجَدَ مَا كَانَ عِنْدَنَا وَأَوْرَثَ
 كُلَّ مَوْجِدٍ وَحُكْمًا لِمُعِيرِ بَيْنِ الشَّيْءِ وَصْنِهِ وَالرَّوْحَةَ بِمَا عَلِمَ فَجَعَلَ مِنْهَا بَقِيَّةً بِزَيْدٍ شَرِيفٍ
 لَمْ يَكُنْ يَكُونُ تَعْيِيجُ نَصْنَعِهِ وَتَطَرُّقُ شَوْقِهِ رَيْدُهُ عَلَى عِلْمِهِ أَنْ كُلَّ خَلْقٍ مَوْجِدٍ فِي وَضْعِهِ
 سُبْحَانَهُ وَصَدَقَ مَرْوْفٌ مِنْ قُرْآنِ بَابِ نَجْدِهِ وَرَدَّ مَا يَنْبَغِي لِلَّهِ لِلْمُنَى مَرَّةً
 فَلَا عَيْلَ لِمَا أَوْجَبَ بَيْتُكَ فَلَا مَرَكَلٌ مِنْ بَعْدِهِ فَلَوْ صَفْتِ عَيْنٌ بِصِيرَتِكَ
 وَأَخْبَلَتْ مِرَاةً سِرِّيَّتَكَ وَأَحْيَتْ سَمْعِي تَقْبَلُ لَا أَسْمَعُ كُلَّ مَوْجِدٍ وَتَجِدُ
 مِنْ فَعْدَاتٍ وَصَدَّ وَمَا يَكُونُ مِنْ وَجْدَانٍ فَتَقْدَعُ الْمُنْجِي إِلَى الشَّيْءِ كَيْفَ
 سَتُكْمِلُ اسْتِغْنَاءَ الْبُكَاءِ وَالنَّجْمِ عَلَى رُجْعِهِ وَمَنْ تَوَارَى لِهَيْئَتِي نَسِيحُ الْبَرْقِ لِلْمُجْعِ
 وَجَعَلَتْ رَيْدِي نَاسِمِ إِلَى الرَّيْسِ فَمَا هُوَ قَدْ بَشَّرْتُ لَوْ رُدَّ وَرَدَهُ وَاضْرَبْتُ
 بِرُؤُوسِهِ مَرَّةً عَلَى الْبَيْتِ الْقَبُولِ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَرْضَ وَرَدَهُ وَشَكَرَ لِيْلِكَ الْبَابَ مَا يَنْبَغِي
 اِعْلَانَهُ لِلْعِلْمِ سَمْعِي وَرَيْسَ الْبَرْقِ حَبِي فَمَا لِمَا لِقِيَانِي بَوْرَدَهُ وَخَلَّ الشَّقِيقَ
 عَلَى تَعْيِينِ لَوْحَةٍ وَقَدْ فَكَرْتُهُ نَا كَلَامَ طَرَفٍ عَلَى مَرَجِّ خَدِّهِ وَشَكَرَ لِيْلِكَ الْبَيْتِ
 نَاسِمِ عَلَى صَدْقِ نَاسِطِ الْخَيْلِ لَيْسَ عَلَى جَمْرِ وَالْمَرْصِيبِ لِمُرُورِهِ وَبَابِ الْبَابِ
 الْكَيْسِ عَالِمًا بِكَ مِنْ هَوَا يَرْيَدُهُ وَهَذَا هَامٌ فِي خَلَوَاتٍ فَلَوْلَهُ طَرِبَا
 نَاسِمِ لَمْ يَنْشِ فِي شَيْءٍ نَجْدٍ وَفَرَّهَ بِالْأَمْرِ بِيْلِهِمْ صَفَايَاهُ مَا أَمَدَاهُ وَالْم
 تَبَعُ فَلَا تَارِفٌ مِنْ شَيْءٍ كَسَّ سَوَالِغِ النِّعَمِ وَصَغُرَ بِهَا وَت
 لَكُمْ وَلَمْ يَقْبَحْ مَا لَبَّى الْأَنْزِيَّةَ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَحْدَثَ
 سِدْرًا وَاهْلَهُ عِشًّا طَلَّ كُلُّ وَاقِفٍ عِنْدَ عَدَدِهِ بَاقٍ عَلَى صِفَاتِهِ
 مِمَّنْ يَنْجَلِيقُ وَجَيْتِهِ وَوَعْدِهِ وَأَنْ مِمَّنْ سُبْحَى الْأَسْبَاحِ
 عَيْدِهِ أَحْسَنَ وَاسْأَلْهُ تَوْفِيقَ حُجَّتِهِ وَأَصْلَى عِلْمِهِ
 رَسُوْلُهُ مُحَمَّدٌ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ حُجَّتِهِ

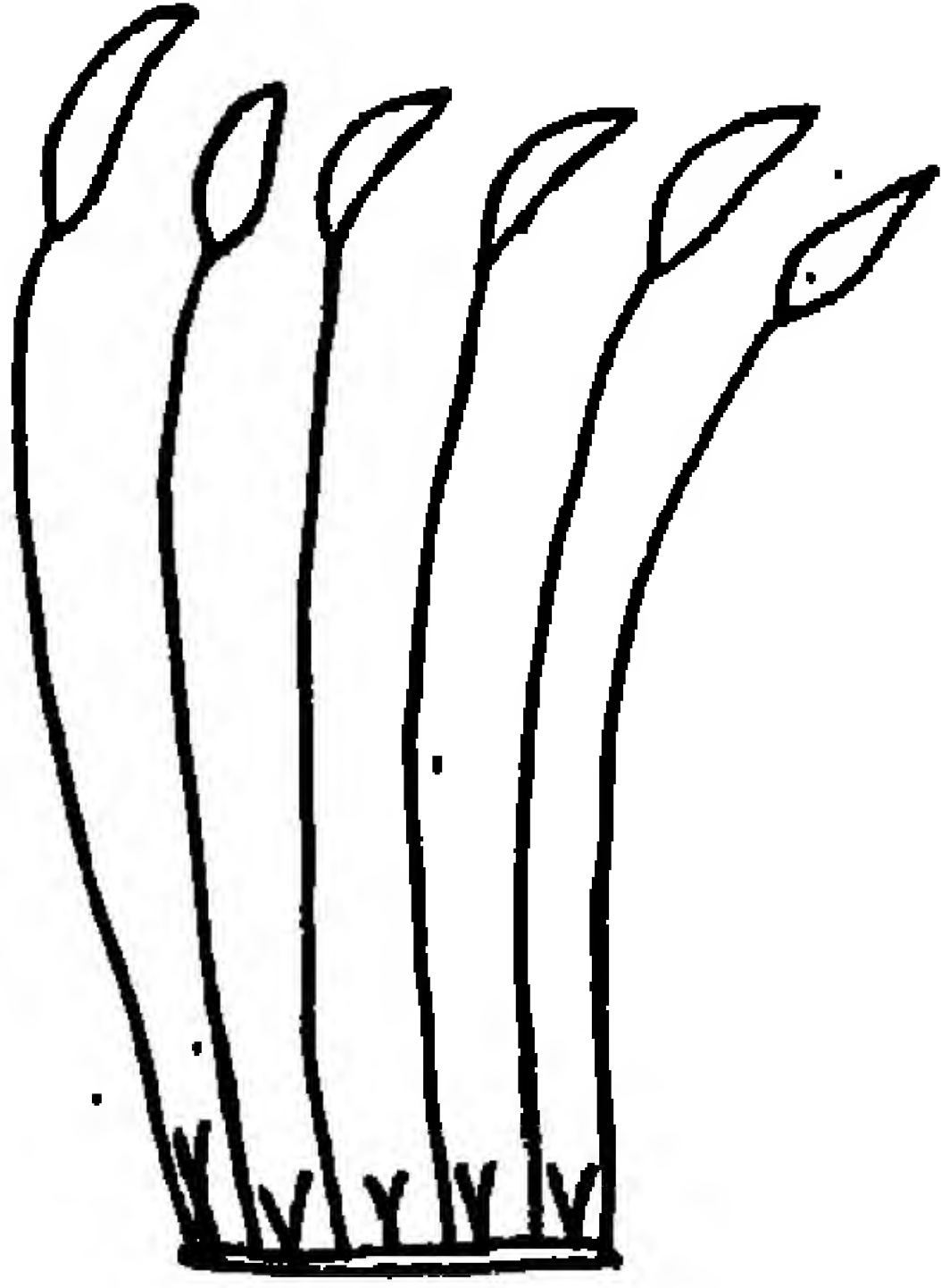
اخب من اكل من ثمره فيسبح العلوات حول ازام في المحافل
 ولا اكل منه الذارع والكافل ولا تقطعني ايدي الاساقفة
 ولا احد اللا غنول الحفا ذك ولكني بعيد من المنازل
 في الجرا الفصح وقتعت بالقنار والشبح حيث
 الزبح فتعلمني الي دعوي التقديس والتسبح ولا
 يلبسني لشري الامن له شوق صبح وذوق صبح ومن
 هو علي زهد المسيح وصبر الذبح فانا رفيق السواح
 في العذو والبراح فافوز بالاحور واسلم من حصور
 اهل الفجور ومن تغترقه المعاصي بالمجور ولا احضر
 علي منكرا ولا اجلس عند من يشرب ويسكر فانا الحر الذي
 لا ابا في الاسواق ولا بنا دي علي بالتفاق في سوق الفواق
 ولا يحضرني المساق ولا ينظرني الامن شمر عن ساق
 وركبا العزيم وساق فلورا بيتي في البوادي بهم
 النسيم في كل وادي اعطر النادي بشتري الهادي ان
 عرفت بذكره الحادي عن اليه كل رايح وعاد كبح
 واشار في ذلك لسان الكالب شمع
 بحدثي النسيم عن الخزاما ويقربني عن الشبح السلاما
 فتمت بما فمت وطبت وجدا فما احلاه لي لو كان داما
 ولشري تحت جوع الليل سرا فتوقظني وقد جمع البامبا
 فاسكر من شداها حين هبت كاني قد ترشفت المداما
 بتعارصني با تقاس مرا حتى كاتقاس وقد حشيت عزاما

أول صفحة من نسخة نجم الدين

الفرجس



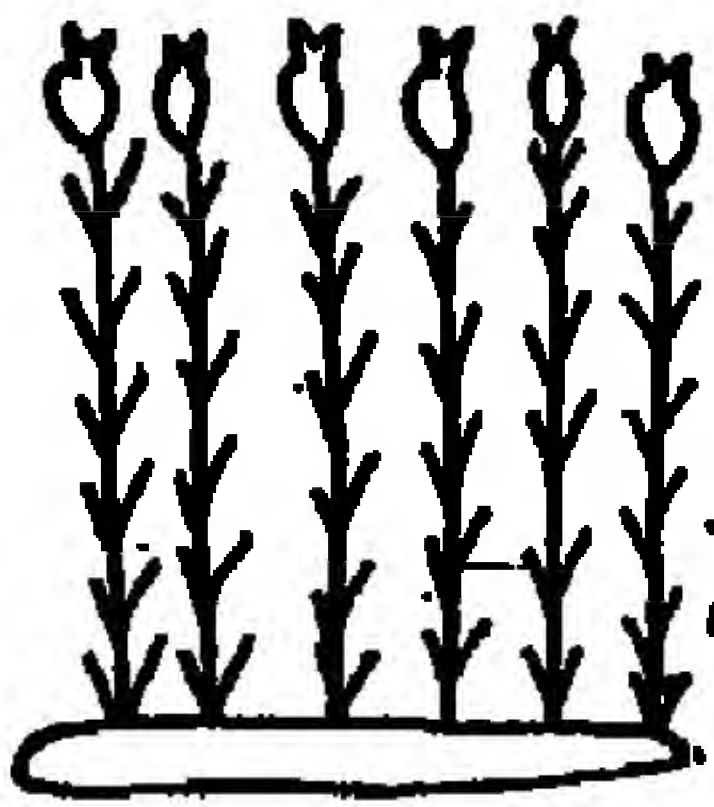
اللينوفر



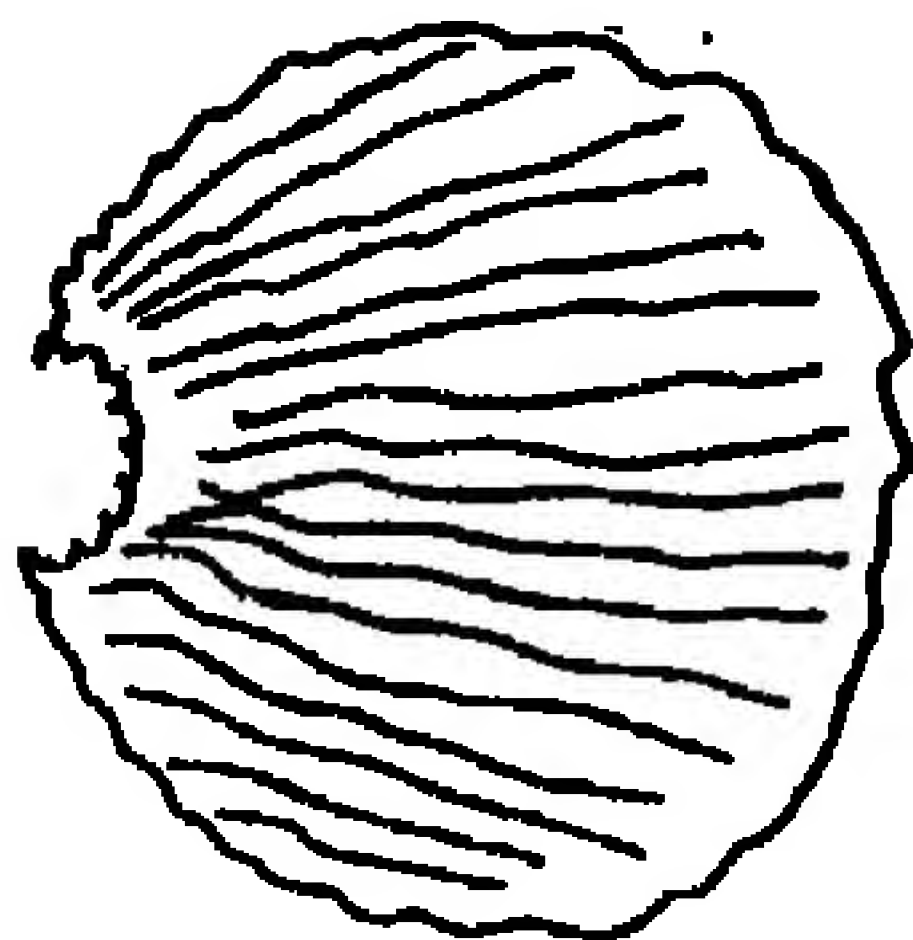
الورد



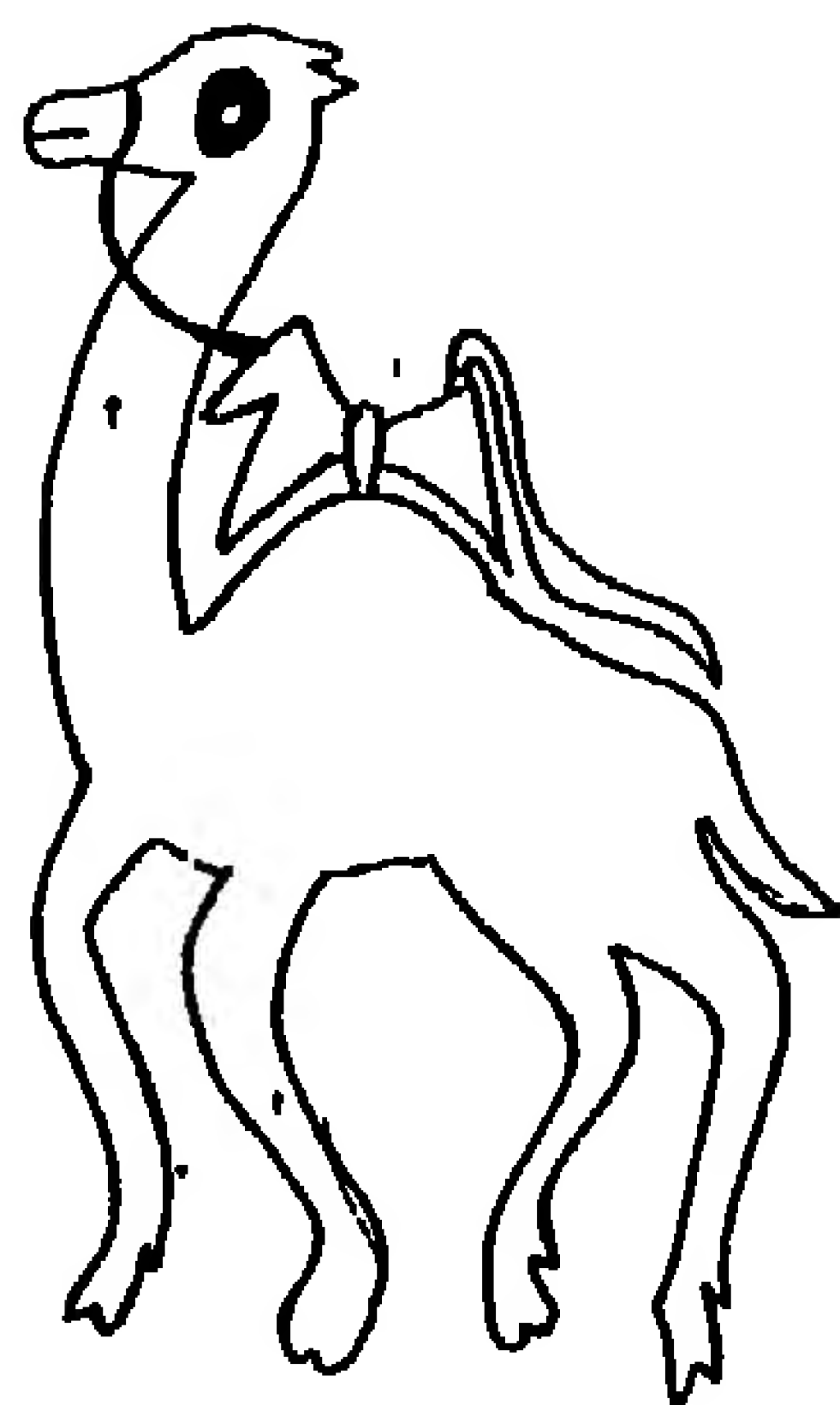
البات



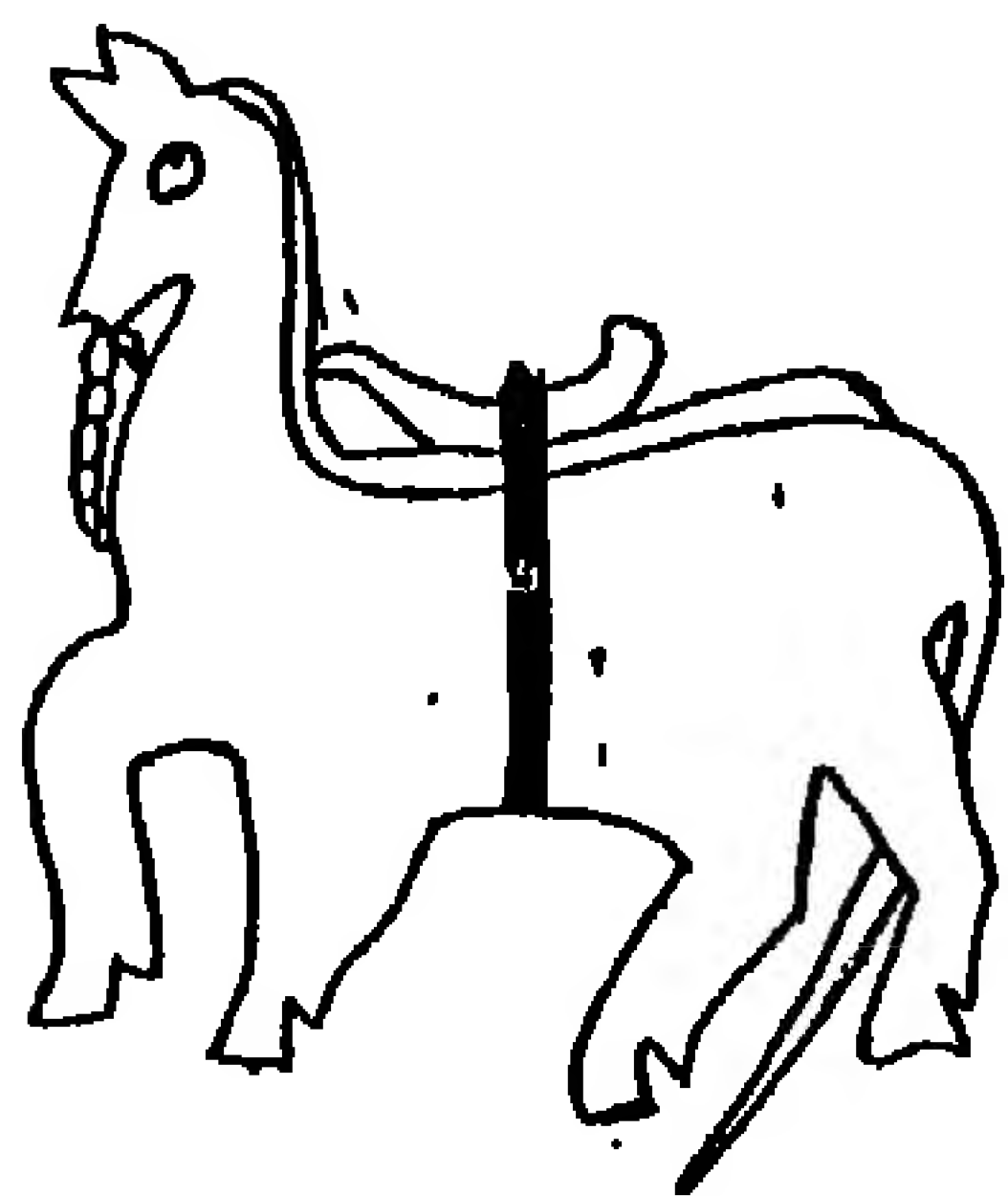
النسيم



الجمال



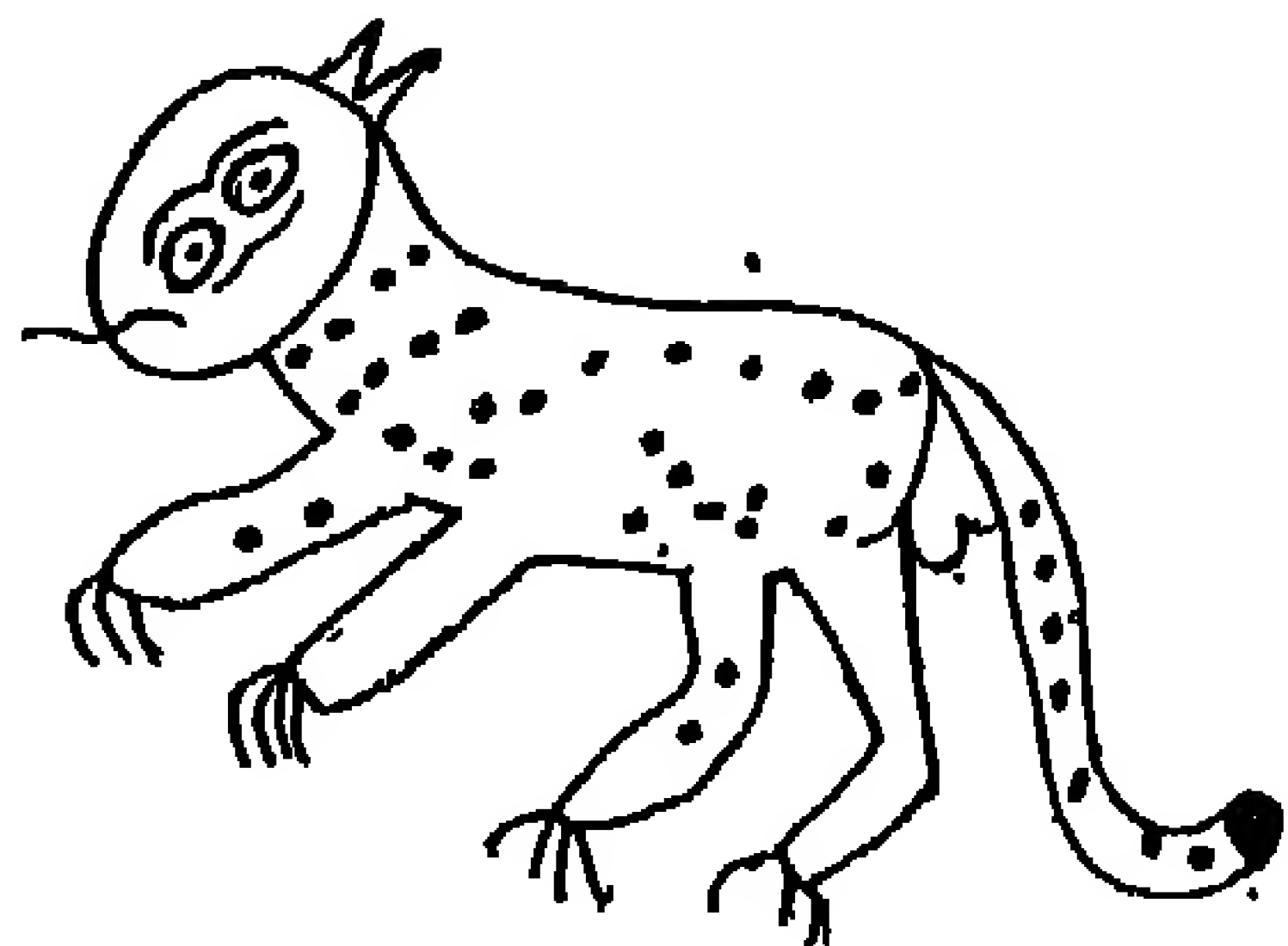
الفرس



الكلب

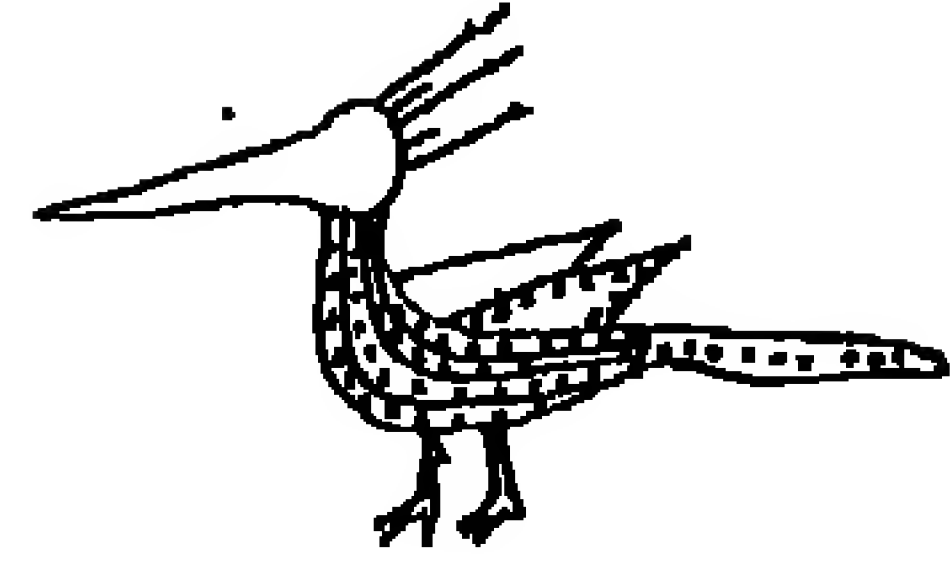


الفهد

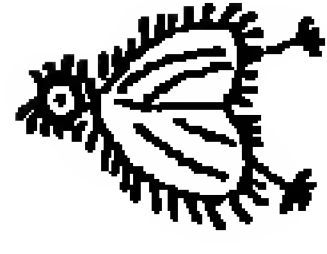


بعض الرسومات الموجودة في نسخة مكتبة طلعت

الهدد



النحلة



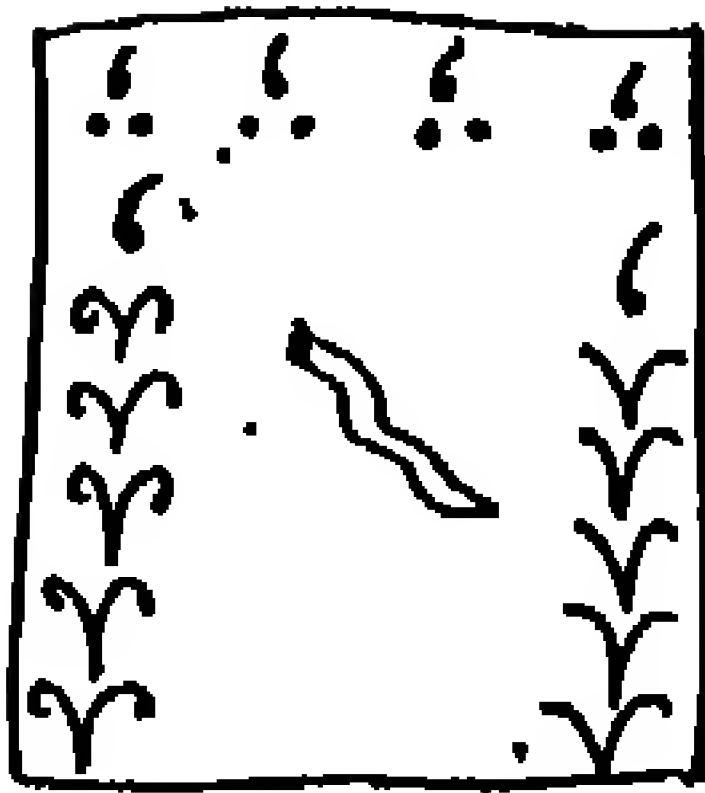
الشمعة



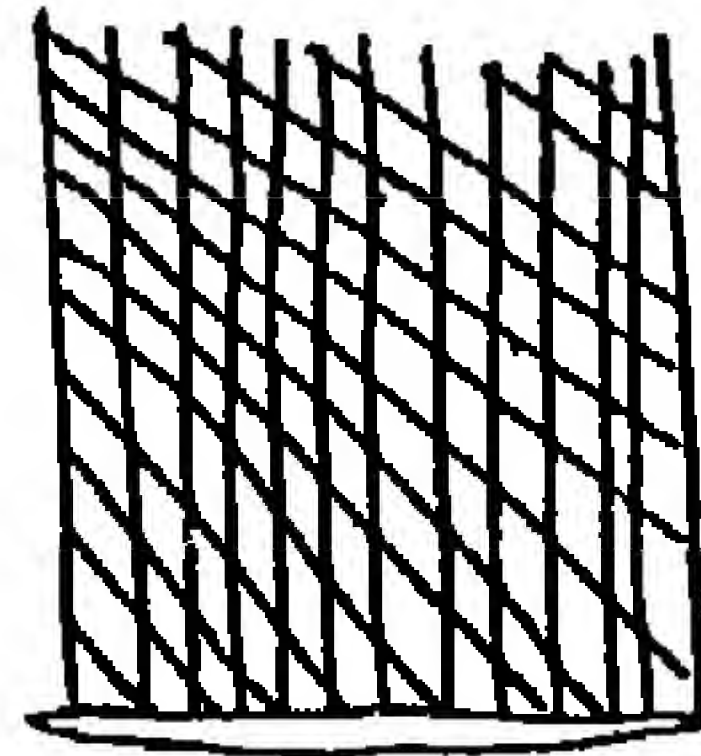
الفراش



الدودة



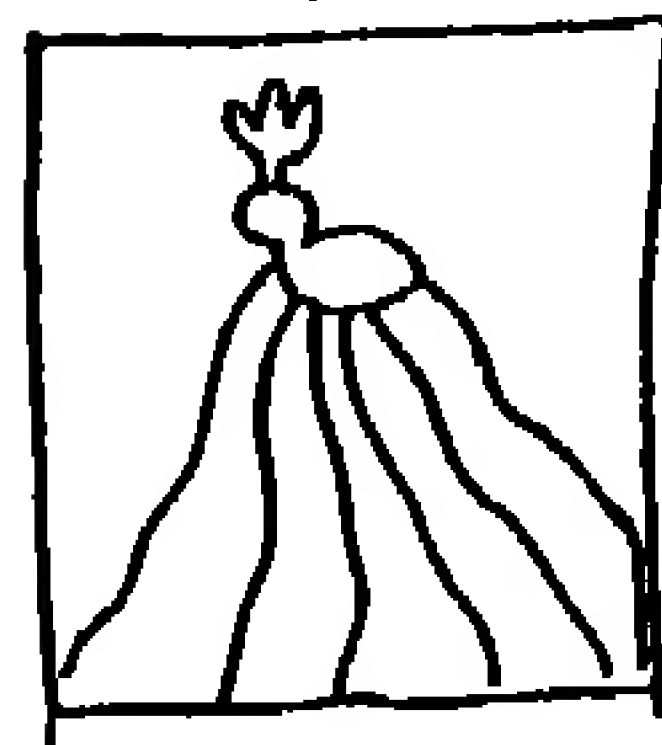
النار



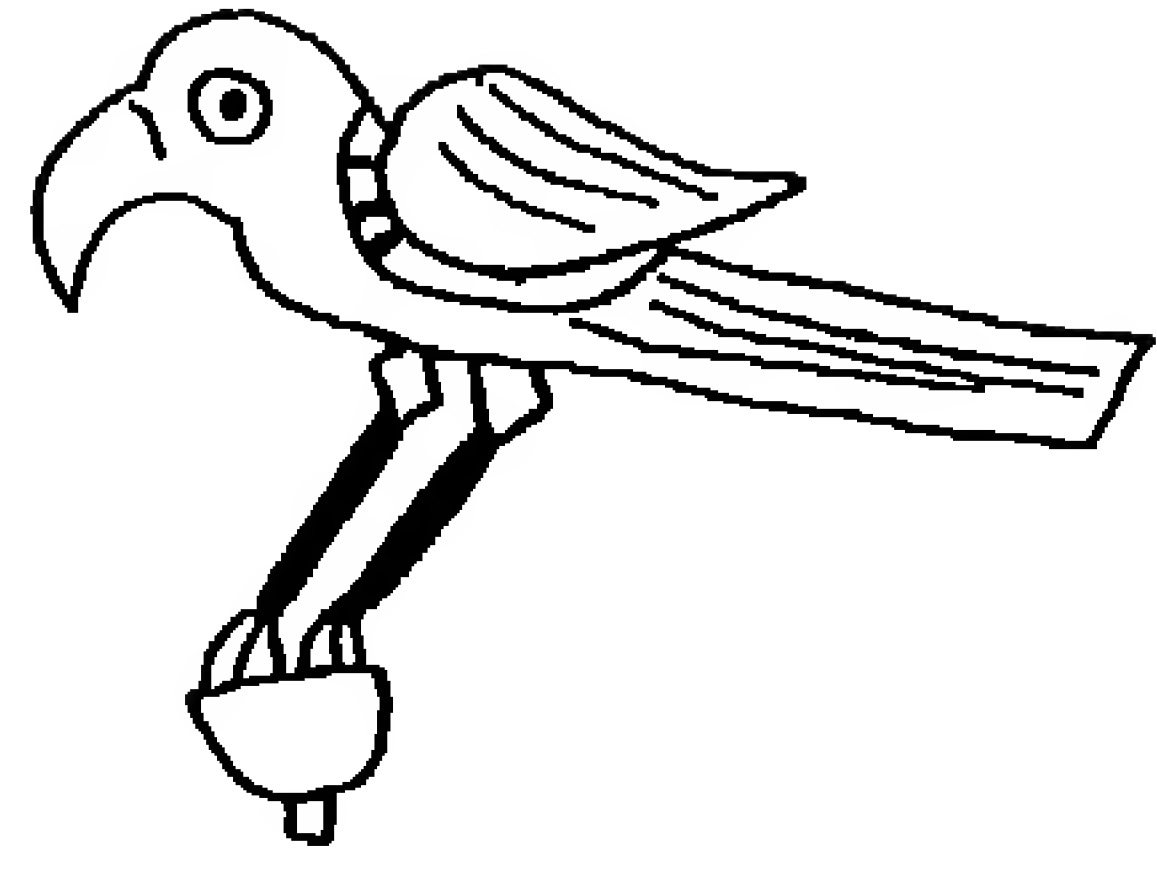
النملة



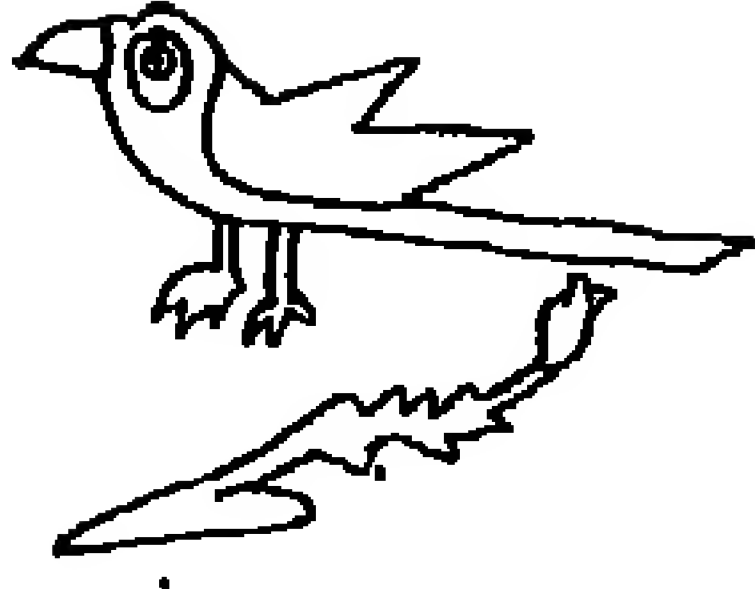
العنكبوت



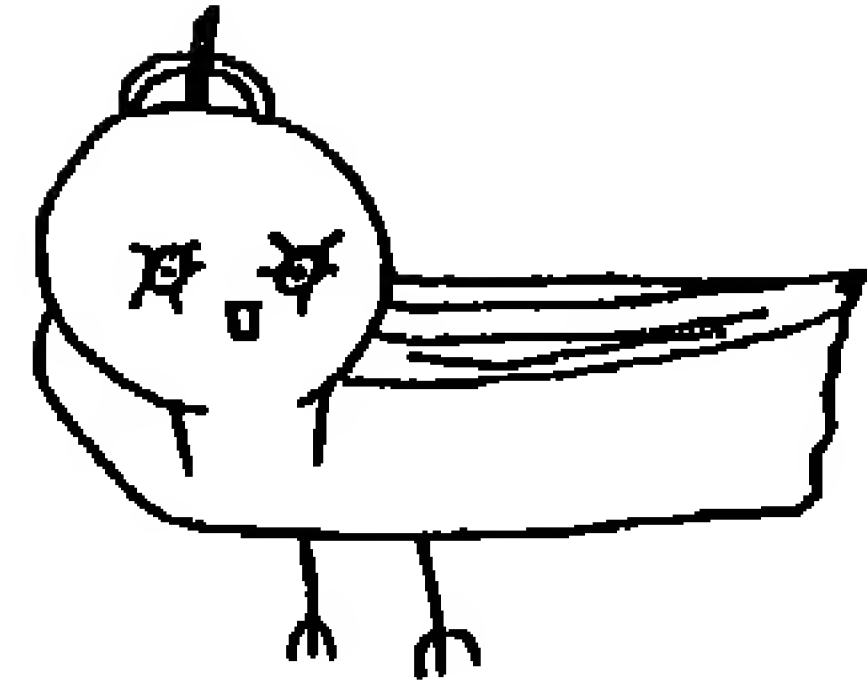
الباز



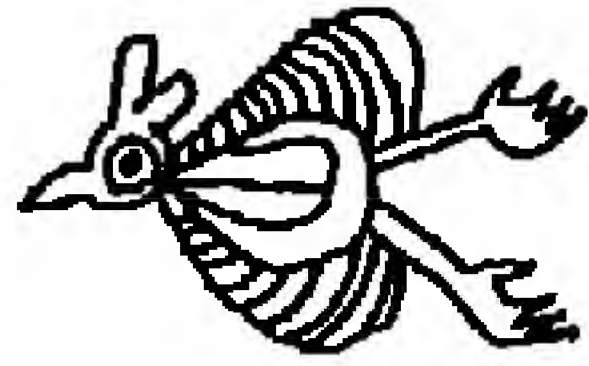
الخطاف



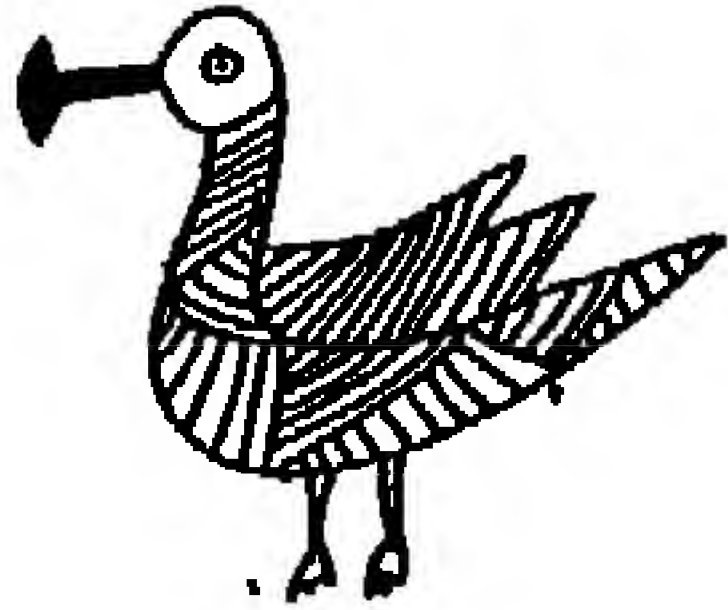
البومة



الخفافيش



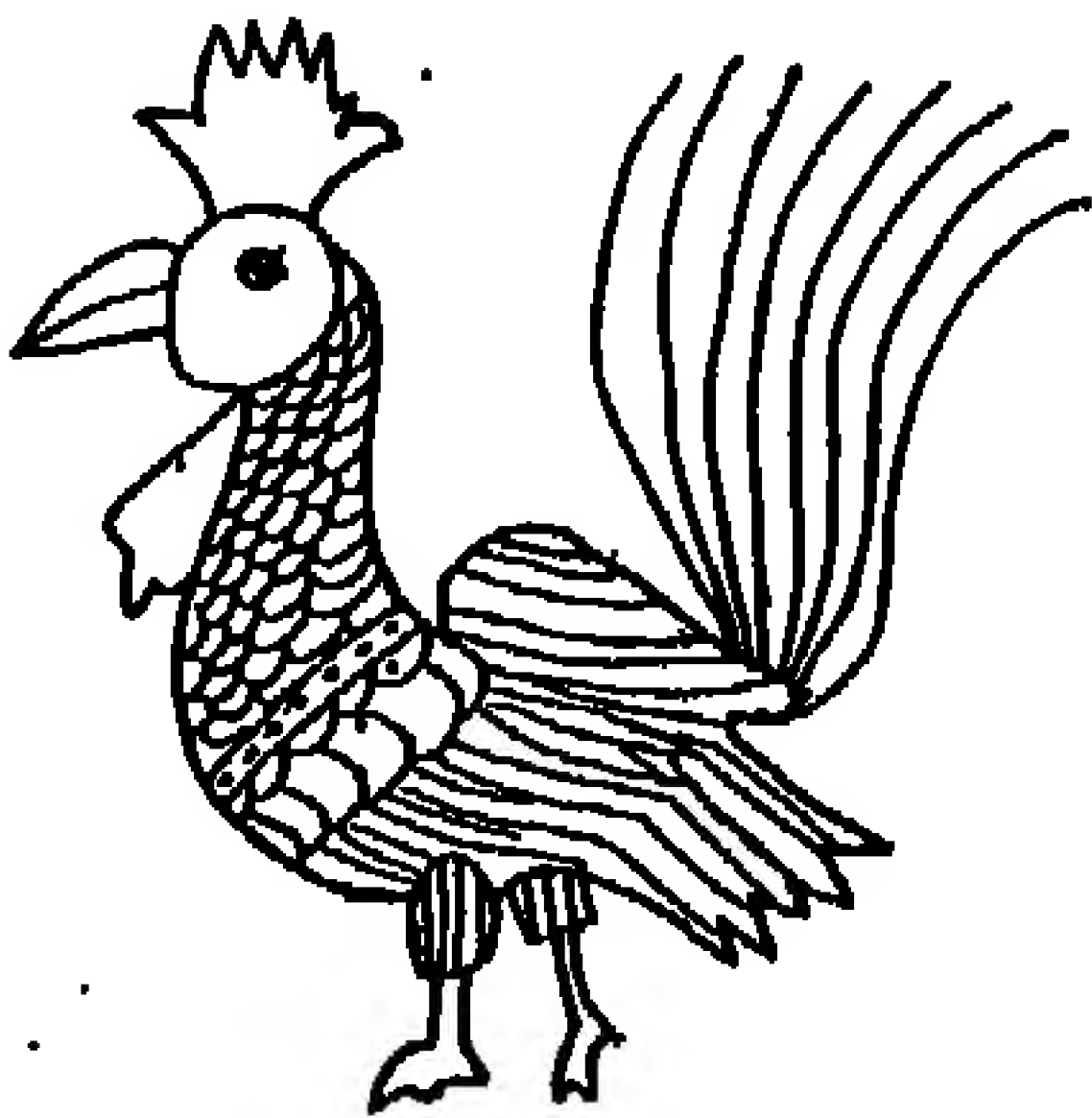
البطة



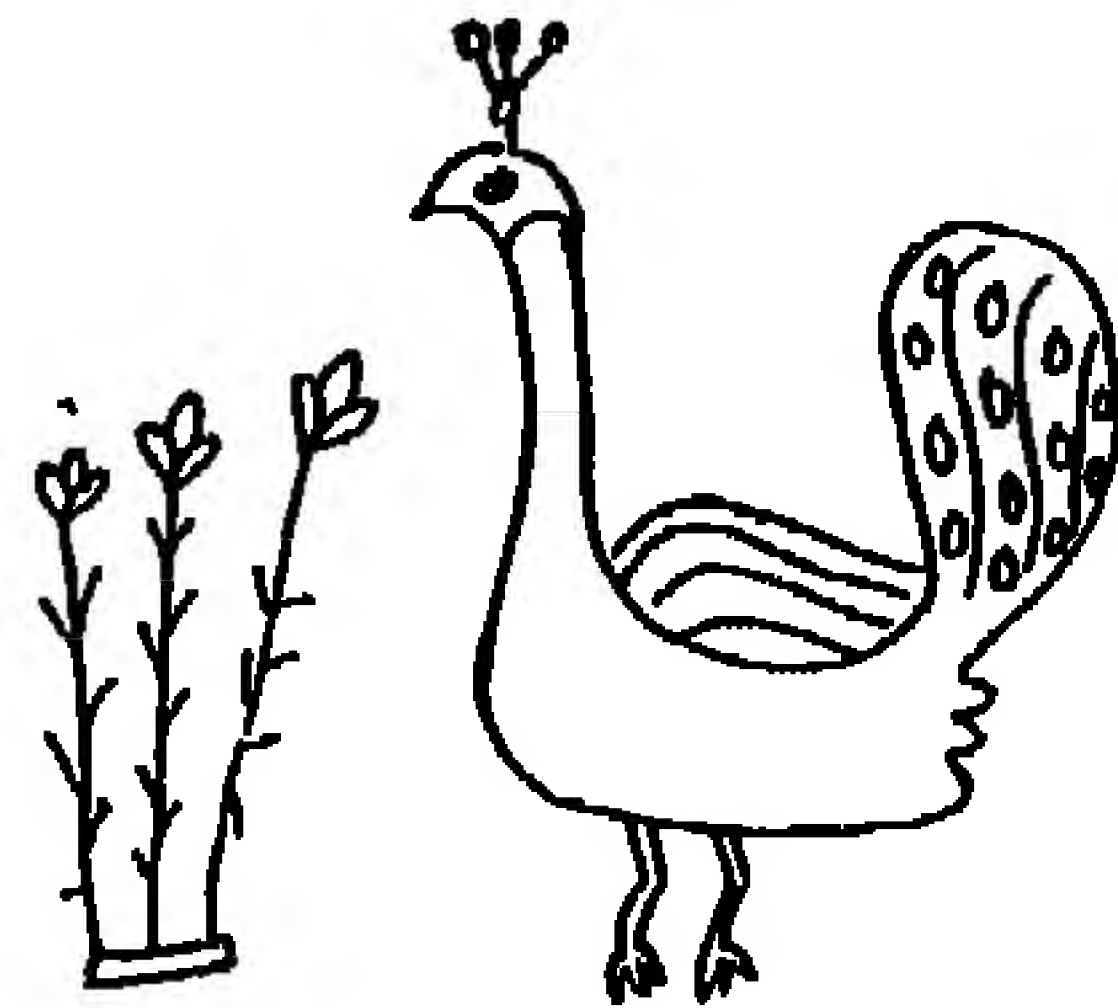
الحمامة



الديك



الطاووس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدَمَةُ الْمُصَنِّفِ

الحمد لله البعيد في قُربِه ، القريب في بُعْدِه ، المتعالى فى رفيع مجده ، عن الشئء وضده ، الذى أوجَدَ بقدرته الوجود بعد أن كان عَدَمًا ، وأودع كلَّ موجود حِكَمًا ، وجعل العقل بينهما حَكَمًا ، ليميز بين الشئء وضده ، وألهمه بما علَّمه فعلم مَرَّ مذاق مصابه من حلاوة شَهْدِه . فمن فكر بصحيح قصده ، ونظر بتوفيق رُشدِه ، علم أن كل مخلوق موثوق فى قبضتى شقائه وسعده ، مرزوق من خزائن نِعَمِه ورفده ^(١) ، قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ^(٢) .

فلو صفت عين بصيرتك ^(٣) ، وانجلت مرآة سريرتك ^(٤) ، وأضعفت بسمع يقظتك ، لأسمعك كلَّ شئء موجود ما يجده من

(١) رفده : (الرُّفْد) بكسر الراء ، العطاء والصُّلَّة .

(٢) سورة فاطر : الآية (٢) ، وتمة الآية : ﴿ ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(٣) بصيرتك : (البَصَر) حاسة الرؤية . و (أبصره) رآه . و (البصير) ضد

الضير . و (بَصُرَ) به ، أى علم به فهو (بصير) . ومنه قوله تعالى : ﴿ بَصُرْتُ بِمَا

لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [طه : ٩٦] . و (التَّبَصُّر) التأمل والتعرف .

(٤) سريرتك : (السَّرَّ) الذى يكتُم ، وجمعه (أسرار) . و (السَّريرة) مثله ،

وجمعها (سرائر) .

منتقادات وَجْدَه^(١) ، وَمَا يَكَابِدُهُ^(٢) مِنْ وَجْدَانٍ بَعْدَهُ ، أَلَمْ تَسْمَعْ
لِلنَّسِيمِ كَيْفَ تَنْسَمُ أَسْفَاً لِبَكَاءِ السَّحَابِ عَلَى جِزْرِهِ وَمَدِّهِ ، وَتَأْوُهُ^(٣)
لَهْفًا عَلَى تَبَسُّمِ الْبَرْقِ لَمَّا سَمِعَ قَهْقَهَةَ رَعْدِهِ ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ لِلرَّبِيعِ مَا هُوَ
يُشْرِكُ بِوُرُودِ وَرْدِهِ ، وَأَخْبَرَكَ بِنَشُورِ^(٤) وَرْدِهِ وَشُرُودِ بَرْدِهِ ، وَسَعَى
إِلَيْكَ بِانْقِلَابِ الشِّتَاءِ لِحَرْدِهِ وَمُزْدِهِ ، وَوَشَى إِلَيْكَ الْقَبُولَ بِوَشَى
الرَّوْضِ وَبُزْدِهِ ، وَشَكَى إِلَيْكَ الْبَانَ^(٥) مَا بَانَ مِنْ تَمَائِيلٍ قَدَّةً ، وَأَنْهَى^(٦)
إِلَيْكَ الْأَقْحَوَانَ^(٧) مَا حَازَ مِنْ أَلْوَانِ الزَّهْرِ وَجُنْدَهُ ، وَحَقَّقَ^(٨) أَعْلَامَهُ
الْمُعْلِمَةَ بِسَعْدِهِ ، وَوَثَبَ النَّرْجِسَ قَائِمًا لِلْقِيَامِ بِوَرْدِهِ ، وَأَقْبَلَ الشَّقِيقَ
عَلَى تَشْقِيقِ ثَوْبِهِ وَقَدَّهُ ، فَكَأَنَّهُ ثَكَلَى^(٩) لَا طَمَأَ عَلَى حِمْرَةِ خَدِّهِ ،
وَوَصَفَ إِلَيْكَ الْجَلَنَارَ جُلَّ نَارِ هَجْوِهِ وَصَدَّهُ ، وَنَاحَ الْعَنْدَلِيبَ^(١٠)

- (١) وَجْدَه : (وَجَدَ) فِي الْحُزْنِ (وَجْدًا) بِالْفَتْحِ أَيْ حَزَنَهُ .
وَالْوَجْدُ : مَا يَصَادَفُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ بَلَا تَكْلَفٍ وَتَصْنَعٍ ، وَعَكْسُهُ الْفَقْدُ .
(٢) يُكَابِدُهُ : (كَابَدَ) الْأَمْرَ قَاسِي شِدَّتِهِ .
(٣) تَأْوُهُ : قَوْلُهُمْ عِنْدَ الشَّكَايَةِ (أَوْهَ) مِنْ كَذَا سَاكِنَةُ الْوَاوِ إِنَّمَا هُوَ تَوَجُّعٌ ، وَرَبَّمَا
قَلَبُوا الْوَاوَ أَلْفًا فَقَالُوا : (آهَ) مِنْ كَذَا ، وَرَبَّمَا شَدَّدُوا الْوَاوَ وَكَسَرُوهَا وَسَكَنُوا الْهَاءَ فَقَالُوا :
(أَوْهَ) ، وَرَبَّمَا حَذَفُوا مَعَ التَّشْدِيدِ الْهَاءَ فَقَالُوا : (أُؤْ) مِنْ كَذَا بَلَا مَدٍّ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ :
(آؤَهَ) بِالْمَدِّ وَالتَّشْدِيدِ ، وَفَتَحَ الْوَاوَ سَاكِنَةَ الْهَاءَ لِتَطْوِيلِ الصَّوْتِ بِالشَّكَايَةِ ، وَرَبَّمَا أَدْخَلُوا
فِيهِ التَّاءَ فَقَالُوا : (أَوْتَاهَ) يَمِدُّ وَلَا يَمِدُّ . وَقَدْ (أَوْهَ) الرَّجُلُ (تَأْوِيهَاً) وَ (تَأْوُهُ تَأْوَاهَاً) إِذَا
قَالَ : (أَوْهَ) وَالْأَسْمُ مِنْهُ (الْآهَةُ) بِالْمَدِّ وَ (آهَ أَهَّةً) تَوَجُّعٌ .
(٤) نَشُورٌ : خُرُوجٌ . (٥) الْبَانُ : نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ ، وَاحِدُهُ (بَانَةٌ) .
(٦) أَنْهَى : (الْإِنْهَاءُ) الْإِبْلَاجُ ، وَأَنْهَى إِلَيْهِ الْخَبَرَ أَيْ بَلَغَ .
(٧) الْأَقْحَوَانُ : (الْبَابُونَجُ) وَهُوَ نَبْتُ طَيِّبِ الرِّيحِ حَوَالِيهِ وَرَقٌ أَيْضٌ وَوَسْطُهُ
أَصْفَرٌ ، وَجَمْعُهُ (أَقَاحِي) وَ (أَقَاح) .
(٨) خَفَّقَ : (خَفَّقَتِ) الرَّايَةُ اضْطَرَبَتْ ، وَكَذَا الْقَلْبُ وَالسَّرَابُ . وَ (خَفَّقَ)
يَخْفِقُ بِالْكَسْرِ (خَفَّقَانًا) بِفَتْحَتَيْنِ أَيْضًا .
(٩) ثَكَلَى : (الثُّكُلُ) فَقْدَانُ الْمَرْأَةِ وَلَدِهَا ، وَكَذَا (الثُّكُلُ) بِفَتْحَتَيْنِ ، وَامْرَأَةٌ
(ثَاكِلٌ) وَ (ثَكَلَى) وَ (ثَكِلَتْهُ) أُمُّهُ بِالْكَسْرِ (ثُكْلًا) وَ (أَثَكَلَهُ) اللَّهُ أُمُّهُ .
(١٠) الْعَنْدَلِيبُ : (الْعَنْدَلُ) الْبَلْبَلُ ، (يُعَنْدِلُ) أَيْ يَصُوتُ ، وَ (الْعَنْدَلِيبُ) طَائِرٌ
يَقَالُ لَهُ : الْهَزَائِرُ ، وَجَمْعُهُ (عَنَّادِلُ) .

على عوده الرطيب ورنده^(١) ، وباح العاشق الكئيب بما يكابده من
هوى زينبه وهنده ، وهام فى فلوات^(٢) خلواته طرباً بما سمعه عن
طيب نجده ، وفرّ هارباً^(٣) إلى من يعلم خفايا ما أبداه وما لم
يُئده ، فالعارف من شكر سوابغ^(٤) النعم ، واحتقر معادن الحكيم ،
ولم يقنه من اللبن إلا بزبدته ، وعلم أن الله تعالى ما أحدث حدثاً ،
وأهمله عبثاً ، بل كل واقف عند حدّه ، باق على حفظ عهده ، مقرّ
بتصديق وعيده ووعدده ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾^(٥) .
أحمدده على كل حال وأسأله توفيق حمده ، وأصلى على سيدنا
محمد رسوله وعبدده ، الذى أنزل عليه فى مُحكم كتابه العزيز
مخبراً برفيع مجده ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ ... ﴾^(٦) صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وعشيرته وجنده .

أما بعد :

فإنى نظرتُ بعين التحقيق ، ورأيتُ بنور التصديق والتوفيق ،
أنَّ كل مخلوقٍ مقرّ بوجود الخالق ، وكل صامت فى الحقيقة ناطق ،
فاستعربت الإشارات ، واستقرأت العبارات ، فرأيت كلاً ناطقاً بلسان
حالهِ ولسان قالهِ ، لكنى رأيت لسان الحال أفصح من لسان القول ،
وأصدق من كل مقال ، لأن لسان الخبر يحتمل التكذيب والتصديق ،

(١) رنده : (الرّند) شجر طيب الرائحة من شجر البادية و ربما سموا العود رندا .

(٢) فَلَوات : (الْفَلَوَاتُ) المفاوز ، واحده (المفازة) .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ... ﴾ سورة الذاريات :

الآية (٥٠) .

(٤) سَوَابِغ : شىء (سَابِغ) أى كامل وافٍ ، و(سَبَّغَتْ) النعمة اتسعت ،

و(أَسْبَغَ) الله عليه النعمة أتمها .

(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ

لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ... ﴾ سورة الإسراء : الآية (٤٤) .

(٦) سورة الإسراء : الآية (١) .

ولسان الحال لا ينطق إلا بالتحقيق . فالناطق بلسان الحال مخاطب
لدوى الأحوال ، والناطق بلسان القال مقابل لأهل الصّحة
والاعتلال .

وقد وضعت كتابي هذا مترجماً عما استفدته من الحيوان برمزه ،
والجماد بغمزه ، وما خاطبتني به الأزهار عن حالها ، والأطيّار عن
مقرّها وارتحالها ، وسميته : كشف الأسرار في حكم الطيور
والأزهار ، وجعلته موعظة لأهل الاعتبار ، وتذكّرة لدوى الاستبصار ،
فاعتبروا يا أولى الأبصار^(١) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾^(٢) .

فمن طالع مثالي ، وفهم ضرب أمثالي ، فذاك من أمثالي ،
ومن أعجم عليه إشكالي فليس من أشكالي ، فأقول واللّه لعبد
كالي^(٣) :

أخرجني الفكر يوماً لأنظر ما أوجدته أيدي القدم في الحديث ،
وأحدثته القدرة البالغة للجد لا للعبث ، فانتفيت إلى روضة قد رقّ
أديمها^(٤) ، ونمي خصيب رطيبها ، وراق نسيمها ، ونمّ^(٥) طيبها ، وغنى
عندليبها ، وتحركت عيدانها ، وتمايلت أغصانها ، وتتمقت^(٦) أزهارها ،
وصوت^(٧) هزّازها ، وتسلسلت^(٨) جداولها ، وتبلبلت بلابلها .

فقلت : يا لها من روضة ما أهنأها ، وخضرة ما أبهاها ، وحضرة

(١) فيه إشارة إلى قول الله تعالى في سورة الحشر ، الآية (٢) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٩٠) . (٣) كالي : حافظ .

(٤) أديمها : (الأديم) وجه الأرض . (٥) نمّ : (النّمّام) نبت طيب الرائحة .

(٦) تتمقت : تزينت ، (نمّقه تنميّقا) زينه .

(٧) صوت : (الصوت) معروف ، و(صات) الشيء ، و(صوت) أيضاً

(تصويّتا) ، و(الصّائت) الصائح ، ورجل (صيّت) بتشديد الياء وكسرهما ،
و(صات) أيضاً أي شديد الصوت .

(٨) تسلسلت : شيء (سليّس) أي سهل ولين .

ما أصفها ، فليتني استصحت صديقاً حميماً يكون لطيب حضرتي
نديماً .

فناداني لسان الحال في الحال : أتريد نديماً أحسن مني ، أو مجيئاً
أفصح مني ؟ وليس شيء في حضرتك إلا وهو ناطق بلسان حاله ،
منادٍ على نفسه بدنوّ ارتحاله ، فاستمع له إن كنت من رجاله . وفي
ذلك أقول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا ^(١)	له نَفْسٌ نَشْرَه ^(٢) صَاعِدُ
فَطَوْرًا يَفُوحٌ وَطَوْرًا يَنْوُحُ	كَمَا يَفْعَلُ الْفَاقِدُ الْوَاجِدُ
وَسَكَبُ الْغَمَامِ ^(٣) وَنُوحُ الْحَمَامِ	إِذَا مَا شَكَى الْغُضْنَ الْمَايِدُ ^(٤)
وَضَوْءُ الْأَقَاحِ وَنُورُ الصَّبَاحِ	وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
وَوَافَى الرِّيحُ بِمَعْنَى بَدِيعِ	يُتْرَجَمُ عَنْ وَرْدِهِ الْوَارِدُ
وَكُلُّ لَأَجْلِكَ مُسْتَبْطُ	لَمَّا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاحِدُ
وَكُلُّ لَآلِئِهِ ^(٥) ذَاكِرُ	مُقِرُّ لَهُ شَاكِرُ حَامِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ	تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

* * *

(١) الصبا : من الشوق ، يقال منه : (تَصَبَّأَى) ، و (الصَّبَا) ريح ومهبها المستوى
أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها ريح الدبور .

(٢) نشره : (النَّشْر) الرائحة الطيبة .

(٣) الغمام : (الْغَمَام) السحاب ، الواحدة (غَمَامَةٌ) ، وقد (أَعْمَّت) السماء أي

تغيمت .

(٤) المايد : (ماد) الشيء تحرك ، و (مادت) الأغصان تمايلت ، و (ماد) الرجل

تبخر .

(٥) لآلئه : (الْآلَاء) النعم ، واحدها (أَلَى) بالفتح وقد يكسر ، ويكتب بالياء

مثل : معى وأمعاء .

إِشَارَةُ النَّسِيمِ (*)

فأول ما سمعت همهمة (١) النسيم، يترنم (٢) بصوته الرخيم (٣)، يقول بلسان حاله، عن صريح لفظه ومقاله : أنا رسول كل محب إلى حبيبه، وحامل شكوى كل عليل إلى طبيبه، إن استودعت سرّاً أدّيته كما استودعته، وإن حُمِلْتُ نَشْراً رَوَيْتُهُ كما سمعته، وإن صحبتُ مصحوباً اتَّحدْتُ فيه بلطافة إيناسي، ومازجته بصفاء أنفاسي، فإن طاب طبت، وإن خبت خبثت، كما قال الشاعر :

الرَّاحُ (٤) كالرَّيحِ إِنْ مَرَّتْ عَلَى عَطْرِ طَابَتْ، وَتَخُبْتُ إِنْ مَرَّتْ عَلَى الْجَيْفِ
ثم إني إن اعتلت صبح بي العليل (٥)، وحيث حلت طاب بي
المقيل (٦)، وإن تنفّست تنفّس المشتاق، وإن نمت توسوست (٧) العشاق،

(*) قال أبو عبادة يصف رقة النسيم :

ورقٌ نَسِيمُ الرُّوضِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَجْبَةِ نَعْمَا
فَمَا يَعْجِسُ الرِّاحَ الَّتِي أَنْتَ خِلْهَا وَمَا يَمْنَعُ الْأَوْتَارَ أَنْ تَتَرَنَّمَا

- (١) همهمة : (الْهَمْهَمَةُ) ترديد الصوت في الصدر .
- (٢) يترنم (الرَّثَمُ) بفتحين : الصوت، وقد (رَنِمَ)، و(تَرَنَّمَ) إذا رجع صوته، و(التَّزْنِيمُ) مثله، و(تَرَنَّمَ) الطائر في هديره، وترنم القوس عند الإنباض .
- (٣) الرخيم : كلام (رَخِيم) أى رقيق، و(الرَّخِيمُ) التلين، وقيل : الحذف، ومنه ترخيم الاسم في النداء، وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر .
- (٤) الراح : (رَاحَ) الشيء يَراحُه وبريخُه أى وجد ريحه، ومنه الحديث : « من قتل نفساً معاهدة لم يَرِخْ رائحة الجنة »، ومنه (تروح) الماء، أى أخذ ريح غيره لقربه منه .
- (٥) العليل : (الْعِلَّةُ) المرض، و(اعْتَلَّ) أى مرض فهو (عَلِيلٌ)، ويقال : لا (أعلك) الله، أى لا أصابك (بِعِلَّةٍ) .
- (٦) المقيل : (القائلة) الظهيرة . يقال : أتانا عند القائلة، ويكون بمعنى (الْقَيْلُولَةُ) أيضاً، وهى النوم في الظهيرة .
- (٧) توسوست : (الْوَسْوَسَةُ) حديث النفس . يقال : (وَسْوَسَتْ) إليه نفسه (وَسْوَسَةً)، و(وَسْوَسَا) بكسر الواو .

فأنا لئن الإعطاف^(١)، هيّن الانعطاف^(٢)، سريع الائتلاف، ولولا وجودى فى الوجود لما كان مخلوق موجود، يعرف لطفى ذور الألطاف فلا تظن اختلاف هوائى سبب إغوائى، بل اختلف فى الفصول الأربع، لما هو أصلح لك وأنفع، فأهبّ فى الربيع شمالاً^(٣) لألقح الأشجار، وأعدّل فصليّ الليل والنهار، وأهبّ فى الصيف صَبًا لأنمى الثمار، وأصفى الأنهار، وأهبّ فى الخريف جنوباً^(٤) فتأخذ كل شجرة حدّ طيبتها، وتستوفى حق تركيبها، وأهبّ فى الشتاء دُبوراً^(٥) فأخذ عن كل شجرة حملها وأوراقها ويبقى أصلها. فأنا الذى تنمو بى الثمار، وتسمو بى الأزهار، وتتسلسل الأنهار، وتلقح بى الأشجار، وتروح بى الأسرار، وأبشرك فى الأسحار بقرب المزار، وفى ذلك أقول:

يَا طِيبَ مَا نَقَلَ النَّسِيمُ لِمَسْمَعِي

عَنْ طِيبِ ذِيَاكَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ

وَأَفَى لِيَنْشُرَ مَا انْطَوَى مِنْ نَشْرِهِ

فَسَكِرْتُ مِنْ طِيبِ الشُّدَا^(٦) الْمَتَضَوِّعِ^(٧)

وَلَرَبَّمَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ إِذَا بَدَتْ

أَنْفَاسُ شَوْقِي الْمَسْتَكِنُ بِأَضْلَعِي

(١) الإعطاف: (عطفا) الرجل جانباه من لدن رأسه إلى وركيه، وكذا عطفا كل شيء جانباه، وثن (عطفه) عنه، أى أعرض منه.

(٢) الانعطاف: (عطف) مال، وعطف عليه: أشفق.

(٣) شمالاً: (الشمال) الريح التى تهب من ناحية القطب، وجمعه (شمالات)، و(شمائل) على غير قياس.

(٤) جنوباً: (الجنوب) الريح المقابلة للشمال.

(٥) دبوراً: (الدُّبُورُ) الريح التى تقابل الصُّبَا.

(٦) الشُّدَا: حدة ذكاء الرائحة.

(٧) المتضوع: (ضاع) المسك تحرك فانتشرت رائحته، والمعنى الشذا المتحرك المنتشر.

هَبِّ الصُّبَا سَحَرًا لُّبَرْدُ غُلَّتِي
فَأَثَارَ نَارٍ تَحَرَّقِي وَتَوَجَّعِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا لِمَا سِرْتُ
مَرَّتْ عَلَيَّ تِلْكَ الرُّبَا الْأَزْبَعِ
فَتَحَمَّلْتُ نَشْرَ الصُّبَا فِي طَيِّهَا
فَسَكَرْتُ وَسَمِعْتُ مَالَم يُسْمَعِ
وَأَفْتُ تُبَشِّرُنِي بِلَيْلِي أَنَّهَا
فِي حُسْنِهَا سَفَرْتُ ^(١) فَلَمْ تَتَبَرَّقِ ^(٢)
وَجَلْتُ ^(٣) عَلَى عُشَّاقِهَا فِي حَائِهَا
وَجْهًا تَمْنَعُ فِي جَمِّي مَتَمْنَعِ

* * *

(١) سَفَرْتُ : المرأة كشفت عن وجهها فهي (سَافِر) ، و (أَشْفَر) الصبح أضواء ، و (أَشْفَر) وجهه حسناً أشرق .
(٢) تَتَبَرَّقُ : (الْبُرْقُوعُ) بفتح القاف وضمها وهو للنساء من الأعراب ، وكذا (الْبُرْقُوعُ) ، و (برقعته فتبرقع) أى ألبسه البرقع فلبسه .
(٣) وجلت : (الْجَلِيُّ) ضد الخفى ، و (الجلاء) الخروج ، و (تجلى) الشيء انكشف ، و (انجلي) عنه انكشف .

إِشَارَةُ الْوَرْدِ (*)

ثم سمعت مجاوبة الأزاهير بألوانها ، والشحاريز بأفنانها ^(١) ، فرأيت
الورد يخبر عن طيب وُروده ، ويعترف بعَرَفِه ^(٢) عند شهوده ، ويقول : أنا
الضَّيف ، الوارد بين الشتاء ، والصيف ، أزور كما يزور الطَّيف ، فاغتنموا
وقتي فإن الوقت سيف . أعطيت نفس العاشق وكُسيَت لون المعشوق ،
فأروِّح الناشق ^(٣) وأهْيِّج المشوق ^(٤) ، فأنا الزائر وأنا المَزُور ، فمن طمع في
بقائي فإن ذلك زور . ثم من علامة الدهر المكدر ، والعيش المَمْرُور ^(٥) ؛
أننى حيث ما نبْتُ رأيت الأشواك تزاحمنى ، والأدغال تجاورنى ، فأنا بين
الأدغال مطروح ، وبنبال شوكى مجروح ، وهذا دمي يُرى عِنْدَما يلوح ،

(*) الورد : ينبت في جميع الأراضى ، ويتكاثر بالعقل ، وأشكاله كثيرة ، ويستعمل منه في
الطب الورد الأحمر الجاف ، وخواصه قابض . وهو أنواع ، أشهرها الورد البلدى أو الدمشقى الذى
يستقطر منه ماء يعرف بماء الورد ، ودهن يسمى عطر الورد ، وهو لذة للنظر والشم فى أعلى درجة ،
ويمكن تسميته بملك الأزهار ، والعطر المتصاعد منه ييسط المخ ، وشكلها مفرح للأعين كلونها أيضاً .
قال الشاعر :

أما ترى شَجَرَاتِ الْوَرْدِ مُظْهِرَةً لَنَا بَدَائِعَ قَدْ رُكِبْنَ فِي قُضْبِ
أوراقها حُمْرٌ أوساطها حُمَمٌ صُفْرٌ وَمِنْ حَوْلِهَا خُضْرٌ مِنَ الشَّطْبِ
كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يَطِيفُ بِهَا زُمُرْدٌ وَسَطُهُ شَذْرٌ مِنَ الذَّهَبِ

(١) أفنانها : (الفُنْ) واحد (الفُنُون) وهى الأنواع ، و (الأفانين) الأساليب ، وهى أجناس
الكلام وطرقه ، ورجل (مُتَفَنِّن) أى ذو فنون .

(٢) عرفه : (العَرَفَ) الريح طيبة كانت أو منتنة ، والمقصود هنا الريح الطيبة .

(٣) الناشق : (اسْتَنَشَقَ) الريح شمها ، و (نَشِيقَ) منه ريحاً طيبة ، أى شم .

(٤) المشوق : (الشَّوَّقَ) ، و (الاشْتِيَاقَ) نزاع النفس إلى الشيء ، يقال : (شاقَ) الشيء
فهو (شائق) وذلك (مَشُوقٌ) ، و (شَوَّقَهُ فَتَشَوَّقَ) أى هيج شوقه .

(٥) الممرور : أى المير ، و (المَرَارَةُ) بالفتح ضد الحلاوة ، وشيء (مَرٌّ) والجمع (أمرار) ،

ويقال : هذا الشيء (أَمَرٌ) من كذا .

فهذا حالى وأنا ألطف الأوراد ، وأشرف الوراد ، فمن ذا الذى سَلِمَ
الأنكاد^(١) ، ومن صَبَرَ على نَكَد الدنيا فقد بلغ المراد .

وبينما أنا أَرْفُلُ^(٢) فى حلل النَّصَارَةِ ، إذ قطفتنى يَدُ النَّظَّارَةِ^(٣) ،
فأسلمتنى من بين الأزهير إلى ضيِّق القوارير^(٤) ، فيذاب جسدى ، ويُحرق
كبدى ، ويُمزَّق جلدى ، ويقطَّر^(٥) دمعى النَّدى^(٦) ، ولا يُقام بأودى^(٧) ،
ولا يؤخذ بقودى^(٨) ، فجسدى فى حُرْقٍ ، وجفونى فى غَرْقٍ ، وكبدى فى
قلقٍ ، وقد جعلت ما رشح من عَرَقى شاهداً لما لقيت من حُرْقى ، فيتأسى
باحتراقى أهل الاحتراق ، ويتروَّح بنفسى ذوو الأشواق ، فأنا فإِنْ عنهم
بأَيَّايَ ، باقٍ فيهم بمعناى^(٩) ، أهل المعرفة يتوقعون لقائى ، وأهل المحبَّة
يتمنون بقاءى ، وفى ذلك أقول :

فإِنْ غِبْتَ جِسْماً كُنْتَ بِالرُّوحِ حَاضِراً فِسِيَّانَ قُرْبَى إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالبَعْدُ
فَلَلِهِ مِنْ أَضْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلاً : إِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

* * *

(١) الأنكاد : (نَكَد) عيشه اشتد ، ورجل (نَكَدَ) أى عَسَرَ ، وجمعه (أنَكَاد) ، و (مَنَاكِدُ) ،
و (نَاكَدُهُ) وهما (يَتَنَاكَدان) أى يتعاسران ، و (الأَنَكَدُ) المشتوم .

(٢) أرفل : (رَفَلَ) فى ثيابه أطالها وجراها متبخرأً ، فهو (رَفِلٌ) ، وكذا (أَرْفَلُ) فى ثيابه .

(٣) النَّظَّارَةُ : مشدداً القوم ينظرون إلى الشيء .

(٤) القوارير : جمع (القارورة) وهى عادة مصنوعة من الزجاج .

(٥) يقطر : (تَقْطِير) الشيء إسالته قطرة قطرة .

(٦) النَّدى : المطر والبلل ، وجمعه (أنْدَاء) وقد جمع على (أنْدِيَّة) وهو شاذ ، و (نَدَى)

الأرض (نَدَاوُئُهَا) وبللها ، وأرض (نَدِيَّةٌ) ، وقيل : (النَّدى) ندى النهار ، و (نَدَى) الشيء ابتل
فهو (نَدِ) ، و (نُدُوَّةٌ) أيضاً ، و (أنْدَاه) غيره ، ونْدَاه (تَنْدِيَّة) . والمعنى المقصود : دمعى المبلل .

(٧) أودى : (أَوَدَ) الشيء أعْوَجَّ ، و (تَأَوَّدَ) تَعَوَّجَ . ومن الكنايات : كسب ما يقيم به أوده .

(٨) قودى : (الْقَوْدُ) بفتح الحين القصاص ، و (أقَاد) القاتل بالقتيل قتله به . يقال : أقاده

السلطان من أخيه ، و (استقاد) الحاكم سألَه أن يقيد القاتل بالقتيل .

(٩) يقصد أنه بعد فنائه عنهم ، فسوف يبقى عندهم على شكل عطر .

إِشَارَةُ الْمُرْسِينَ

فلما سمع المرسين كلام الورد ، قال : لقد لعب النسيم بالبرْد ، وباح النسيم بسرّه ، ونشر السحاب عقود ظلّه ، وتضوّع^(١) البّهّار^(٢) بعزّفه ، وتبرج الربيع بقلائد نحره ، وخلع السرور عذاره ، وبسط على الروض الأنيق أزهاره ، وغرّد الهزار^(٣) ، ورد لعاشقة المزار ، فقم بنا نتفرّج ، ونتيه بحسنه ونتبهرج ، فأيام السرور تُختلس ، وأعمارها بأسرارها تُقتبس .

فلما سمع الورد كلام المرسين قال له : يا أمير الرياحين ، من سلوك الأمراء تأمل الصواب في الآراء ، تأمر باللّهُو عبدك ، وتحض على العيب جندك ، وأسير الرعيّة ، صاحب الفكرة والرّويّة ، فلا يُعجبك حُسنك إذا تماود غصنك ، ولا لحسن أوراقك ، وكرم أعراقلك ، فأيام الشباب كزيارة الأحباب ، سريعة الزوال ، دارسة^(٤) الأطلال ، كالطيف الطارق ، والخيال المفارق ، يطرق ويُلّم ، وينقطع وصله فلا يتم ، وكذلك النبات ، أخضر الجلباب ، مورك العود ، كالقباء^(٥) المزروود^(٦) ، إذ حصد من أصله ، وحكمت الأيام بشتات شمله . والنبات مختلف الأجناس ، كاختلاف الحيوان من

(١) تضووع : (ضَاع) المسك تحرك فانتشرت رائحته ، و (تَضَوُّع) أيضاً ، و (تَضَيُّع) مثله .

(٢) البّهّار : بالفتح العرار الذى يقال له : عين البقر ، وهو بهّار البر ، وهو نبت جعد له تفاحة

صفراء تنبت أيام الربيع يقال لها : العرارة .

(٣) الهزار : العنّديب هو الهزار ، والجمع العنادل . يقال : (البلبل يُعندل) إذا صوت .

(٤) دارسة : (دَرَسَ) الرسم عفا ، و (دَرَسَتْهُ) الريح .

(٥) القَبَاء : الذى يلبس ، والجمع (الأقبية) ، ويقال : (تَقَبَّى) لبس القباء .

(٦) المزروود : (الزرد) بفتحيتين هو الدرع المزرودة ، و (الزرْدُ) هو تداخل حلق الدرع بعضها

الناس : فمنها ما يصلح للنار ، كالحطب اليابس من الأشجار ، ومنها ما يُشتم
ويذبل ، ويُجوّل خطابه ويُنصّل ، وتطرّقه حوادث الأيام ، ويعود مَرَمِيًّا على
الأكوام ، ومنها ما تُؤكل ثماره ، وتحسن في النار آثاره . فإياك والاعتزاز
بزخارف هذه الدار ، إنما أنت فريسة الأسد الهمام ، وعليك إن نصحتك
والسلام ، وفي ذلك أقول :

يَا رَاقِدًا فِي اللَّيْلِ كَمْ ذَا تَنَامُ	أَمَّا تَخَافُ الْعُتْبَ بَيْنَ الْأَنَامِ
فَقُمْ لِمَوْلَاكَ وَكُنْ قَائِلًا	فِي حِنْدِسٍ ^(١) اللَّيْلِ وَجُنْحٍ ^(٢) الظُّلَامِ
يَا رَبُّ بِالْهَادِي شَفِيعِ الْوَرَى	الْمُضْطَفَى ذُخْرِي عَلَيْهِ السَّلَامُ
اهْدِي إِلَهِي مِنْكَ لِي تَوْبَةً	تَمْحُو ذُنُوبِي وَالْخَطَأَ وَالْآثَامِ
فَقَدْ أَتَيْتُ الْآنَ مُسْتَغْفِرًا	مُعْتَرِفًا بِالذَّنْبِ لِي وَالسَّلَامِ

* * *

(١) حندس : (الجندس) بكسر الحاء والذال : الليل الشديد الظلمة .

(٢) جُنْح : الليل بضم الجيم وكسرهما ، طائفة منه .

إِشَارَةُ الْبَانِ (*)

فلما نظرت الأشجار إلى طَرَبِ^(١) البان بينها ، وتمائله دونها ، لأموه على كثرة تمايله ، وعَنَّفوه على عجبه بشمائله^(٢) ، فتمايل هنالك البان ، وقال : لقد ظهر عُذرى عند الناس وبان ، فمن ذا يلومنى على تمايل أغصانى ، واهتزاز خرصانى^(٣) ، وأنا الذى بسطت لى الرياض مطارفها^(٤) ، وأظهرت لى الأزهار زخارفها ، وأهدت إلى نسمات الأشجار لطائفها . فإذا رأيت ساعة نشور^(٥) أموات النبات قد اقتربت ، ورأيت الأرض وقد اهتزت وربت ، ونفخ فى صور رعدى ، ونُسَخ حكم وعيدى بإنجاز وعدى ، وحن وُرُود ورْدى ، فأنظرُ إلى الورد وقد وَرَدَ ، وإلى البرد وقد شَرَدَ ، وإلى الزهر وقد اتَّقَدَ ، وإلى الحب وقد انعقد ، وإلى الغصن اليابس وقد اكتسى بَعْدَ ما انجَرَدَ ، وإلى اختلاف المطاعم والمشارب وقد اتَّحَدَ ، فاعلم أن خالقها أَحَدٌ ، ومُنَوَّعها صَمَدٌ ، وموجودها بالقدرة قد انفَرَدَ ، فلا يفتقر إلى أحدٍ ، ولا يستغنى عنه أحدٌ ، ولا يشاركه فى ملكه أحدٌ ، فهو الأَحَدُ الصَّمَدُ

(*) شجر (البان) يسمو ويطول فى استواء مثل نبات (الأثل) وورقه أيضاً هَدَب كهدب الأثل ، وخشبه خوار رخو خفيف ، وهَدَبه (شكل ورقه) طويل أخضر شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون اللوبياء وفيها حب كالحمص شكلاً ، يستخرج من لبه مادة زيتية مستحبة الطعم تعرف بدهن البان .

(١) طرب : (التَّطَرُّب) فى الصوت مده وتحسينه ، و (الطَّرَب) خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور . وقد (طَرِبَ) بالكسر (طَرَباً) ، و (أَطْرَبَه) غيره ، و (تَطَرَّبَه) .

(٢) شمائله : (الشَّمال) الخُلُق ، والجمع (الشَّمائل) .

(٣) خرصانى : (الخُرِص) بضم الخاء وكسرهما : الحلقة من الذهب والفضة ، وقيل : هو القُرْط بحبة واحدة . ومن الأمثال : ما فى أذنها خرص ولا فى بيتها قُرص .

(٤) مطارفها : (الطرف) الناحية والطائفة من الشيء .

(٥) نشور : (نَشَرَ) الميت فهو (نَاشِئٌ) عاش بعد الموت ، ومنه يوم (النُّشور) ، و (أنشَرَه) الله تعالى أحياءه . والمعنى : إذا رأيت ساعة عودة الحياة لأموات النبات ...

الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(١).

فهناك تمايلت قدودى طرباً بطيب شهودى ، وترنمت بلابل سُودى
على تحريك عُودى ، ثم تدركنى عناية مَعْبُودى ، فَأُفَكِّرُ فى عَدَمى ووجودى ،
وفوات مَقْصُودى ، فأنعطف إلى الورد فأخبره بورودى ، وأخلع عليه من
بُرودى ، وأستخبره عن مصدرى وَوُرُودى ؛ فقال لى : وجودك كوجودى ،
وَمَوْجُودُكَ كَمَوْجُودِى ، وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِى ، فأنت بخضرة قُدُودِكَ ،
وأنا بحمرة خُدُودِى ، فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فى النارِ وَقُودَكَ وَوُقُودِى ، قبل نارِ
خلودك وَخُلُودِى .

فقلت : إذا صحَّ الائتلاف ، ورضيت لنفسك بالتلاف ، فليس للخلان^(٢)
من خلاف ، فنُقْطِف على حُكْم الوفاق ، وَنُخْتَطَف من بين الرِّفاق ، وَتُصَعَّدُ
أنفاسنا بالاحتراق ، وَتُقَطَّر دُمُوعُنَا بالإشفاق ، فإذا فِينَا عَنْ صور أشباحنا ،
وبقينا بمعانى أرواحنا ، فسيان غدونا ورواحنا . وفى ذلك أقول :

وَرَدَ الْوَرْدُ بَشِيرًا بِالذِّى	فيه من لُطْفِ الْمَعَانِى قَدْ حَوَى
فَانْتَشَى الْبَانُ لَهُ مَنَعِطُفًا	لاِثْمًا ^(٣) نَشَرَ الذِّى فيه انطوى
مَالَ يَشْكُو أَهْيَفَ ^(٤) الْقَدَّ لَهُ	فَرَطَ مَا يَلْقَاهُ من حَرِّ الْجَوَى ^(٥)
فَرَثَاهُ الْوَرْدُ إِذْ قَالَ لَهُ	نَحْنُ خِلَانٌ تَسَاهَمْنَا الْهَوَى
فَأَنَا أَنْتَ كَمَا أَنْتَ أَنَا	نَحْنُ فى الْمَعْنَى جَمِيعًا بِالسَّوَى ^(٦)

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإخلاص : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

(٢) الخلان : (الخِلَّ) الود والصديق ، و (الخَلِيل) الصديق ، والأنثى (خَلِيلَةٌ) .

(٣) لاِثْمًا : (اللَّثْم) التقبيل .

(٤) أَهْيَفُ : (الْهَيْفُ) بفتحين ضم البطن والخاصرة ، ورجل (أَهْيَفُ) ، وامرأة (هَيْفَاءُ) ،

وقوم (هَيْفُ) ، وفرس (هَيْفَاءُ) أى ضامرة .

(٥) الْجَوَى : الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن .

(٦) بالسَّوَى : يقصد أنهما فى هذا الأمر متساويان .

كَمْ رُمِينَا فِي لَظَى ^(١) نَارٍ فَلَا
 وَلَكُمْ قَدْ فَرَّقَتْ أَيْدَى النَّوَى
 أَلَمْ تَرَ أَحْشَاؤُنَا قَدْ حُشِيَتْ
 وَبِهَا أَنْفَاسُنَا قَدْ صُعِدَتْ
 كُلُّنَا نَشْكُو بِشَجْوٍ ^(٤) وَاحِدٍ
 قَسَمًا حَقًّا يَمِينًا صَادِقًا
 إِنَّ فِي شَرْحِ غَرَامِي عِبْرَةً
 كُنْتُ بِالْأَمْسِ كَبْدِرٍ طَالِعٍ
 صَاحِبِي ضَلَّ وَلَا قَلْبِي غَوَى ^(٢)
 بَيْنَنَا وَالْغُصْنُ مِنَّا مَا ذَوَى ^(٣)
 بِلَهَيْبِ النَّارِ وَالْقَلْبِ اكْتَوَى
 مِثْلَ مَا قَدْ قُطِّرَتْ مِنَّا الْقُوَى
 وَلِكُلٍّ فِي هَوَاهُ مَانَوَى
 بِالذِي قُدِّمًا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 لَذَوَى الْقَلْبِ إِذَا الْقَلْبُ ارْعَوَى ^(٥)
 وَأَنَا الْيَوْمَ كَنَجْمٍ قَدْ هَوَى

* * *

(١) لظى : (اللَّظَى) النار ، و (التَّظَاء) النار التهابها ، و (تَلْظِيهَا) تَلْهَبُهَا .
 (٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة النجم الآية (٢) : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ .
 (٣) ذوى : (ذَوَى) البقل يَذْوِي بالكسر (ذُوِيًا) فهو (ذَاوٍ) أى ذابل ، وقال يونس : (ذَوَى)
 بكسر الواو لغة ، و (أَذْوَاه) الحر أذبله .
 (٤) شجو : (الشَّجْوُ) الهم والحزن ، ورجل (شَجٍ) أى حزين ، وامرأة (شَجِيَّة) .
 (٥) ارْعَوَى : عن القبيح ، أى كف .

إِشَارَةُ النَّرْجِسِ (*)

فأجابه النرجس من حاضره ، وهو ناظر لمناظره ، وقال : أنا رقيبُ القوم وشاهدُهم ، وسميئُهم ، ومنادِهم ، وسيّد القومِ خادِمُهُمْ^(١) ، أُعَلِّمُ مَنْ لَهُ هِمَّةٌ كيف شروط الخدمة ، أَشُدُّ لِلخِدْمَةِ وَسْطِي ، وَأَوْثِقُ بِالْعَزِيمَةِ شَرْطِي ، وَلَا أَزَالُ واقفاً على قدم ، وتلك وظيفة من خَدَم . لا أجلس بين جُلَّاسِي ، وَلَا أرفع للنديم رأسي ، وَلَا أَمْنَعُ المَتَنَاولَ طيب أنفاسي ، وَلَا أنا لعهد من وصلني ناسي ، وَلَا قلبي على من قطعني قاسي . ثم لا يفارق فمي شرب كاس ، وهو لي بصفوه كَاسِي . بُنِيَ على قضيب الزبرجد^(٢) أساسي ، وَجُعِلَ من العسجد^(٣) واللّجين^(٤) لباسي ، أَلْمُخُ تقصيري فَأُطْرُقُ إِطْرَاقَ الخَجَلِ ، وَأُفَكِّرُ فيما إليه مصيري فَأَحْدَقُ لهجوم الأجل ، والعجيب أنني واقفٌ على التفرقة في مقام الجمع ، يُدْرِكُ معنى شداي حاشة الشَّمِّ لَا حَاشَةَ السَّمْعِ ، وهذا معني لا خَطَرَ بقلبي وَلَا مَرَّ بسمع ، فإطراقِي اعترافاً بتقصيري ،

(*) النرجس : نبات من النباتات البصيلية المعمرة ، أزهاره منتظمة وهو يتكاثر من بصله ، ورائحته زكية ، قال الشاعر عبد الله بن طاهر :

ثَلَاثُ عُيُونٍ مِنَ النَّرْجِسِ عَلَى قَائِمٍ أَخْضَرٍ أَمْلَسِ
كِيَاقُوتِي بَيْنَ دُرٍّ عَلا زَبَرْجَدَةً مُنِيَّةَ الْأَنْفُسِ
يَذْكُرُنِي رِيحُهُنَّ الْحَبِيبِ بَ فَيَنْغُصُنِي لَذَّةَ الْمَجْلِسِ
وَأَحْسَنُ مَا فِي الْوُجُوهِ الْعُيُورِ نُّ وَأَشْبَهُ شَيْءٍ مِنَ النَّرْجِسِ

(١) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في (آداب الصحبة) عن عقبة بن عامر . وفي سنده ضعف وانقطاع ، ورواه أبو نعيم في (الأربعين الصوفية) عن أنس بن مالك ، والخطيب عن جرير بن عبد الله ، وانظر في ذلك كشف الخفا (١٥١٥) ، وكثر العمال (١٧٥١٨) ، وتاريخ بغداد (١٨٧/١٠) .

(٢) الزَّبَرْجَدُ : نوع من الجواهر معروف . (٣) العَسْجَدُ : الذهب .

(٤) اللَّجَيْنِ : بالضم الفضة أو هو اسم جامع للجواهر كله من الدر والياقوت .

وَإِطْلَاقِي لِأَحْدَاقِي ^(١) نَظَرًا فِيمَا إِلَيْهِ مَصِيرِي ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :
 إِنْ يَكُنْ مِنِّي دُنَى أَجَلِي
 قُمْتُ مِنْ ذُلِّي عَلَى قَدَمِي
 لَوْ بَذَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا
 كُنْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا
 إِنْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ سَابِقَةٌ
 لَمْ يَكُنْ فِي الْقَادِمِينَ غَدًا
 مُقْلَتِي مَا شَأْنُهَا أَبَدًا
 عَجَلًا فِي حَتْفِهِ وَكَذَا
 وَقُلْتُ أَيْضًا :

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ الرُّوضِ وَانْظُرْ
 عُيُونٍ مِنْ لَجِينِ شَاخِصَاتٍ ^(٤)
 عَلَى قَضِيبِ الزَّبْرِجَدِ شَاهِدَاتٍ
 وَأَنْ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْبَرََايَا
 إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكَ
 بِأَحْدَاقٍ كَمَا الذَّهَبُ السَّبِيكَ
 بَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ
 إِلَى الثَّقَلَيْنِ ^(٥) أَرْسَلَهُ الْمَلِيكَ

* * *

(١) أَحْدَاقِي : (حَدَقَة) العين سوادها الأعظم ، والجمع (حَدَق) ، و (جِدَاق) ،
 و (التحديق) شدة النظر .

(٢) مَقْلَى : (الْمُقْلَة) شحمة العين التي تجمع البياض والسواد .

(٣) وَجَل : (الْوَجَلُ) الخوف ، وقد (وَجَلَ) بالكسر يُوجَلُ (وَجَلًا) ، و (مَوْجَلًا) أَيْضًا
 بفتح الجيم فيهما ، والموضع (مَوْجَل) بالكسر .

(٤) شَاخِصَات : (شَخَص) بصره فهو (شَاخِص) إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف .

(٥) الثَّقَلَيْنِ : الإنس والجن .

إِشَارَةُ اللَّيْنُوفَرِ (*)

فناداه اللينوفرُ ، وحظه من السقم^(١) أوفى وأوفر ، وقال : أما تعتبر أيها الحزينُ باصفرارى ، وأين من القضاء والقدر فرارى ، أنا الذى قد رضيت بعارى ، و لست من العشق بِعارى ، الرياضُ قرارى ، والغياضُ^(٢) دارى ، فإن كنتَ عاشقاً دارى ، فأهل الدارِ دارى . ها أنا أعشقُ صفاءَ الماءِ ، فلا أفارقه فى الصباحِ والمساءِ ، ومن العجبِ أنى به ولهان ، وعليه لهفان ، وإليه ظمآن ، وأنا معه حيثما كان ، فهل سمعتم بمثل هذا الشأن ، واقفٌ فى الماءِ عطشان ، أفتحُ عينى بالنهارِ ، فيغار على من نظر الأغيار ، فإذا جنَّ^(٣) ليلى أنزلنى عن ربتى وَحَطَّنِى ، وَأَخَذَنى إِلَيْهِ وَغَطَّنِى ، فأغوصُ فى فكرى ، وأعودُ إلى خلوة ذكرى ، فتستغرق عينى فى مشاهدة قرّة عينى ، فلا يعرف الجهول أينى^(٤) ، ولا يفرق العذول بين من أحبه وبينى ، فحيثُ

(*) اللَّيْنُوفَرُ : ويقال : (نيلوفر) اسم معرب ، ومعناه ذو الأجنحة النيلية ، وعرف قديماً باسم (بشنين) ، وفى مصر يعرف باسم عرائس النيل أو اللوتس . وهو نبات معمر عديم الساق ، يعيش فى الآجام وعلى سطح المياه بطيئة الجريان ، جذوره قشرية زاحفة إسفنجية كثيرة التفرع بألياف جذرية ، وأوراقه كبيرة مستديرة أو قلبية الشكل تسبح على سطح الماء ، وأزهاره كبيرة جميلة المنظر بيضاء أو صفراء أو زرقاء أو وردية ، تخلف ثمرأً لحمياً يشبه التفاح . قال الشاعر :

وَبَرَكَةٍ حُفَّتْ بِلَيْنُوفِرٍ أَلَوَّاهُ بِالْحَشَنِ مَنُغُوتُهُ
نَهَارُهُ يَنْظُرُ مِنْ مُقْلَةٍ سَاجِيَةِ الْأَلْحَاطِ مَبْهُوتُهُ
وَإِنْ بَدَا اللَّيْلُ فَأَجْفَاءُهُ فِي لُجَّةِ الْبَرَكَةِ مَسْبُوتُهُ
كَأَنَّمَا كُلُّ قَضِيْبٍ لَهُ يَحْمِلُ فِي أَغْلَاهُ يَأْقُوتُهُ

(١) السقم : (السَّقام) المرض ، وكذا (السُّقم) و (السَّقَم) و (المِسقام) الكثير السقم .

(٢) الغياض : (الغَيْضة) بالفتح الأجمة ، وهى مغيض ماءٍ يجتمع فينبت فيه الشجر ، والجمع

(غياض) و (أَغْيَاض) .

(٣) جنَّ : عليه الليل ، و (جَنَّهُ) الليل يَجُنُّهُ بالضم (جُنُونًا) و (أَجَنَّهُ) مثله . والمعنى :

ستره الليل .

(٤) أينى : (الأين) هو حالة تعرض للشيء بسبب حصوله فى المكان .

ما مال بي هوائى ، لا أنظره إلا حذائى . إن ظمئت رَوَانى ، وإن ميت وَاَرَانى ،
 فحياةٌ وجودى بحياته ، وبقاء شهودى بثباته ، وقيام ذاتى بذاته ، وصفاء
 صفاتى بصفاته ، فما بيتا بين ، ولولاه ما كنتُ أثراً بعد عين ، وفى ذلك
 أقول :

كَسَا الْحُبُّ جِسْمِي ثَوْبَ الضَّنَا ^(١) فَرُوحِي مِنْ شَوْقِهَا فِي عَنَا ^(٢)
 كَأَنَّ الْهَوَى إِذْ رَمَى سَهْمَهُ لِقَلْبِي دُونَ الْوَرَى ^(٣) قَدْ عَنَا
 تَدَانِي فَأَذْنِي إِلَى مُهْجَتِي ^(٤) هَوَى كُلَّمَا قَدْ دَنَا قَدْنَا
 يَقُولُ لِي الْحُبُّ : لَا تَأْلَفَنَّ سِوَانَا إِذَا كُنْتَ مِنْ إِلْفِنَا
 حَمَيْنَا الْوَصَالَ بِيضٍ ^(٥) النَّصَالِ ^(٦) فَإِنْ تَلَقَّ سُمرَ الْقَنَا ^(٧) تَلَقْنَا
 وَلَا تَجْزَعَنَّ بِحَدِّ النَّبَالِ ^(٨) وَمُرَّ النَّكَالِ ^(٩) فِيهِ الْهَنَا
 وَمُتْ مِثْلَ مَا مَاتَ أَهْلُ الْهَوَى وَذَابُوا اشْتِيَاقاً فَنَالُوا الْمُنَى
 وَمَاضِرُهُمْ حِينَ نَادَيْتُهُمْ عَلَى طَوْرِ قَلْبِي أَنِّي أَنَا

* * *

- (١) الضنا : (الضنى) المرض . يقال : رجل (ضنى) و (ضن) ، ويقال : تركته ضنى وضنياً . و (أضناه) المرض أثقله .
- (٢) عَنَا : الذل والخضوع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ... ﴾ [سورة طه : الآية ١١١] ، و (عَنِى) بالكسر (عَنَاء) أى تعب ونصب . و (عَنَاه) غيره (تَغْنِيَة) و (تَعْنَاه) أيضاً (فَتَعْنَى) و (الْمُعَانَاة) المقاساة ، يقال : (غَانَاه) و (تَعْنَاه) و (تَعْنَى) هو .
- (٣) الْوَرَى : الخلق .
- (٤) مهجتي : (الْمُهْجَة) الدم ، وقيل : دم القلب خاصة ، ويقال : خرجت (مُهْجَتَه) أى روحه .
- (٥) بيض : (الأبيض) السيف ، وجمعه (بيضٌ) .
- (٦) النصال : (النَّصْل) نصل السهم والسيف والسكين والرمح ، والجمع (نُصُولٌ) ، و (نِصَالٌ) والمعنى : حد السيف .
- (٧) الْقَنَا : (الْقَنَاة) الرمح ، والجمع على (قَنَوَات) ، و (قَنَّا) .
- (٨) النبال : (النَّبْل) السهام العربية ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وقد جمعوها على (نِبَال) و (أَنبَال) و (النَّبَال) بالتشديد صاحب النبل ، و (النَّابِلُ) الذى يعمل النبل .
- (٩) النكال : (النَّكْل) القيد ، وجمعه (أَنْكَالٌ) .

إِشَارَةُ الْبَنْفَسِجِ (*)

فَتَنْفَسُ الْبَنْفَسِجُ تَنْفَسَ الصُّعْدَا (١) ، وَقَالَ : طُوبَى (٢) لِمَنْ عَاشَ عِيشَ السَّعْدَا ، وَمَاتَ مَوْتَ الشَّهْدَا ، إِلَى مَتَى أَمُوتَ بِالذُّبُولِ كَمَدَا (٣) ، وَأَكْتَسَى بِالنُّحُولِ (٤) أَثْوَاباً جُدَدَا ، أَفْتَنَى الْأَيَّامَ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمْدَا (٥) ، وَغَيَّرَتْنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقْتُ لِي جِلْدَا وَلَا جِلْدَا (٦) ، فَمَا أَقْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشاً رَغْدَا ، وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقَيْتُ يَابِساً مَنْجَرْدَا ، وَجَمَلَةُ فُضُولِي أَنَّنِي أُؤْخَذُ أَيَّامَ حُضُولِي ، فَأُقْطَعُ عَنْ أَصُولِي ، وَأُمنَعُ عَنْ وُضُولِي ، ثُمَّ يُتَّقَوَّى عَلَى ضَعْفِي ، وَيُعْسَفُ (٧) بِي مَعَ تَرْفِي وَلُطْفِي ، فَيَتَنَعَّمُ بِي مِنْ حَضْرَتِي ، وَيَجْتَلِبِنِي مِنْ

(*) الْبَنْفَسِجُ : يَنْبِتُ فِي مَوَاضِعَ ظَلِيلَةٍ حَسَنَةٍ ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا : الْبَنْفَسِجُ الْعَطْرِيُّ ، وَهُوَ نَبَاتٌ مَعْمَرٌ سَاقُهُ زَاخِفٌ ذُو جُذُورٍ هَوَائِيَّةٍ وَأَوْرَاقُهُ مَلْسَاءٌ أَوْ وَبَرِيَّةٌ بَيَضَاءٌ قَلْبِيَّةٌ أَوْ كَلْوِيَّةٌ ، وَأَزْهَارُهُ بَنْفَسَجِيَّةٌ أَوْ وَرْدِيَّةٌ أَوْ بَيَضَاءٌ . وَأَنْوَاعُ الْبَنْفَسِجِ الْمُعْتَادَةُ قَوِيَّةُ الْإِنْبَاتِ تَصْلُحُ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ الرُّطْبَةِ الْمُتَخَلِّخِلَةِ الْمُظْلَلَةِ قَلِيلًا ، وَتَتَكَاثَرُ بِتَفْرِيدِ نَبَاتَاتِهَا فِي فَصْلِ الرَّيْعِ أَوْ فَصْلِ الْخَرِيفِ . أَحْسَنُ الْأَزْمَنَةِ لِرِزَاعَةِ بَذُورِهِ الْخَرِيفُ ، وَأَزْهَارُهُ عَطْرَةُ الرَّائِحَةِ تَصْنَعُ مِنْ خُلَاصَاتِهَا رَوَائِحَ زَكِيَّةً جَدًّا . وَتَسْتَعْمَلُ أَوْرَاقُ الْبَنْفَسِجِ فِي الطَّبِّ شَايًا لِلتَّلْطِيفِ .

قَالَ الْمَهْلَبِيُّ عَنْ الْبَنْفَسِجِ :

بَنْفَسِجٌ بِذِكِّي الْمِشْكِ مَخْصُوصُ مَافِي زَمَانِكَ إِذْ وَافَاةٌ تَنْغِيصُ
كَأَنَّمَا شَعْلُ الْكَبْرِيتِ مَنْظَرُهُ أَوْ نَحْدُ أَغْيَدَ بِالتَّجْمِيشِ مَقْرُوصُ

- (١) الصُّعْدَا : (الصُّعْدَاءُ) بضم الصاد والمد : تنفس ممدود .
- (٢) طُوبَى : فُعْلَى مِنَ الطَّيِّبِ ، قَلْبُوا إِلَيَّ وَأَوَّا لَضِمِّ مَاقْبَلِهَا ، وَيُقَالُ : (طُوبَى) لَكَ ، وَ (طُوبَاكَ) أَيْضًا ، وَ (طُوبَى) اسْمُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ .
- (٣) كَمَدَا : (الْكَمْدُ) الْحُزْنُ الْمَكْتُومُ ، فَهُوَ (كَمِدٌ) وَ (كَمِيدٌ) .
- (٤) التَّحْوِيلُ : الْهَزَالُ وَقَدْ (تَحَلَّ) جَسْمُهُ وَ (تَحَلَّ) بِالْكَسْرِ (تُحْوَلُ) لُغَةً فِيهِ وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ .
- (٥) أَمْدَا : (الْأَمْدُ) بِفَتْحَتَيْنِ : الْغَايَةُ .
- (٦) جِلْدَا : (الْجِلْدُ) بِفَتْحَتَيْنِ : الصَّلَابَةُ . وَ (الْجِلَادَةُ) وَ (جِلْدَا) أَيْضًا وَ (مَجْلُودَا) فَهُوَ (جَلْدٌ) وَ (جَلِيدٌ) وَقَوْمٌ (جُلْدٌ) وَ (جِلْدَاءُ) وَ (أَجْلَادٌ) ، وَأَمَّا (التَّجْلِدُ) فَهُوَ تَكْلُفُ الْجِلَادَةِ .
- (٧) يَعْسَفُ : (الْعُسْفُ) الْأَخْذُ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ ، وَكَذَا (التَّعْسَفُ) وَ (الْاِغْتِسَافُ) وَ (الْعُسُوفُ) الظُّلُومُ .

نظرني ، ثم لم ألبث إلا يوماً ، أو بعض يوم ، حتى أسام بأنجس السَّوْم^(١) ،
ويعادُ عليَّ بَعْدَ الثَّانِي بِاللَّوْمِ ، فَأُمْسِي مِمَّا لَقِيتُ مَمْعُوكاً^(٢) ، فإذا أَصْبَحْتُ
بيد الحوادثِ مَعْرُوكاً^(٣) ، فحينئذ أعودُ يابساً ، ومن النَّصَارَةِ آيساً ،
فيأخذني أهلُ المعاني ، ومن كان للحكمة يُعَانِي^(٤) ، فتفشَّى بي الأورام
الفاشِيَّة^(٥) ، وَتُلَيِّنُ بي الآلام القاسية ، وتلطف بي الطبائع العاتية ، ويدفعُ
بي الأدواء العاديَّة ، والناس يتنعمون بيابسي ورطبي ، جاهلون بعظم خَطْبِي ،
غافلون عَمَّا أودعَ فيَّ من حِكَم ربي ، ولسان الحال يقول عني بلا ضجر ،
فإني لمن تدبرني عبرة لمن اعتبر ، وتذكُّرة لمن اذَّكر ، وفيَّ مُزْدَجَرٌ لمن ازدجر ،
حِكْمَةٌ بِالْغَةِ فما تُغْنِي النَّذْرُ^(٦) ، وفي ذلك أقول :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْبِنْفَسِجِ إِذْ غَدَا يَحْكِي بِأُورَاقٍ عَلَى أَغْصَانِهِ
جَيْشاً طَوَارِقُهُ^(٧) الزَّبَرْجَدُ^(٨) رُصِّعَتْ أَحْجَارُ يَأْقُوتٍ عَلَى خِرْصَانِهِ^(٩)
فَكَأَنَّمَا أَغْدَاؤُهُ بِجِلَادِهِ شِيلَتْ رِءُوسُهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

* * *

(١) السَّوْم : (الشَّوْمَة) بالضم : العلامة تجعل على الشاة وغيرها ، ومنه الخيل (المُسَوِّمَة)
أى المُعَلِّمَة .

(٢) مَمْعُوكاً : يقال : (تَمَعَّكَتِ) الدابة : أى تمرغت ، و (مَعَّكَهَا) صاحبها (تَمَعَّيكاً) .
(٣) مَعْرُوكاً : (العَرِيكَة) الطبيعة ، ويقال : فلان لين العريكة ، أى سلس ، ويقال : لانت
عريكته إذا انكسرت نخوته .

(٤) قصد المؤلف من ذلك إلى استعمال البنفسج في المعالجة والتداوي ، وكان الطب يعتبر من
أقسام الحكمة .

(٥) الفاشية : المنتشرة ، والتفشيش : إزالة الانتفاخ .

(٦) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة القمر ، الآية (٥) .

(٧) طَوَارِقُهُ : (الطُّرَاق) المتكهنون و (الطُّوَارِق) المتكهنات ، قال ليلى :

لعمرك ما تدرى الطوارقُ بالخصي ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(٨) الزَّبَرْجَدُ : حجر يشبه الزمرد وله ألوان كثيرة أشهرها الأخضر .

(٩) خِرْصَانِهِ : (الخِرْص) بضم الحاء وكسرها : الحلقة من الذهب والفضة . و (الخِرْص)

بفتح الحاء : حرز ما على النخل من الرطب تمراً .

إِشَارَةُ الْمَنْشُورِ (*)

فتَأَوَّهَ مَنْظُومُ الْمَنْشُورِ ، بِنَفْثِهِ الْمَصْدُورِ ، وَرَشْفِهِ الْمَوْتُورِ^(١) ، وَقَالَ : مَا هَذَا
الْغُرُورُ بِالْعَمْرِ الْمَبْتُورِ ، وَمَا هَذَا السَّرُورُ بِالْعَيْشِ الْمَكْدُورِ ، أَمَا يَعْتَبِرُ الْعَاقِلُ بِغَصْنِي
الْمَائِلِ ، وَلَوْنِي الْحَائِلِ^(٢) ، وَعَمْرِي الزَّائِلِ ، وَأَيَّامِي الْقَلَائِلِ . غَيَّرْتَنِي حَوَادِثُ
الْأَيَّامِ ، فَقَسَمْتُ لَوْنِي ثَلَاثَةَ أَقْسَامِ ، فَمَنِي الْأَصْفَرُ ، كُسِي مِنَ السَّقَمِ ثَوْباً
مُعْصِفاً^(٣) ، وَمَنِي الْأَبْيَضُ الْيَقْقُ^(٤) ، وَالْأَزْرَقُ الَّذِي كَادَ بِكَمْدِهِ يَحْتَرِقُ .
فَأَمَّا الْأَبْيَضُ ، فَلَا يَفُوحُ عِطْرُهُ ، وَلَا يُنْشِقُ^(٥) نَشْرُهُ ، وَلَا يَكْشِفُ سِتْرُهُ ،
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَتَمَ سِرَّهُ فَمَا بَاحَ ، وَأَخْفَى عِطْرَهُ فَمَا فَاحَ ، وَمَلِكُ أَمْرِهِ
فَلَا تَلْعَبُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَالرِّيَاحُ .

وَأَمَّا الْأَصْفَرُ ، فَخَلَعَ الْعِذَارَ^(٦) وَاسْتَرَا حَ ، وَتَوَشَّحَ مِنَ الشَّقَمِ بِوَشَاحٍ^(٧) ،
وَفَاجَ بَعْطَرَهُ فِي الْغُدُوِّ وَالزَّوَّاحِ . وَنَشَرَ أَنْفَاسَهُ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ ، يَقُولُ
بِلِسَانِ حَالِهِ ، وَصَدَقَ مَقَالَهُ :

إِنْ غَلَبَ وَجْدِي وَبُحْتُ بِمَا عِنْدِي فَلَيْسَ عَلَى الْعَاشِقِ إِنْ بَاحَ جُنَاحُ

(*) الْمَنْشُورُ : جَنْسُ نَبَاتٍ مِنَ الْفَصِيلَةِ الصَّلِيبِيَّةِ ، مِنْهُ الْبَرِّيُّ ، وَمِنْهُ مَا يَزْرَعُ ، وَمِنْهُ أَنْوَاعُ : الْمَنْشُورِ
الْأَصْفَرِ الْمَأْلُوفِ وَيَدْعَى الْخَيْرِي الْأَصْفَرُ ، وَهَنَّاكَ الْمَنْشُورُ الْبِسْتَانِيُّ ، وَالْمَنْشُورُ اللَّيْلِيُّ ، وَالْمَنْشُورُ الشَّتْوِيُّ .
وَتَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ مِنْ أَحْمَرَ إِلَى بِنَفْسَجِي إِلَى أَيْضٍ وَأَصْفَرٍ وَمَرْقَطٍ وَمَوْشَحٍ .

(١) الْمَوْتُورُ : مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَلَمْ يُدْرِكْ ثَأْرَهُ . (٢) الْحَائِلُ : (حَالٌ) لَوْنُهُ تَغْيِيرٌ وَاسْوَدَ .

(٣) مُعْصِفَرٌ : (الْعُصْفَرُ) بَضْمُ الْعَيْنِ وَالْفَاءُ : صَبَغٌ . وَقَدْ (عَصْفَرَ) الثَّوْبَ (فَتَعَصْفَرُ) .

(٤) الْيَقْقُ : أَيْضٌ (يَقَّقُ) أَيْ شَدِيدُ الْبَيَاضِ نَاصِعُهُ .

(٥) يُنْشِقُ : (نَشَقَ) مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً أَيْ شَمَ . وَالْمَعْنَى : وَلَا يَشْمُ مِنْهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ .

(٦) فِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ (٦١١/٢) : اعْتَذَرَ الْعِمَامَةُ : أَرْخَى لَهَا عِذْبَتَيْنِ مِنْ خَلْفِ .

(٧) تَوَشَّحَ ، بَوْشَاحٍ : (الْبَوْشَاحُ) بِالْكَسْرِ : شَيْءٌ يَنْسَجُ مِنْ أَدِيمٍ عَرِيضاً وَيَرْصَعُ بِالْجَوْهَرِ

وَتَشْدُهُ الْمَرْأَةُ بَيْنَ عَاتِقَيْهَا وَكَشَحَهَا ، وَ(تَوَشَّحَهَا فَتَوَشَّحَتْ) لِبَسْتَهُ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : تَوَشَّحَ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ
وَسَيْفِهِ .

لَا تُلْمِنِي إِنْ بَدَا مِنِّي افْتِضَاحٌ فَمَا عَلَى مَنْ بَاحَ فِي الْحَبِّ جُنَاحُ
فَبِحَقِّ اللَّهِ يَا نَسِيمَ الصَّبَا (١) بُلِّغْ سَلَامِي أَهْلَ تِلْكَ الْبِطَاحِ (٢)
وَقُلْ لَهُمْ عَنِّي مَضْنَاكُمْ يُقْلِقُهُ الْبَرْقُ وَمَرُّ الرِّيَّاحِ
مَا نَفَحَتْ مِنْ نَحْوِكُمْ نِسْمَةٌ إِلَّا وَسَّخَ الدَّمَغُ (٣) شَجْوًا وَسَاحَ
لَوْلَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَاكَ الْحِمَى مَا رَاحَ قَلْبِي مُوثِقًا بِالْجِرَاحِ
أَسْرَتْكُمْ الْقُلُوبُ فَيَكْفِيكُمْ لَا تَقْتُلُونِي قَدْ رَمَيْتُ السَّلَاحَ

وأما الأزرق منه ، فانطوى فى جواه (٤) ، وصبر على أذاه ، وكنتم بالنهار
شذاه ، وقال : أنا لا أبوح بسرى لعاشق ، ولا أفوح بنشرى لناشق ، فإذا
جنّ ليلى أبديت ما بى لأحبائى ، وشكوت مُصابى لأهل أوصابى (٥) ، فإذا
دارت الكؤوس ، شربتُ كاسى ، وإذا طابت النفوس صَعَّدْتُ أنفاسى
لِجُلَاسَى ، فَأَنَا لِجُلَاسَى كَالْخِلِّ الْمُوَاسَى ، ومتى دُعِيتُ إِلَى أَنَاسَى سَعِيتُ
عَلَى رَاسَى ، وَإِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَقَاسَى مِنْ الْقَلْبِ الْقَاسَى ، وما كتمتُ
بالنهار عطرى ، واخترت فى الليل هتك سترى وإلا لأن فى اللَّيْلِ خَلْوَةٌ
العشاق ، وراحة كل مشتاق ، وَغَيْثُوبَةُ الرَّقِيبِ ، وحضرة الحبيب ، إذ قال : هل
من سائل جعلت أنفاسى إليه رسائل ، وَذُلَّى لَدَيْهِ وَسَلَّ ، وفى ذلك أقول :
أَصْعَدُ أَنْفَاسَ شَوْقِي إِلَيْهِ وَأُوقِفُ طِيبَ ثَنَائِي عَلَيْهِ
وَمَآبِي إِلَى وَضْلِهِ شَافِعَ سِوَى حُسْنِ ظَنِّي وَذُلِّي لَدَيْهِ
وَقَلْبِي فِي سَخَطِهِ وَالرَّضَى سَوَاءٌ فَلَا حَالٍ عَنْ حَالَتِيهِ

(١) نسيم الصبا : (النسيم) الريح الطيبة ، و (الصَّبَا) ريح ومهبها المستوى أن تهب من
مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار .

(٢) البطاح : (الأبطح) مسيل واسع فيه دُقاق الحصى ، والجمع (الأَبَاطِح) و (الْبِطَاحِ)
بالكسر ، و (الْبِطِيحَةُ) و (الْبِطَحَاءُ) كالأبطح ، ومنه بطحاء مكة .

(٣) وسخ الدمع : (سَخَّ) الماء : صبه ، وَسَخَّ الْمَاءُ بِنَفْسِهِ : سال من فوق ، وكذا المطر والدمع .

(٤) جواه : (الْجَوَى) الحرقنة وشدة الوجد . وقد (جَوَى) فهو (جَوٍ) .

(٥) أوصابى : (وَصَبَ) الشيء (يَصِيبُ) بالكسر (وَضُوبًا) دام . والمعنى : أهل مداومتى .

إِشَارَةُ الْيَاسْمِينِ (*)

فصاح بفصاحته الياسمين ، وقال : أنا الياسمين ، وَيَحْكُمُ إِنِّي أَفُوح
بوقاحة روحى بين الرياحين ، وأترددُ على الآثار حيناً بعد حين ، أَجْلَبُ من
خَزَائِنِ الْعُيُوبِ ، ولا أَسْكُنُ إِلَّا فى كَمَافِينِ الْجُيُوبِ ، أبوح بسرِّ أينما
حضرت ، وأفوح بعطرى أينما خطرت ، لا أخفى على ذى ذوق ، ولا يُنكرنى
من له شوق ، فريحى على الرياحين يعلو ، وزهرى ونشرى على الأزاهير
ينمو ، لأنَّ من طاب معناه ، كان أطيّب وأذكى ، ومن صحَّ دعواه ، كان
أطهر وأذكى ، فمن أراد مراتب العُلَى فَلْيُغْلُ بلطافة معانيه ، وليرقَ فى دَرَج
معاليه ، ولا يكن ممن قَصَّرَ فى تدانيه ، فما يفوز بأمانيه . ثم إنَّ فى إشارة ،
وحقيقتها للعالمين بشارة ، فأول اسمى ياس وآخره مين ، فالْيَاسُ شَيْنٌ والمين
زين ، فلما اجتمعا ياس ومين دَلَّ على بينونة البين ، وَبَشَّرَا بقرّة العين ، وفى
ذلك أقول :

رَأَيْتُ الْقَالَ^(١) يُخْبِرُنِي بِخَبِيرٍ وَقَدْ أَهْدَى إِلَيَّ الْيَاسْمِينُ
قَالَ : لَا تَحْزَنْ فَإِنَّ الْحُزْنَ شَيْنٌ وَلَا تَيْأَسْ فَإِنَّ الْيَأْسَ مِينُ

* * *

(*) الياسمين : نبات ذكى الرائحة ، شجيراتهِ متسلقة ، يعرف منها الآن أكثر من (٤٠)
نوعاً ، وأزهارها بيض أو صفر أو وردية ، ولذلك استنبت منها كثير فى البساتين ، وأنشد فيه الشاعر :

رَقَّةُ الْيَاسْمِينِ وَالْبَهْجَةُ النَّضْرُ سَرَّةُ وَالْمَنْظَرُ الرَّقِيقُ الْأَنِيقُ
كَسُوَّةٌ مِنْ عَوَارِضِ عَيْقَاتٍ أَنْفَاتٍ بِهَا التَّعْيِيمُ شَرِيقُ

(١) القَالَ : أن يكون الرجل مثلاً مريضاً فيسمع آخر يقول : يا سالم ، أو يكون طالباً لشيء
فيسمع آخر يقول : يا واجد ، يقال : (تَقَالَ) بكذا بالتحديد ، وفى الحديث : « كان النبی ﷺ
يحب القَالَ ويكره الطيرة » .

إِشَارَةُ الرِّيحَانِ (*)

فقال الريحان : قد آن حضوري ، وحن سروري ، فخذوني خديماً ،
واتخذوني نديماً ، فرطيب خُضْرَتِي يُخْبِرُ عن طيب خُضْرَتِي ، وكيف
تستريح روحٌ بغير ريحان ، أم كيف يطيب وقتٌ بغير ألحان ، أنا الموعود بي
في الجَنَانِ ^(١) ، الساري بأنفاسي إلى صميم الجَنَانِ ^(٢) ، فلوني أعدل الألوان ،
وكوني ألطف ما في الأَكْوَانِ ^(٣) ، فمن جَنَانِي يَسْتَنَشِقُ نَشْرِي المنطوي في
جَنَانِي ، فأنا أليف الأنهار ، وحليف الأزهار ، وجليس الشُّمَارِ ^(٤) ، وكاتم
الأسرار ، فإن سمعت في جنسي بالنِّمام ، فلا تكن له من اللُّوَامِ ، فإنه ما نَمَّ

(*) الريحان : اسم جامع للرياحين الطيبة الريح ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى في سورة
الرحمن ، الآية (١٢) : ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ .
والريحان في مصر يطلق على المرسين أعنى الآس ، وفي الشام يطلق على جنس من فصيلة
الشفويات ، ويضم عدة نباتات عطرية ، ويدعى في العربية (حَبَق) ، وفي لسان العلم (أَوْقِيمُن)
من كلمة يونانية الأصل . والحبق أنواع كثيرة منه : الحبق المعروف ، والحبق الصغير ، والحبق كبير
الزهر ، وحبق سرنديب .

قال الشاعر علي النيفر :

فَعَطَّرْتُ رَوْضَنَا مِنْهَا بِأَنْفَاسِ	بين الأزاهرِ فَاخْتِ زَهْرَةُ الْآسِ
أَمْسَتْ تَسْمَعُ لِلْأَطْيَارِ وَالنَّاسِ	يَيْضًا مُفْتَحَةً ، كَالْأُذُنِ ، تَحْسِبُهَا
مِنْ فَوْقِ أَغْصَانِهَا لَحْنًا بِقُشْطَاسِ	وَلِلْعَصَافِيرِ تَشْدُو ، وَهِيَ فِي طَرْبِ
وَمَنْ بِهِ بَيْنَ إِنْعَاشٍ وَإِنْسَاسِ	حَتَّى عَدَا الرُّوضُ يَزْهُو فِي مَبَاهِجِهِ
كُلُّ بِإِحْسَاسِهِ أَوْ دُونَ إِحْسَاسِ	وَسَبَّحَ اللَّهَ مَوْلَانَا ، وَقَدَّسَهُ

(١) الجَنَان : بالفتح القلب .

(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الواقعة الآية (٨٩) : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ .

(٣) الأَكْوَان : جمع (الكَوْن) .

(٤) الشُّمَار : (السَّمَر) ، و (المُسَامَرَة) الحديث بالليل ، و (سَمَرًا) أيضاً بفتحتين فهو

(سَامِرٌ) و (السَّامِرُ) أيضاً (الشُّعَار) وهم القوم يسْمرون .

إِلَّا عَلَى عَظْرِهِ ، وَلَا بَاحَ إِلَّا بِسَرِهِ ، وَلَا فَاحَ إِلَّا بِنَشْرِهِ ، بَاحَ بِسَرِهِ إِعْلَامًا ،
وَنَشْرَ بِنَشْرِهِ أَعْلَامًا ، فَلِذَلِكَ سَمِيَ نَمَّامًا ، فَلَيْسَ مِنْ نَمَّ عَلَى نَفْسِهِ كَمَنْ نَمَّ
عَلَى غَيْرِهِ ، وَلَا مَنْ جَادَ بِخَيْرِهِ كَمَنْ عَادَ بِضِيرِهِ ، فَقَدْ جَرَتْ الْأَحْكَامُ ،
وَجَفَتْ الْأَقْلَامُ ، أَنْ النَّمَامَ مَذْمُومٌ بَيْنَ الْأَنَامِ وَالسَّلَامِ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :
سَائِلِي عَنْ خَفِيِّ سِرِّ غَرَامِي وَثِيكَ^(١) اقْصِرْ وَخَلِّني وَهَيَامِي
أَنَا مُسْتَوْدِعٌ لِسِرِّ حَبِيبِي كَيْفَ أُبْدِي وَلَسْتُ بِالنَّمَّامِ

* * *

إِشَارَةُ الْأَقْحَوَانِ^(*)

فَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ الْأَقْحَوَانُ ، وَهُوَ بِمَا كُتِبَ مِنَ النُّضَارَةِ فَرْحَانُ ، وَقَالَ :
قَدْ آنَ ظَهْورِي ، وَحَانَ سُرُورِي ، وَاعْتَدَلَ فَصْلُ وَجُودِي ، وَطَابَ فِي
الْحَضْرَةِ شَهْودِي ، وَكَيْفَ لَا يَطِيبُ وَقْتِي ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ،
وَكَيفَ لَا أَوْدِي بِالشُّكْرِ زَكَاةَ حَوْلِي ، وَقَدْ تَمَّ لِي نَصَابِي مِنْ حَوْلِي ، وَمَا ذَاكَ
مِنْ قَوَّتِي وَلَا حَوْلِي ، فَبِيَاضِي هُوَ الْعَلَمُ الْمُعْلَمُ ، وَاصْفَرَارِي هُوَ السَّقَمُ
الْمُبْرَمُ^(٢) ، وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِي هُوَ الْمُتَشَابَهُ الْمُحْكَمُ ، فَإِنْ كُنْتَ لِلرَّمُوزِ تَفْهَمُ ،

(١) وَثِيكَ : كَلِمَةٌ مِثْلُ وَثِيٍّ وَوَيْثٍ ، وَالْكَافُ لِلْخَطَابِ .

(*) الْأَقْحَوَانُ : (أَقْحَوَان) اسْمٌ مُفْرَدٌ ، وَجَمْعُهُ (أَقَاح) وَيُسَمَّى فِي الْمَغْرِبِ شَجِيرَةً مَرِيْمَ ،
وَفِي مِصْرَ الْكَرْكَاشَ ، وَفِي سُورِيَا رَجُلَ الدَّجَاجَةِ ، وَفِي الْمَوْصِلِ الْكَافُورَ .
وَهُوَ نَبَاتٌ عَشْبِيٌّ سَاقُهُ مُسْتَقِيمَةٌ مُتَفَرِّعَةٌ ، وَأَوْرَاقُهُ مَجْنَحَةٌ ، وَأَزْهَارُهُ بَيَاضٌ أَوْ صَفْرَاءُ ، تُشَبِّهُ
أَزْهَارَ الْبَابُونِجِ بِشَكْلِهَا ، وَالنَّبَاتُ بِأَجْمَعِهِ ذُو رَائِحَةٍ رَاتِنَجِيَّةٍ قَوِيَّةٍ تَنْتِنُ مَغْشِيَةً ، وَطَعْمُهُ شَدِيدُ الْمَرَارَةِ .
قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ لَوْلِي فِي الْأَقْحَوَانِ مُنْظَمٌ عَلَى نُكْتِ مُصْفَرَةٍ كَالْفَرَائِدِ
يُذَكِّرُنَا رُبَّمَا الْأَحْبَةَ كُلَّمَا تَنَفَّسَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدِ

وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ يَعْمَرَ :

وَوَاضِحٌ أَشْنَبَ الْأُتْيَابِ ذِي أَشْرِ كَالْأَقْحَوَانِ إِذَا مَا ثَوْرُهُ لَمَعَا

(٢) الْمُبْرَمُ : (أَبْرَمَ) الشَّيْءُ أَحْكَمَهُ . وَالْمَعْنَى : الْمَحْكَمُ .

فَقُمِ إِلَى تَغْنَمٍ وَإِلَّا فَنَمَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي مَا تَمَّ فَحَقِيقٌ أَنْ يَقَامَ عَلَيْكَ
مَا تَمَّ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

إِذَا لَمْ تُدْرِكِ الْمَعْنَى وَتَدْرِي	خَفَايَا مَا أَقُولُ فَلَا تُلْمَنِي
نَصَحْتُكَ مُشْفِقًا بِلِسَانٍ حَالِي	وَمَا يُنْبِئُكَ شَرْحُ الْحَالِ عَنِّي
أَمَا يَكْفِيكَ حَوْلِي كُلُّ حَوْلٍ	وَمَا نَالَتْهُ أَيْدِي الدَّهْرِ مِنِّي
فَكَمْ وَافَيْتَنِي فِي جَمْعِ شَمْلٍ	زَمَانًا ثُمَّ جِئْتَ وَلَمْ تَجِدْنِي
حَمَامُ الْأَيْكِ يُسْعِدُنِي إِذَا مَا	شَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا أَلْقَى يُجِبْنِي
يُتَوَخَّ عَلَى مَنْ عَلِمَ بَأَنِّي	مَلَقَى لِلْفَنَاءِ بِكُلِّ فَنٍّ
وَأَنْتَ تَظُنُّهُ لَعِبًا وَلَهْوًا	فَتَمَرِّحُ بَيْنَ عِيدَانِي وَغُصْنِي
حَقِيقًا أَنْ يُنَاحَ عَلَيْكَ إِذَا لَمْ	تُفَرِّقْ بَيْنَ أَفْرَاجِي وَحُزْنِي

* * *

إِشَارَةُ الْخُزَامِيِّ (*)

فلما رأى الخزامي ما يكابده الزهر قيداً والتزاماً ، فمنها ما يضام ^(١) ،
فينثر بعد النظام ، وبالثلثين البخس يُسام ، فقال : مالي وللزحام ، ومالي
ومعاشرة اللُّثام ^(٢) ، أنا من بين الأزهار لا أجاور الأنهار ، ولا أسكن إلا على
شفا جرف هار ^(٣) ، بل أوافق الوحش في النُّفار ^(٤) ، وسكني البوادي
والقفار ^(٥) ، أحب من الخلوات فسيح الفلوات ^(٦) ، ولا آسف على ما فات ،
فلا أزاحم في المحافل ، ولا أتحمّل مِنّة الزارع والكافل ، ولا تقطفني أيدي
الأسافل ، ولا أُحمّل إلى لُعب ولا هازل ، ولكنني بعيد عن المنازل ، تجدني
بأرض نجد ^(٧) نازل ، رضيت بالبرّ الفسيح ، وقنعت بالعرعر والشَّيخ ^(٨) ،
تعبث بنشري الرياح ، فتحملني إلى ذوى التقديس والتسييح ، فلا ينشق

(*) الخزامي : هو زهر يضرب به المثل في الطيب ، أوراق أشجاره ضيقة ، وأزهارها سنبلية
زرقاء ، وهو يتكاثر بالبذور ، ويزرع في حافات الحياض في بساتين الخضرة .

(١) يضام : (الضَّيْم) الظلم . وقد (ضَامَهُ) فهو (مَضِيم) و (استَضَامَهُ) فهو (مُسْتَضَام)
أي مظلوم . وقد (ضُمْتُ) بضم الضاد : أي ظَلِمْتُ .

(٢) اللُّثام : (اللَّيْم) الدنيء الأصل الشحيح النفس . وقد (لُوِّمَ) بالضم (لُؤْمًا) و (مَلَأْمَةً)
أيضاً و (لَامَةً) و (أَلَامٌ إِلَّا مَأْمًا) إذا صنع ما يدعو الناس عليه ليماً .

(٣) جرف هار : (الجُرْف) بضم الراء وسكونها ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض ، ومنه
قوله تعالى : ﴿ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [التوبة : ١٠٩] . وقد (جَرَفَتْهُ) السيول (تَجْرِيفًا)
و (تَجَرَّفَتْهُ) .

(٤) النفار : (نَفَرَت) الدابة تَنْفِرُ بالكسر (نَفَارًا) ، وَتَنْفَرُ بالضم (نُفُورًا) و (نَفَر) الحاج من
مِنَى ، و (أَنْفَرَهُ) عن الشيء و (تَنْفِيرًا) و (اسْتَنْفَرَهُ) وكله بمعنى . و (الاشتنفار) النفور أيضاً ،
ومنه (حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) أي (نَافِرَةٌ) و (مُسْتَنْفَرَةٌ) بفتح الفاء : أي مدعورة .

(٥) القفار : (الْقَفْر) مفازة لا نبات فيها ولا ماء ، والجمع (قِفَار) يقال : أرض (قَفْرٌ) ومفازة قَفْر .

(٦) الفلوات : (الْفَلَاةُ) المفازة ، والجمع (الْفَلَا) و (الْفَلَوَاتُ) .

(٧) نجد : (النَّجْد) ما ارتفع من الأرض ، والجمع (نِجَاد) بالكسر . و (نجد) من بلاد

العرب ، وهو خلاف الغور ، فالغور تهامة وكل ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق فهو نجد .

(٨) الشَّيْخ : نبت . و (المَشْيُوحَاء) بالمد وسكون الشين : الأرض التي تنبت الشيخ .

نشرى ، إلا من له شوق صحيح ، وذوق صريح ، ومن هو على زهد المسيح ،
وصبر الذبيح^(١) ، فأنا رفيق السّواح ، فى الغدوّ والرواح ، فأفوز بالأجور ،
وأسلم من حضور أهل الفجور ، ومن يقترب المعاصى بالجحور ، فلا أحضر
على مُنكر ، ولا أجلس عند من يشرب ويسكر ، فأنا الحرّ الذى لا يباع فى
الأسواق ، ولا ينادى علىّ بالنّفاق ، فى سوق النّفاق ولا يُحضرنى الفسّاق ،
ولا ينظرنى إلا من شَمَّر عن ساق ، ورَكِبَ على جواد العزيمة وساق ، فلو رأيتنى
فى البوادي ، يهيم بى النسيم فى كل وادى ، أعطر النّادى وأروّح البادى ،
إن عرّض بذكرى الحادى ، حنّ إلى كل رائح وغادى ، وفى ذلك أقول :

يُحَدِّثُنِي النَّسِيمُ عَنِ الْخُزَامِي	وَيُفَرِّقُنِي عَنِ الشَّيْخِ السَّلَامَا
فَهَيْمْتُ بِمَا فَهَيْمْتُ وَطَبْتُ وَجَدًا	فَمَا أَخْلَاهُ لِي لَوْ كَانَ دَامَا
وَتَسْرِي تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ سِرًّا	فَتُوقِظُنِي وَقَدْ هَجَعُ ^(٢) النَّيَامَا
فَأُسْكِرُ مِنْ شَذَاهَا حِينَ هَبْتُ	كَأَنِّي قَدْ تَرَشَّفْتُ ^(٣) الْمَدَامَا
تُعَارِضُنِي بِأَنْفَاسٍ مِرَاضٍ	كَأَنفَاسِي وَقَدْ حُشِيَتْ غَرَامَا
وَقَدْ عُرِفَتْ بِطِيبِ الْعُرْفِ لَمَّا	كَسَاهَا اللَّطْفُ أَخْلَاقًا كِرَامَا
أَهِيْمُ بِنَشْرِهَا طَرِبًا وَسَكْرًا	فَيُبْدِي الْبَرَقُ مِنْ طَرَبِي ابْتِسَامَا
تَمُرُّ عَلَى الرِّيَاضِ رِيَاضٍ نَجْدٍ	فَتَنْعَطِفُ الْغُصُونُ لَهَا اخْتِشَامَا
وَيُقْلِقُنِي حِمَامُ الْأَيْكِ ^(٤) نَوْحًا	وَتُذَكِّرُنِي الْمَنَازِلَ وَالْخِيَامَا
خِيَامٌ تَجْمَعُ الْأَحْبَابَ فِيهَا	وَفِيهَا يَتَلَعُّ الْقَلْبُ الْمَرَامَا ^(٥)
وَتَجَلَّى وَجْهَ مَنْ أَهْوَاهُ فِيهَا	يَبْهَجُهُ نَوْرُهُ يُجَلَّى الظَّلَامَا

* * *

- (١) الذبيح : يقصد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - .
(٢) هجع : (الهُجُوعُ) النوم ليلاً ، و (التَّهْجَاعُ) النومة الخفيفة ، ويقال : أتيت فلاناً بعد
(هَجَعَةٍ) أى بعد نومة خفيفة من الليل .
(٣) ترشفت : (الرَّشْفُ) المص . وقد (رشفه) و (ارتشفه) أيضاً .
وفى المثل : الرَّشْفُ أنفع : أى إذا (تَرَشَّفْتُ) الماء قليلاً كان أسكن للعطش .
(٤) الأيكة : الشجر الكثير الملتف ، والواحدة (أَيْكَةٌ) .
(٥) المراما : (رَامَ) الشيء طلبه ، و (العَرَامُ) المطلب .

إِشَارَةُ الشَّقِيقِ (*)

فتنفس الشقيق من بين ندمائه ، وهو مضربٌج بدمائه ، واستوى على
ساقه ووثب ، وقال : يا لله العجب ما بال لوني باهى ^(١) ، وحسنى زاهى ،
وقدرى بين الرياحين واهى ، فلا أحدٌ بى يباهى ، ولا ناظرٌ إلى ساهى ^(٢) ،
فياليت شعرى ، ما الذى أسقط جاهى ، أرفل فى ثوبى القانى ^(٣) ، وأنا
مدحوضٌ ^(٤) عند من يلقانى ، فلا أنا فى الحضرة حاضر ، ولا يشار إلى
بالناظر ، ولا أصافح بالمناخر ، وما برحت فى عدد الرياحين آخر ، فأنا طريدٌ
عن صحبى ، بعيد عن قربى ، وما أظن ذلك إلا من سواد قلبى ، ولا حول
لى عن مراد ربى ، فلما رأيتُ باطنى محشواً بالغيوب ، وقلبي مسوداً
بالذنوب ، علمت أن الله لا ينظر إلى الصور ، ولكن ينظر إلى القلوب ،
فكان إعجابى بأثوابى سبباً لحجابى عن ثوابى ، فكنت كالرجل المنافق الذى
حسنت سيرته ، وخبئت سريرته ، وراق فى المنظر سيمته ، وقل فى المخبر

(*) الشقيق : الشقر : شقائق النعمان ، الواحدة شقرة .

والشقيق أو شقائق النعمان أو الشُّقَار : جنس نبات من الفصيلة الرنقولية ، فيه أنواع تتخذ للزينة
أشهرها ما يدعوه الشهاى : شُقَار إكليلى وما يدعى باللاتينية (أنيمون كوروناريا) وأصل كلمة
أنيمون من النعمان ، أى شقائق النعمان . زهرته كبيرة بتلاتها حمراء أو وردية وفى وسطها المذاكير
بلون أزرق مائل إلى السواد .

قال الأخطيل الأهوازى فى الشقائق :

هذى الشقائقُ قد أبصرتْ حُمرتها فوق السوادِ على أعناقها الدُّلُ
كانها دمةٌ قد غسَّلتْ كُحْلاً جادت به وقفةٌ من وجنتى حَجَلِ

(١) باهى : (البهاء) الحسن ، يقال : (بهى) الرجل بالكسر بهاء .

(٢) ساهى : (الشُّهُو) الغفلة . وقد (سَهَا) عن الشيء ، فهو (سَاهٍ) و (سَهْوَانٌ) .

(٣) القانى : قنا لون الشيء قنوا : أى احمر ، فهو قانٍ .

(٤) مدحوض : دَحَضَ رجله : أزلقها .

قيمته ، فلو صلح قلبي ، لصلح أمري ، ولو شاء ربّي ، لأطاب بين الخلائق
 ذكرى ، وأفاح بين الأزهير عطري ، لكنّ شذا الطيب لا يفوح ، إلّا ممن
 يطيب ، وإشارات القبول لا تلوح ، إلّا من رضى عنه الحبيب ، وحقّ لمن
 أصبح بهواه كئيب ، وعن معناه سليب ، أن يُندب عليه بالنعيب ، ويكي
 عليه بالدمع الصبيب ، عسى يرضى عليه الحبيب ، ويمنّ عليه بالتوبة من
 قريب ، وفي ذلك أقول :

لا تلمني إذا شقت ردائي	فلامى يزيد من حر دائي
أنا قلبي قد سودته ذنوبي	وقضى لي معذبي بشقائي
من رآني يظنّ خيراً ولكنّ	باختياري يظنّ أنّي مُرائي
من رأى مُحسنَ منظرِي وليّاسي	والرّزايا ^(١) مُحشوّة بحشائي
واحيائي إذا سُئلت ومالي	من جوابٍ واخجلني وحيائي
لو كُشفت السُّور عن سوءِ حالي	لرأيت السُّرور للأعداء
لكنّ الأمر بين قلبي وربّي	غامرٌ أرتجيه يومَ معادي

* * *

(١) الرزايا : (الرزء) و (الرزية) و (الرزينة) بالمد ، و (الرزية) المصيبة ، والجمع (الرزايا) .

وقد (رزأته رزينة) أى أصابته مصيبة .

إِشَارَةُ السَّحَابِ (*)

فلما حسن العتاب ، وطاب فصل الخطاب ، سح دمع السَّحاب ،
فانبسط وساح في الرحاب^(١) ، وقال : سبحان الله ! أَيْتُكُرُ فضلى عليكم ،
وأنا الباعث طلّى^(٢) ووبلى^(٣) إليكم ، وهل أنتم إلّا أطفال جورى ، ونسل
وجودى ، كم ملأت الأرض بُرّاً^(٤) يبرى ، والبحر دُرّاً^(٥) يدرى ، أنا

(*) السحاب : جمعه (سُحُب) والواحدة (سحابة) وجمعها (سحائب) وهو البخار
المتصاعد من الأنهار والبحار وكل الرطوبات الأرضية ، فإن التبخر دائم فى كل هذه المياه لا يفتقر أبداً ،
ولمّا لا نراه بأعيننا ، لأن البخار يكون ذائِباً فى الجو بالحرارة الجوية ، ولو حدث فى الجو برودة تكاثف
بخار الماء المتصاعد وتكوّن ما يسمى بالضباب ، وهى الشابورة فى لغة مصر فلا يرى الإنسان موطئ
قدمه ، هذه الشابورة هى السحاب بعينها ، لأن تلك الأبخرة متى صعدت للجو ولا مست البرودة
تكاثفت على هذا النحو ورؤيت لنا كأنها جبال وما هى إلّا شابورة عالية ، ومتى زادت البرودة الجوية
عن درجة احتمال ذلك البخار ذابت أجزاءه ونزل نقطاً هو المطر .

ومن أسماء السحاب (الهَيْدَبُ) وهو المتدلى من السحاب كأنه هُذْب القطيفة .

قال عبيد بن الأبرص :

دَانٍ مَسْفٍ فَوَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَاذُ يَلْمِسُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

وقال عمرو بن الأهتم :

تَأَلَّقَ فِى عَيْنٍ مِنَ الْمُزْنِ وَادِقٌ لَهُ هَيْدَبٌ دَانِي السُّحَابِ دُفُوقٌ

(١) الرحاب : (الرَّحِيب) الواسع ، ومنه يقال : فلان رحيب الصدر ، و (رَحْبَتِ) الدار ،
و (أَرْحَبَتْ) بمعنى اتسعت ، و (رَحْبَةٌ) المسجد بفتح الحاء : ساحتها ، وجمعها (رَحَبٌ)
و (رَحَبَات) .

(٢) طلّى : (الطَّلَّ) أضعف المطر ، وجمعه (طلال) نقول منه : (طُلَّت) الأرض ،
و (طُلَّها) الندى ، فهى (مَطْلُولَةٌ) .

(٣) ووبلى : (الْوَابِل) المطر الشديد . وقد (وَبَلَّت) السماء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَخْذُوا
وَيْلًا ﴾ [المزمل : ١٦] أى شديداً ، وضربت ويلاً وعذاباً ويلاً : أى شديد .

(٤) بُرّاً : (الْبَرَّ) جمع (بُرَّة) من القمح .

(٥) دُرّاً : (الدُّرَّة) اللؤلؤة ، والجمع (دُرٌّ) و (دُرَّات) و (دُرَر) .

مَغْذَى نُطَفٍ^(١) الْبِذْرِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَمُسْتَخْرِجِهِ بِالنَّمُو مِنْ غُمَّةٍ غَمِّهِ^(٢) ،
فَإِذَا تَمَخَّضَتْ^(٣) الْحَوَامِلُ بِحَمْلِهَا ، وَاسْتُخْرِجَتْ بَنَاتُ النَّبَاتِ مِنْ حُفْرَةِ
رَمْلِهَا ، جَعَلَتْ حَوَالِيَهَا إِلَى ، وَحَضَانَتَهَا لَدَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ تُذَى دَرَى عَلَيْهِ
دَرَّاراً ، وَمَزِيدٌ يَرَى إِلَيْهِ مَذَرَّاراً ، فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَيَّامُ
الْفِطَامِ ، قَطَعَتْ عَنْهُ دَرَى ، فَيَصْبِحُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَطَاماً ، وَكَانَ بِالْأَمْسِ
يَحْرُسُ أَنْ لَا يُضَامَ سروره فِي انْسِكَابِ عِبْرَاتِي ، وَنَشُورِهِ فِي بَعَثِ قَطْرَاتِي ،
فَالْكُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي ، لَوْ اعْتَرَفُوا بِحَقِّي لَكَانُوا مِنَ الْجَوَى أَطْفَالِي ، وَقَدْ
سَمِعَ كُلُّ حَيٍّ فِي الْحَيِّ ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ^(٤) ، وَفِي ذَلِكَ
أَقُولُ :

وَإِذَا نَظَرْتُ لِرِيعِهَا الْمِهْطَالِي	أَبْكِي عَلَيْهِ بِدَمْعِي الْهَطَالِ ^(٥)
يَبْكِي الْمَشُوقُ إِذَا الْبُرُوقُ تَبَسَّمَتْ	وَوَشَّتْ إِلَيْهِ نَسَائِمُ الْأَوْصَالِ
فَتَنْفَسُ الصُّعْدَاءُ مِنْ زَفَرَاتِهِ	مُتَلَفِّتاً لِدَوَارِسِ ^(٦) الْأَطْلَالِ
لَا تَعْذُلْنَهُ عَلَى جَوَاهِ وَلَا تَلْمُ	لَهُ فَلَسْتُ عَنْهُ إِلَى الْمَمَاتِ بِسَالِي
وَاحْذَرِ مُقَاوِمَةَ الْغَرَامِ فَإِنَّهُ	فِيهِ اللَّيْبُ مُبْلِلُ الْبَلْبَالِ ^(٧)

* * *

(١) نطف : (التُّطْفَةُ) الماء الصافي قل أو كثر ، والجمع (نِطَاف) بالكسر ، و (نَطْفَانُ) الماء
بفتح الطاء : سيلانه . وقد (نَطَفَ) يَنْطِفُ بضم الطاء وكسرهما .

(٢) غمة غمه : (الغم) واحد (الغُوم) تقول منه : (غَمُّهُ فَأَغْتَمَ) ، وتقول : (غَمُّهُ) أى
غطاه (فانغم) و (الغُمة) الكربة .

(٣) تمخضت : (تَمَخَّضَ) اللبن و (امْتَخَضَ) أى تحرك فى المخضة ، وكذا الولد إذا تحرك
فى بطن الحامل .

(٤) فيه إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة
الأنبياء : الآية (٣٠) .

(٥) الهطال : (الْهَطْلُ) تتابع المطر والدمع وسيلانه ، يقال : (هَطَلَتْ) السماء و (هَطَلْنَا)
بفتح الطاء ، و (تَهْطَالَا) أيضاً ، وسحابٌ (هَطِلٌ) ومطرٌ (هَطِلٌ) كثير الهطالان .

(٦) دوارس : (دَرَسَ) الرسم عفا ، و (دَرَسَتْهُ) الريح ، و (دَرَسَ) الثوب أخلق .

(٧) البلبال : الهم ووسواس الصدر .

إِشَارَاتُ الْأَطْيَارِ وَأَوَّلُهَا إِشَارَةُ الْهَزَارِ^(*)

فبينما أنا مُضْغِعٌ إِلَى منادمة أزهارها ، على حافات أنهارها ، إذ صاحت
فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا من أوكارها ، فأول من صَوَّتَ الهزار ، ونادى على نفسه
بخلع العذار ، وباح بما عنده من الأسرار ، وقال : أنا العاشق الولَّهَان ، أنا
الهُائِمُ اللَّهْفَان ، أنا الواله الظُّمَّان ، إذا رأيت فصل الربيع قد حان ،
ومنظره البديع قد آن ، تجدني في الرياض فرحان ، وعلى الأغصان أُرْدَّد
الألحان ، أغنى فأطرب ، وأدير كأسى فأشرب ، فأنا من نشوتي سكران ،
ومن نغمتي طربان^(١) ، إذا زمزم النسيم ، وخفقت أوراق أغصان البان ،
أرقص على العيدان ، كأن الزهر والنهر لى عبدان ، وأنت تحسبني في ذلك
عابثاً ، لا والله لست في يميني حائثاً ، إنما أنوح حزناً لا طرباً ، وأبوح ترحاً^(٢)
لا فرحاً ، لأنني لا أجد روضة إلا نُحِتَ عليها وعلى اضمحلالاتها^(٣) ،
ولا خُضرة إلا تبليت على زوالها ، لأنني ما رأيت صفوة إلا وتكدّرت ،
ولا عيشة حلوة إلا وتمرت ، وقد قرأت في محكم القرآن ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَانٍ ﴾^(٤) فكيف لا أنوح على عيش يزول ، وحالٍ يحول ، ووصل عن قريب
مفصول ، فهذه الجمل من شرح حالي تغنى عن الفصول ، وفي ذلك أقول :
حَدِيثُ ذَاكَ الْحِمَى رَوْحِي وَرِيحَانِي فَلَا تَلْمِني إِذَا كَثُرْتُ أَلْحَانِي

(*) الهزار : طائر من رتبة الجواثم ، دقيق المنقار ، حسن التغريد .

(١) طربان : (التَّطْرِب) في الصوت مده وتحسينه . و (الطَّرب) خفة تصيب الإنسان لشدة
حزن أو سرور . وقد (طَرِبَ) بالكسر (طَرَباً) و (أَطْرَبَهُ) غيره و (تَطَرَّبَهُ) .

(٢) ترحاً : (التَّرْح) ضد الفرح .

(٣) اضمحلالاتها : ذهابها ، يقال : (أَضْمَحَلَّ الشَّيْءُ) ذهب .

(٤) سورة الرحمن : الآية (٢٦) .

رَوْضٌ بِهِ الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا
مِنْ أَيْضٍ يَتَّقِي أَوْ أَصْفَرَ عَبَقِي
وَالزَّهْرُ وَالنَّهْرُ وَالْأَطْيَارُ تَرْقُصُ فِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَشَمْلُ الْوَضِلِ مُجْتَمِعٌ
وَحُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
أَوْ أَزْرَقَ بَرَقِي أَوْ أَحْمَرَ قَانِ
مَيْدَانِ عِشْقِي عَلَى أَوْتَارِ عِيدَانِي
هَذَا هُوَ الْعَيْشُ لَوْلَا أَنَّهُ فَانِي

* * *

إِشَارَةُ الْبَازِ (*)

فناداه الباز من ميدان البراز^(١) : ويحك لقد صغر جرمك^(٢) ، وكبر
جُرمك ، وضعف قدرك ، ولقد أقلت بتغريدك الطير ، وإطلاق لسانك

(*) الباز : من سباع الطير ، صالح للتمرن على الصيد ، وأجوده المنقط الأبيض ، وهو من أشد
الحيوانات تكبراً وأضيقتها ذرعاً ، وجمع البازي (بزة) .
ومن عجائب المخلوقات : البازي من أشد الجوارح تكبراً وأضيقتها خلقاً ، وقالوا : البازي
لا يكون إلا أنثى ، وذكرها يكون من نوع آخر من الحدأة والشاهين ، ولهذا نرى الاختلاف في
أشكال البازات وذلك بحسب الذكر ، فلو كان الغالب عليه بياض اللون ، فهو أحسن البزاة ،
وأسهلها رياضة ، وأجرأها قلباً . والبازي لا يتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحر
ودفع البرد ، وإذا أراد أن يبيض بيني بيتاً مسقفاً لئلا يقع على فرخه المطر والثلج .
حكم أكله : يحرم أكله بجميع أنواعه لنهيه ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب
من الطيور . رواه مسلم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وبهذا قال أكثر
أهل العلم . قال الصنوبري (أحمد بن محمد) يصف بازي أبي محمد بن أبي تمام :

بَازِيكَ هَذَا مِنْ رَفِيعِ الْبَزِّ
ذُو مَنَسْرِ أَقْنَى وَرُشَغِ كَزِّ
مُسْرَبَلٍ مِثْلَ حَيِّكَ الْقَزِّ
جَمُّ الْمَهَامِيزِ شَدِيدُ الْهَمَزِ
بِأَسْفَلِ الْقَاعِ وَأَعْلَى النَّشْرِ
أَبَ لَنَا بِالْقَبْحِ وَالْإِوَزِّ
مَوْشُومَةُ الْأَهْبِ سِمَاتُ الْوَحْزِ
مُخْتَلِطٌ أَغْمَارُهَا مُبْتَزِّ
طِرَازُهُ شَاهِدُهُ فِي الطَّرِزِ
وَمِخْلَبٍ لَمْ يَغْدُ إِشْفَى الْخَرِزِ
أَوْ مِثْلَ جَزْعِ الْيَمَنِ الْأَرْزِيِّ
لَمَّا لَزَزْنَا الطَّيْرَ بَعْدَ اللَّذِّ
وَكُنَّا مُتَنَصِّبٌ فِي الْعَرِزِ
مِنْ جَيْلٍ صَلْدٍ وَمَرْجٍ نَزِّ
عَنْ لَنَا مِنْهُ سَحَابٌ رِجَزِ
فَازَتْ الْقِدْرُ أَشَدَّ الْأَزِّ

(١) البراز : بالكسر : ميدان المبارزة .

(٢) جرمك : (الجِزْم) بالكسر : الجسد ، وبضمتها : الخطأ والذنب .

يجلب عليك الضرير ، وما يفضي بك إلى خير ، وما يهلك الإنسان ، إلا
عثرات اللسان ، فلولا لقلقة^(١) لِسَانِكَ ، ما غربت عن أوطانك ، وأخذت
من بين أقرانك ، وحبست في ضيق الأقفاص ، وشُدَّ عليك باب الخلاص ،
فهل ذلك إلا ممّا جناه عليك لسانك ، وأفصح به بيانك ، فلوا هتديت
بشيمتي^(٢) ، واقتديت بسيرتي ، لبرئت من الملامة ، وعلمت أن الصمت
رفيق السلامة ، ألا تراني كيف ألفت السكوت ، ولزمت الصموت ، فكان
الصمت جمالي ، ولزوم الأدب كماله ، اقْتَنِصْتُ^(٣) من البادية قَهْرًا ،
وجلبت إلى بلاد الغربية جبراً ، فلا بالسريّة بُحت ، ولا على العشيرة نُحت ،
بل أُدْبْتُ حين غُرِّبت ، وقُرِّبت حين جُرِّبت ، ومُنِحت حين امتحنت ، وقد
قيل فيما تقدم من الزمان عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان ، نظر مؤدبي إلى
تخليطي الوقت ، فخاف عليّ من المقت^(٤) ، فكم بصري بِكمامة ، ولا تُمَدَّنْ
عَيْنَيْكَ^(٥) ، وعقد لسانى بعقدة ، ولا تحرك به لسانك^(٦) ، وقيد قدمي
بقيد ، ولا تمش في الأرض مَرَحاً^(٧) ، فأنا في وثاقي أتألم ، وممّا أُلَاقِي
لا أتكلّم ، فلما كُتِّمْتُ وعُلمْتُ ، وأُدْبْتُ وهُدْبْتُ ، استخلصني مؤدبي إلى
إرسال الصيد ، وأزال عني ذلك القيد ، فأطلقت وأرسلت هناك بإشارة إنّا
أرسلناك^(٨) ، فلما رُفِعَت الأكمة عن عيني ، وأصلحت ما بينه وبينى ، رأيت
الملوك خدمني ، وأكفّهم تحت قدمي ، وفي ذلك أقول :

(١) لقلقة : (اللَّقْلُقُ) اللسان ، وفي الحديث : « من وقى شرَّ لِقْلَقِهِ » . قال أبو عبيد :
(اللَّقْلَقَةُ) شدة الصوت .

(٢) شيمتي : (الشَّيْمَةُ) الخلق .

(٣) اقْتَنِصْتُ : (الْقَانِصُ) و (الْقَنِيصُ) و (الْقَنَاصُ) مفتوحاً مشدداً الصائد . و (القنيص)
أيضاً الصيد ، وكذا (الْقَنْصُ) بفتحين ، و (قَنْصَه) صاده ، و (اقْتَنْصَه) اصطاده .

(٤) المقت : (مَقَّتَه) أبغضه ، فهو (مَقِيَّتٌ) و (مَقْقُوتٌ) .

(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة طه : الآية (١٣١) .

(٦) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة القيامة : الآية (١٦) .

(٧) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء : الآية (٣٧) ، وسورة لقمان : الآية (١٨) .

(٨) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : الآية (١١٩) .

أَمْسَكْتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الْعُلَا إِنْسَانِي ^(١)
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ قُرْبَ مَنِيَّتِي لَزَحَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنْسَانِي
أُذِّبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعَلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
أَرْسَلْتُ عَنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرِّدًا وَجَعَلْتُ مَا أَبْغِيهِ نُصَبَ عِيَانِي
حَتَّى ظَفَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمْلَيْتُهُ ثُمَّ اسْتَجَبْتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
هَذَا لَعَمْرِكَ وَشُمُّ كُلِّ مَكْلَفٍ بِوُضَائِفِ التَّسْلِيمِ وَالْإِيمَانِ

* * *

إِشَارَةُ الْحَمَامَةِ (*)

فبينما أناست مستغرق في لذة كلامه ، معتبر بحكمه وأحكامه ، إذ رأيت أمانه حمامة ، قد جعل طوق العبودية في عنقها علامة ، فقلت لها : حَدِّثْنِي عن شوقك وذوقك ، وأوضح لي ما حكمة تطويق طوقك ؟ فقالت : أنا المطوقة بطوق الأمانة ، المتقلدة تقليد الصيانة ، فأنا لحمل الأمانة قد نُدِبت ،

(١) إنساني : (إنسان العين) البؤر .

(*) الحمامة : تطلق على الذكر والأنثى ، والجمع حمام وحمامات .

والحمام الذي يألف البيوت قسمان :

أحدهما : البرى ، وهو الذى يلزم البروج وما أشبه ذلك ، وهو كثير النفور وسمى برئاً لذلك .

والثانى : الأهلى ، وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة .

والحمامة من أشد الطيور ذكاء ، ومن طبعه أن يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ، ويحمل الأخبار ويأتى بها من البلاد البعيدة ، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ، ثم هو على ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه إلى وطنه ، حتى يجد فرصة فيطير إليه . وسباع الطير تطلبه أشد الطلب ، وخوفه من الشاهين أشد ، وهو أظير منه ، ولكنه يذعر منه ويعتره ما يعترى الحمار إذا رأى الأسد ، والشاة إذا رأت الذئب ، والفأرة إذا رأت الهر . ومن عجيب الطبيعة أنك ترى عجباً بين زوج الحمام من الملاعبة والغنج مثل ما يجرى بين الرجل والمرأة من القبل والملاعبة والمعانقة وغيرها . ويمتاز صنف الحمام عن غيره من الطيور أنه عندما يشرب الماء لا يرفع رأسه ، بل يغمر منقاره حتى المنخرين فينسحب الماء إلى الفم . ومن مناقبه حبه للناس وأنس الناس به . وقد أكثر الشعراء فى وصف الحمام ، ومن ذلك ما قاله خلف المازنى فى وصف حمامة :

مُطَوِّقَةٌ كَسَاهَا اللَّهُ طَوْقاً لَمْ يَكُنْ ذَهَباً

جُمُودُ الْعَيْنِ مَبْكَاها يَزِيدُ أَخَا الْهَوْلِ نَصَباً =

وبالمحافظة عليها أمرت ، فإذا رأيت أهل الجناية نَدَبْتُ أحمل الرسائل ،
وأبلغ الوسائل ، وأجيب المسائل ، وأؤدي الأمانة ، ولا أسائل ، ولكني أخبرك
بخبري ، لتعلم حقيقة مخبري ، أخبرك بالقصة الصحيحة ، فإن الدين
النصيحة ، ما كل طائر أمين ، ولا كل حالف يصدق في اليمين ، ولا كل
سالك هو من أصحاب اليمين ، وإنما المخصوص بحمل الأمانة جنسي ،
وما أبرئ نفسي ، يحمل الأمانة منا من كان أبلق^(١) وأخضر ، لأنه أحسن
في الشكل والمنظر ، وأعدل في الخبر والمخبر ، ولا تكون الشيم العلية إلا
في الروح الزكية ، ولا شرف العزيمة إلا في النفس النفيسة المستقيمة ، فإن
اعتدال لون الطائر يدل على اعتدال تركيبه ، فيصلح حينئذ تقريبه وتأديبه ،
فلما باشرني مؤدبي بالتخريج ، وعرفني الطريق بالتدريج ، أقول : حملوني
ما شئتم ، فأحمل كتب الأسرار ، ولطائف الأخبار ، فحينئذ أطيّر ، وأقطع
الهول المستطير ، خائفاً من جارح جانح ، حاذراً من سايح سارح ، جازعاً من
صائد ذابح ، أكابد الظماً في الهواجر ، وأطوى على الطوى^(٢) في المهاجر ،
فلو رأيت حبة برّ مع شدة جوعى ، عدلت عنها ، وذكرت ما جرى على
آدم منها ، فأرتفع خشية من كمين فخّ مدفون ، أو شرك يعوقني عن تبليغ
الرسالة فأنقلب بصفقتي مغبوناً^(٣) ، فإذا أنا وصلت ، وفي مأمنى حصّلت
أديت ما حمّلت ، وعملت بما علّمت ، فهناك طوّقت ، وبالبشارة خلّقت ،
ثم أنقلب إلى شكر الله على ما وُفّقت ، وفي ذلك أقول :

= مَفْجَعَةٌ بَكَتْ شَجْراً فَبِتْ لِشَجْوِهَا وَصَباً
نَزَفَ عَلَيْهِ إِمّاً مَالٌ مِنْ شَوْقٍ أَوْ انْتَصَباً
وَمَا فَغَرْتُ فَمّاً وَبَكَتْ بِلاَ دَمْعٍ لَهَا انْشَكَباً

(١) أبلق : (البَلَق) سواد وبياض ، وكذا (البُلُقَة) بالضم ، يقال : فرس (أبلق) ، وفرس

(بَلَقَاء) .

(٢) الطوى : (طَوَاه) تَطْوِيهِ (طَيّاً فَانْطَوَى) و (الطَّوَى) الجوع .

(٣) مغبون : (غَبْنَه) خدعه ، وقد (غَبِنَ) فهو (مَغْبُون) مخدوع .

أَحْبَابِي وَصَلْتُمْ أَوْ صَدَدْتُمْ فَعَبَدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
مُقْسِمٌ لَا يُزَحْزِحُهُ عَذُولٌ وَلَا يُثْنِي مُعْنَفُهُ عِنَانَهُ
حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى جِبَالٌ أَنْ تَحْمِلَهَا وَزَانَهُ
فَحِظْ الْعَهْدِ مَا وَافَاهُ حُرٌّ وَلَوْ أَوْدَى ^(١) هَوَاهُ بِهِ وَشَانَهُ ^(٢)

* * *

إِشَارَةُ الْخُطَّافِ (*)

فبينما نحن نتذاكر أوصاف الأشراف ، وأشراف الأوصاف ، إذ نظرت
إلى خطّاف ، وهو بالبيت قد طاف ، فقلت له : مالى أراك للبيوت ملازم ،
وعلى مؤانسة الإنس عازم ، فلو كنت فى أمرك حازم ، لما فارقت أبناء جنسك ،
ورضيت فى البيوت بحبسك ، ثم إنك لا تنزل إلّا فى البيوت العامرة ،
والمنازل التى هى بأهلها عامرة ، فقل لى : يا كثيف ^(٣) الطبع ، يا ثقیل
السمع ، اسمع الآن قصة حالى ، وكيف عن الطيور ارتحالى ، أنا ما فارقت
أمثالى ، وعاشرت غير أشكالى ، واستوطنت السقوف ، دون الشُّعاب ،
والكهوف ، إلّا لفضيلة الغربة ، ولزوماً لأدب الصّحبة ، صحبت من ليس

(١) أَوْدَى : أهلك ، يقال : أودى الرجل أى هلك ، فهو (مُودٍ) .

(٢) شَانَهُ : من الشَّيْنِ الذى هو ضد الزَّيْن . والمعنى : أهلكه وشانه .

(*) الخطّاف : بالضم طائر أسود صغير كالعصفور ، جمعه خطاطيف ، ويسمى العصفور
الأسود ، وزرور الهند ، وعصفور الجنة ، ومنه النوع المسمى بالسُّنُونُو ، يألف البيوت العامرة ،
ولا يفرخ فى عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ، ويزعج بعض الناس أنه هو الطير الأبايل الذى
عذب الله تعالى به أصحاب الفيل .

قال الشاعر :

خُطَّافَةٌ سَبَّحَتِ اللَّهَ بِعُجْمَةٍ يُفْهَمُ مَعْنَاهَا

مَدِيدَةُ الصَّوْتِ إِذَا مَا انْتَهَتْ لَكِنَهَا تُذَمَّجُ مَبْدَاهَا

كقارئ إن تأتبه وَقْفَةٌ مَدُّ بِهَا الصَّوْتُ وَجَلَّاهَا

(٣) كثيف : (الكَثَافَةُ) الغلظ فهو (كثيف) و (تَكَثَّفَ) أيضاً .

منى لأكون غريباً ، وجاورت من هو خير منى لأضرب لى بينهم نصيباً ،
فأعيش عيش الغرباء ، وأفوز بصحبة الأدباء ، فالغريب مرحومٌ فى غربته ،
ملطوف به فى صحبته ، فقصدت المنازل ، غير مضرّ بالنازل ، أبتنى بيتى
من حافات الأنهار ، وأكتسب قوتى من مباحات القفار ، فلست للجار
كمن جار ، ولا لأهل الدار كالغدار ، بل أحسن جوارى مع جارى ، أكثر
سوادهم ، ولا أستطعم زادهم ، فزهدى فيما فى أيديهم ، هو الذى حببنى
إليهم ، ولو شاركتهم فى قوتهم ، ما بقيت معهم فى بيوتهم ، فأنا شريكهم
فى أبنيتهم ، لافى أغذيتهم ، مُزاحمهم فى أوقاتهم ، لافى أقواتهم ،
مكتسب من أخلاقهم ، لا من أرزاقهم ، منتهب من جمالهم ، لا من مالهم ،
مقتبس من برّهم ، راغب فى حُبّهم لافى حُبّهم ، فزهدى بما فى أيديهم هو
الذى حببنى فيهم ، مقتدياً فى ذلك بإشارة صاحب البشارة ﷺ « ازهد فى
الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » (١) ، وفى
ذلك أقول :

كُنْ زَاهِداً فِيمَا حَوْتُهُ يَدُ الْوَرَى تُضْحَى إِلَى كُلِّ الْأَنَامِ حَبِيباً
أَوْ مَا تَرَى الْخُطَافَ حَرَمَ زَادَهُمْ فَقَدْ رَيْباً (٢) فِى الْحُجُورِ قَرِيباً
قُلْتُ : لِلّهِ دَرْكٌ لَقَدْ عِشْتَ عَيْشاً سَعِيداً ، وَسِرَتْ سَيْراً حَمِيداً ،
وَوُفِّقْتَ أَمراً رَشِيداً ، وَقُلْتَ قَوْلاً سَدِيداً ، وَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيداً ،
فَالْعَاقِلُ يَفْهَمُ ، وَالْجَاهِلُ يَنْدَمُ .

* * *

(١) الحديث رواه ابن ماجه فى سننه (٤١٠٢) ، ورواه الحاكم فى المستدرک (٣١٣/٤) ،
وأورده العجلونى فى كشف الخفا (١٥٦/١) ، والزبيدى فى إتحاف السادة (٣٠٩/٨) ،
وأبونعيم فى الحلية (١٣٦/٧) .

(٢) رَيْباً : (رَيْبٌ) الرجل ابن امرأته من غيره ، والأنثى (رَيْبِيَّة) .

إِشَارَةُ الْبُومِ (*)

فناداه البوم وهو منفرد بالخراب مهموم ، أيها الصديق الصادق ، لا تكن بمقالة الخطاف واثق ، ولا لعقله موافق ، فإنه إن سلم من شُبّه زادهم ، فما سلم من شبهة فرحهم وأعيادهم ، وتكثير سوادهم ، وقد علمت أن من كثر سواد قوم فهو منهم ، ولو صحبهم ساعة صار مسئولاً عنهم ، وقد علمت أن مبدأ التفريط من آفة التخليط ، والخلطة غلطة ، وأول السيل نقطة ، واعلم أن السلامة في العزلة ، فمن وليها لا يخاف عزله ، فهلاً استسنّ بسنتي ، وتأسى بوحدتي ، واعتزل المنازل والنازل ، وزهد في المآكل والآكل ، فلا أساكنهم في مساكنهم ، ولا أراحمهم في أماكنهم ، ولا أجالسهم في مجالسهم ، بل اخترت لنفسى الدائر من الجدران ، ورضيت بالخراب على العمران ، فسلمت من الأنكاد ، وأمنت من شرّ الحساد ، ولم أزل عن الأحباب فريداً ، وعن الأتراب بعيداً ، من كان مسكنه التراب ، كيف يساكن الأتراب ،

(*) البوم : جمعه أبوام للذكر والأنثى ، والهاء في بومة للواحد لا للتأنيث ، وقيل : بومة للمفرد ، وجمعه بوم . وهو طائر يسكن الخراب ، لا يبرز بالنهار لضعف بصره ، يحب الوحدة ، وتشاءم الناس به ، والحيات والأفاعى تهرب من صوته . قال الجاحظ : وأنواعها : الهامة (وهى العظيمة الرأس) والصدى ، والضُّوع ، والبُوهة ، والخَبَل ، والشَّج . وبعض هذه الطيور يصيد الفأر والعصافير وصغار الحشرات ، وبعضها يصيد البعوض ، وهى من الطيور النافعة ككل الطيور الليلية ، وهى تبيض أربع بيضات ، وهى قوية السلطان بالليل لا يحتملها شيء من الطير ، فإذا رآها الطير بالنهار قَتَلَنَهَا وبتفن ريشها للعداوة التى بينهن وبينها .

وحكم أكله : يحرم أكل جميع أنواعها .

قال سويد بن أبى كامل عن البوم :

بَشْ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِى مَطْعَمٌ وَخَسَمٌ وَدَاءٌ يُدْرَعُ

لَمْ يَضُرَّنِى غَيْرَ أَنْ يَخْسَدَنِى فَهُوَ يَزُقُّوْا مِثْلَ مَا يَزُقُّوْا الضُّوعُ

[يدرع : يكتسى ، يزقوا : يصيح ، الضوع : من أسماء البوم] .

ومن كان الليل والنهار يجريان من عمره ، فكيف لا يقنع بالخراب ، ومن علم أن الموت وراءه كيف يتعلق بالأسباب ، ومن علم أن العمر قصير ، وأن كل شيء إلى الفناء يصير ، قنع من الدنيا باليسير ، وبات على خشن الحصير ، وأفطر على قرص الشعير ، وعلم أن الخلق في المصير ، فريق في الجنة ، وفريق في السَّعير^(١) .

أما أنا فنظرت إلى الدنيا وذهابها ، وإلى الآخرة واقترابها ، وإلى القيامة وحسابها ، وإلى النفس واكتسابها ، فشغلني التفكير في حالي عن منزلي الخالي ، وأذهلني ما علني ومالي ، عن أهلي ومالي ، وأهمني صحتي واعتلالتي عن القصور العوالي ، فجلا^(٢) اليقين عن بصر بصيرتي كل شبهة ، فعلمت أن لا فرح يدوم ولا نزهة ، وأن كل شيء هَالِكٌ إِلَّا وجهه^(٣) ، فعرفت من هو ، وما عرفت ما هو ، فحيث كنت لا أرى إِلَّا هو ، وإذا نطقت فلا أقول إِلَّا هو ، لأنه لَا إِلَهَ إِلَّا هو^(٤) ، وفي ذلك أقول :

أَفَرَدَنِي عَنْهُمْ هَوَاهُ	وَلَيْسَ لِي مَقْصِدٌ سِوَاهُ
أَهِيْمُ وَخُدِي بِصِدْقِي وَجِدِي	وَحُسْنِ قَصْدِي عَسَى أَرَاهُ
أَنْكَرَ صَحْبِي غَرَامَ قَلْبِي	وَمَا دَرَوُا بِالَّذِي ذَهَاهُ ^(٥)
أَحْبَبْتُ مَوْلى إِذَا تَجَلَّى	يَقْتَبِسُ الْبَدْرُ مِنْ سَنَاهُ
تَحْيِرَ النَّاسِ فِيهِ شَوْقًا	وَجُمْلَةَ النَّاسِ فِيهِ تَاهُ
وَلَا أَسْمِيهِ غَيْرَ أَنِّي	إِنْ غَلَبَ الْوَجْدُ قُلْتُ : يَا هُوَ

فَأَخَذْتُ مَوْعِظَتَهُ بِمَجَامِعِ قَلْبِي ، وقلت : هذا رحمة من ربي ، وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَابِسَ عُجْبِي ، إِلَّا أَنَّ الْهَوَى يَقُولُ : عُجْ بِي^(٦) .

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشورى ، الآية (٧) . (٢) جلا : أى أوضح وكشف .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة القصص ، الآية (٨٨) : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة ، الآية (١٦٣) .

(٥) ذَهَاهُ : أصابه ، يقال : ما (ذَهَاكَ) أى ما أصابك .

(٦) عُجْ بِي : عاج فلان بالمكان : أقام فيه .

إِشَارَةُ الطَّاوُوسِ (*)

ثم التفتُ ، فرأيت طاووساً ، قد شرب من خمرة العُجب كؤوساً ، قد زخرف بملابس التليس ، وهو الذى عاد عليه شؤم إبليس ، قد زين ريشه ألوان ، وفنن عيشه أفنان ، لا يأوى إلّا إلى الجنان ، والله يعلم بما فى الجنان ، فقلت له : ويحك ، كم بينك وبين البوم من الحظ المقسوم ، فأنت أيها العائى ^(١) نظرت إلى الصور ، وهو نظر إلى المعانى ، فأنت تفرح بالفانى ، وتغتر بالأمانى ، فقال لى : يا عانى ، يا من بالشماتة نعانى ^(٢) ، لا تظهر لى الشماتة ، ولا تذكر الحزين ما فاته ، فقد قيل فى الخبر : « ارحموا عزيز قوم

(*) الطاووس : طائر هندی حسن الريش والهيئة ، وله ذيل طويل ، كثير الألوان ينشره وراءه على صورة جميلة ، والذكر منه فى غاية الحسن ، له فى رأسه ريش خضر تتخللها ألوان أخرى زاهية ، وفى ذنبه ريش أخضر فيه عيون ملونة ، وليس للأنثى شىء من ذلك . كنيته عند العرب أبو الحسن وأبو الوشى ، وهو فى الطير كالفرس فى الدواب عزاً وحسناً ، وفى طبعه العفة ، وحب الزهو بنفسه ، والخيلاء والإعجاب بريشه ، وعقده لذنبه لا سيما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه ، وإذا نظر إلى ساقيه وجم لذلك وانكسر نشاطه وزهده ، فصاح صياح العويل ، وذلك لدقة ساقيه ونتوء عرقوبه ، والأنثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين .

وقد أحسن الشاعر فى وصفه حيث قال :

طيرٌ على أشكاليه رئيسٌ	سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّاوُوسُ
كأنما يخلو به التّعريش	كأنه فى نقشه عروس
فى الرئيس منه زُكِبَتْ فُلُوسُ	ديباجة تُنَشَّرُ أو سدوس
فى الرأس منه شَجَرٌ مَغْرُوسُ	تُشْرِقُ مِنْ دَارَاتِهَا شُمُوسُ
أو زَهْرٌ مِنْ حُزْمٍ يَثُوسُ	كأنه بِنَفْسِجٍ يَمِيسُ

وتضرب الأمثال بالطاووس منها : أزهى من طاووس ، وأحسن من طاووس .

(١) العائى : الأسير ، يقال : (عَتَا) فلان فيهم أسيراً ، أى أقام على إسهاره فهو (عَائٍ) وقوم

(عُنَاة) ونسوة (عَوَان) .

(٢) نعانى : نعى على فلان ذنوبه : أظهرها وشهرها .

ذلّ ، وغنى قوم افتقر ^(١) ، أين كنت يا مسكين ، وأنا فى الجنّان أطوف
 بين الظلال والقطوف ، أدورُ دورَها ، وأزور حورها ^(٢) ، وأسكن قصورها ،
 شرابى التسبيح ، وطعامى التقديس ، حتى ساق لى القدر إبليس ، فألبسنى
 ملابس التلبيس ، حتى عوّضنى بالخسيس ^(٣) عن النفيس ، ولقد كنت لمراده
 كاره ، لكن القضاء والقدر يوقع فى المكاره ، وينقُر الطير عن أوكاره ، ولقد
 كان إبليس يرفل فى حُلّ ^(٤) حُبّه ، وخلع قربه ، فما تركه شؤم ^(٥) رأيه ،
 حتى تاه ^(٦) على آدم بعُجبه ، فأوقعنى فى الخطيئة ، وما أطلعنى على ماله فى
 الطويّة ^(٧) ، غير أنى كُنت له دلاله ^(٨) ، وكانت الحيّة فى دخوله الجنة
 محتاله ، فأخرجت معهم من دار العزّ إلى دار الهوان والإذلال ^(٩) ، وقيل :
 هذا أُجرة الدّلال ، وهذا جزاء من عاشر الأنذال ^(١٠) ، ثم أبقيت على زينة
 ريشى ، أتذكر به ما كان من صفو عيشى ، فيزيدنى ذلك تحرقاً وتشوّقاً ، ثم
 جُعِلْتُ على علامة السخط فى ساقى ، أنظرها بإحداقى ^(١١) ، وينادى على

(١) أورده الزبيدى فى الإتحاف (٥٥٩/٨) ، وكذا على القارى فى الأسرار المرفوعة (٤٦٣) .

(٢) حورها : يقصد الحور العين .

(٣) الخسيس : الدنى . وقد (خَسَّ) يَخْسُ بالفتح (خِسَّة) و (خَسَّاسَةٌ) و (اسْتَخَسَّهُ)
 عده خسيساً .

(٤) حُلّ : (الحُلّ) برود اليمن ، و (الحُلّة) إزارٌ ورداء ولا تسمى حُلّة حتى تكون ثوبين .

(٥) شؤم : (الشؤم) ضد اليُمن ، يقال : رجل (مشؤم) و (مشؤوم) ، ويقال : ما أشأم
 فلاناً ، والعامّة تقول : ما أَيْشَمَه . وقد (تَشَاءَمَ) به بالمد .

(٦) تاه : يَتِيه (تيهاً) تكبر .

(٧) الطويّة : الضمير .

(٨) دلاله : (الدليل) ما يُستدلُّ به ، والدليل الدالُّ أيضاً . وقد (دَلَّه) على الطريق يَدُلُّه بالضم

(دِلَالَةً) بفتح الدال وكسرهما .

(٩) دار الهوان والإذلال : يقصد دار الدنيا التى نعيش فيها .

(١٠) الأنذال : (النَّذالة) السفالة . وقد (نَذَلَ) فهو (نَذْل) و (نَذِيل) أى خسيس .

(١١) إحداقى : (حَدَقَ) العين سوادها الأعظم ، والجمع (حَدَقَ) و (حِدَاق) و (التحديق)

شدة النظر .

بنقض ميثاقى ، ثم إنى ألفت من البقاع بقعة ، تشاكل ما خرجت منه ،
وطردت بما فعلت عنه ، فأتذكر بالبساتين مراع (١) ربوعى (٢) ، وأجرى عليه
سواكب دموعى ، وألوم نفسى التى كانت سبباً لوقوعى ، وأقول كلما
ذكرت تفريق جموعى :

يَا دَارُ هَلْ يُقْضَى لَنَا بِرُجُوعٍ وَيَعُودُ لِي يَا عَيْنُ طِيبَ هُجُوعِ
يَا سَادَةَ كَادَ الْمَشُوق بِذِكْرِهِ يَقْضِي أَسَاءَ فِي سَاعَةِ التَّوْدِيعِ
قَلْبِي لِيَوْمِ فِرَاقِكُمْ مُتَوَجِّعٍ وَارْحَمَتَاهُ لِقَلْبِي الْمَوْجُوعِ
فَرَّقْتُمْ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَالْكَرَى (٣) وَوَصَلْتُمْ بَيْنَ الْأَسَى (٤) وَضُلُوعِ
جِسْمِي مَعِيَ وَالْقَلْبُ بَيْنَ خِيَامِكُمْ مَا ضُرُّكُمْ لَوْ كَانَ ثُمَّ جَمِيعِ
وَإِذَا ذَكَرْتُ لِيَالِيَا سَلَفْتُ لَنَا فِي وَصْلِ أَحْبَابِي بَيْنَ ظِلِّ رُبُوعِ
فَأَكَادُ مِنْ حُرْقِي أَذُوبُ صَبَابَةً لَوْلَا يَجُودُ عَلَيَّ فَيْضُ دُمُوعِ
وَوَعْدْتُمُونِي فِي الْحَيَاةِ بِزُورَةٍ فَتَضَاعَفْتُ حُرْقِي وَزَادَ وُلُوعِ
إِنْ كَانَ ذَنْبِي صَدْنِي عَنْ وَصْلِكُمْ فإِلَيْكُمْ فَقَرِي أَعَزُّ شَفِيعِ
مَاضِي الْقَطِيعَةِ لَا يُعَادُ وَمَا جَرَى كَافٍ وَحُبِّي ذَلَّتِي وَخُضُوعِ

فقال : تالله ، لقد رثيت (٥) لمصابه ، وبكيت لأوصابه (٦) ، لأنه لا شيء
أبكى من الاغتراب ، بعد الاقتراب ، ولا أنكى (٧) من الحجاب ، بعد
مشاهدة الأحباب .

* * *

(١) مراع : (المَرْبَعُ) منزل القوم ، تقول : هذه (مَرَابِعُنَا) أى منازلنا .
(٢) ربوعى : (الرُّبْع) الدار بعينها حيث كانت ، وجمعها (رَبَاع) و (رُبُوع) و (أَرْبَاع)
و (أَرْبَع) .

(٣) الكرى : النعاس . (٤) الأسى : الحزن .

(٥) رثيت : (رَثَيْتُ) الميت إذا بكيته وعددت محاسنه ، وكذا إذا نظمت فيه شعراً ، و (رَثَى)
له رق .

(٦) أوصابه : (الوَصَب) بفتح الصاد : المرض . (٧) أنكى : أشد أو أقصى .

إِشَارَةُ الدَّرَّةِ (*)

فبينما هو كلما نظر إلى ريشه نظرة ، تذكر تلك الحشرة ، فتجدد له الحسرة ، وكلما نظر إلى ساقه نظرة صاح وصعد الزفرة ، إذ رأيت إلى جانبه دُرَّةً ، قد كُسيَتْ ثياباً خَضِرَةً ، فصاحت بفصاحتها : أَيُّهَا الطاووس ، إلى كم هذا العُجُوس ، والعيش المنكوس^(١) ، أنت في الصورة عروس ، وفي المعنى كظلة الناورس ، أوقعك الرأي المعكوس ، حتى خرجت من منزلك المأنوس ، وإنَّما أُخرجت من مسكنك لجنايتك على السَّاكن ، وتحريكك للأمر القاطن ، فلو فكَّرت في السبب الذي أُخرجت به ، والشخص الذي طردت بسببه ، لاشتغلت بإصلاح شأنك ، عن التنزه في بستانك ، ويجب عليك كما جنيت على آدم في تلك الدار ، أن تشتغل ههنا بالاعتذار ، وتشاركه في الاستغفار ، وتعترف بعد الإنكار ، وتزاحمه في خلوات الأذكار ، لعلك أن تزور معه إذا زار ، فإنه لا بدَّ له أن يعود ، وتعود إليه أيام السعود ، فإن آدم أُخرج إلى مزرعة الدنيا ، وقيل له : ازرع اليوم ما هو في الغد محصود ، فإذا انتهى زرعك ، ونَمَّا فرعك ، فعُدْ إلى مقامك المحمود ،

(*) الدَّرَّةُ : هي هذا الطائر المعروف بـ (البغاء) طائر معروف مشهور ، دمث الخلق ، ثاقب الفهم ، يقال : ببغاء ذكر وأنثى ، وجمعه ببغاوات . من الطيور المتسلقة ، يوجد في بلدان كثيرة ، وهو من أذكى الطيور ، صوته شديد ولكنه يستطيع أن يحاكي ألفاظ الإنسان فيكون بذلك محبوباً مرغوباً فيه ، في لونه الأخضر والأسود والأحمر والأصفر . يأكل الحبوب والفاكهة ، ويبيض من اثنين إلى أربع بيضات على حسب نوعه . أنواعه كثيرة . قال أبو إسحاق الصايي في صفة البغاء :

أَنعَتْهَا صَبِيحَةٌ مَلِيحَةٌ نَاطِقَةٌ بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
غَدَتْ مِنْ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِئِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارِ وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارِ
سَكَاءٌ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ

(١) المنكوس : (تَكَسَّ) الشيء (فَاتَكَسَّ) قلبه على رأسه ، و (نَكَسَهُ تَنْكِيساً) .

على رغم الحسود . فمن عمل عملك فهو مسعود ، وحذا حذوك فهو موعود بدار الخلود ، ألا ترى كيف عَلَتْ هَمَّتِي ، وَسَمَتْ عَزِيمَتِي ، فلم أرضَ لنفسي بما رضيته أبناء جنسي ، لأنني نظرت إلى الوجود ، وما فيه موجود ، فرأيت آدم وبنيه من الكلّ مقصود ، خلق الله الكائنات لأجلهم ، وخلقهم من أجله ، فوصلهم بحبله ، وفعل بهم ما هو من أهله ، فلذلك زاحمتهم في كلامهم ، وشاركتهم في طعامهم ، فأتشبه بهم ، وإن لم أكن منهم ، وأخالطهم ولا أرغب عنهم ، فغلت قيمتي إذ علت عزيمتي ، فأحلوني محلّ النديم ، وألّف بيني وبينهم من له الحكم القديم ، فاذا ذكر كما يذكرون ، وأشكر كما يشكرون ، لعلهم عند اللقاء يذكرون ، وإذا ذكرت يشكرون ، فأكون في الدنيا من خدامهم ، وفي الجنة تحت أقدامهم ، وفي ذلك أقول :

اخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصْحَ النَّاسِ مَخْبِرٌ
أَنَا قَدْ أَحْبَبْتُ قَوْمًا شَرَّفُوا مَعْنَى وَمَنْظُرُ
كَبِّرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَطْهَرُ
هَكَذَا قَدْ قَالَ حَقًّا سَيِّدُ الْكَوْنِ وَبَشَّرُ
كُلُّ مَنْ يَهْوَى حَبِيبًا فَمَعَ الْمَحْبُوبُ يُحْشَرُ^(١)

فلما سام نفسه بهذا السّوم ، ورأيته قد جلس بمزاحمته في صدور مجالس القوم ، قلت : ما رأيت كاليوم ، البهائم في اليقظة ، وأنا في النوم ، مالي لا أراحم على أبواب ذوى المراحم ، لعلّ يوهب مرحوم لراحم ، ويقال : مرحباً بالقادم ، ها قد وهبنا الجناية للنادم .

* * *

(١) فيه إشارة إلى قوله ﷺ في الحديث الشريف : « المرء مع من أحب ... » وإلى قوله ﷺ : « من أحب قوماً فهو منهم ، ويوم القيامة يحشر معهم » .

إِشَارَةُ الْخُفَّاشِ (*)

فناداه الخفّاش ، وهو فى ارتعاش : إِيَّاكَ وَالزَّحَام ، فقد حام حول الحمى
حام ، وهو من ذوى الأرحام ، فَمَا أذن القَسَام إِلَّا لَسَام^(١) :
فَلَا المَنَى^(٢) يُدْرِكُ بِسُمر القَنَا^(٣) وَلَا العُلَى^(٤) يَغْلُو بِحَدِّ الحُسَامِ
ولكن عليك بأوقات الخلوات ، والقيام فى الليالى المظلمات ، ألم ترانى
إذا طلعت الشمس ، دخلت إلى وكرى ، وإذا انبَسَطَت النفس ، صفت لى
خلوة فكرى ، فأنا فى النهار ، لا أزور ولا أزار ، محجوبٌ عن الأبصار ،
محبوبٌ إلى ذوى الاستبصار ، فإذا دجى^(٥) ليلى جردتُ^(٦) ذَيْلى ، وجعلت
الليل معاشى ، وفيه انتعاشى ، لأن فيه يفتح الباب ، ويرفع الحجاب ،

(*) الخفّاش : طائر لبون غريب الشكل ، ذو أذنين وأسنان ويبول كما تبول ذوات الأربع ،
ويرضع ولده ويحيض ، لذلك فهو يختلف عن الطيور فى كل شيء . وله ثلاثة أسماء : الخفّاش وهو
الأشهر ، والخُشَّاف ، والوطواط . وهو من طيور الليل لا يبصر فى ضوء ولا فى ظلمة ، لذلك
يتحرى الوقت الذى لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء ، وهو قريب غروب الشمس ، ويتفق أن هذا الوقت
الذى يخرج فيه البعوض وأشباهه ووقت انتشاره فى طلب الرزق ، فيتصيد الخفّاش ويتغذى به ،
وهو شديد الطيران سريع القلب ، وتلد أنثاه ما بين ثلاثة إلى سبعة ، ويحمل ولده تحت جناحيه ،
وقد ترضعه الأنثى وهى طائرة .

- (١) سام : (السَّامُ) الموت .
(٢) المنى : (الأُمْنِيَّةُ) واحدة (الأَمَانِي) ويقال فى جمعها : (أَمَانٍ) و (أَمَانِي) بالتخفيف
والتشديد ، تقول من الأمانة : (تَمَنَّى) الشيء و (مَنَى) غيره (تَمْنِيَّةٌ) .
(٣) القَنَا : جمع (قَنَاء) وهى الرمح ، ويجمع أيضاً على (قَنَوَات) .
(٤) العُلَى : (العَلْيَاء) كل مكان مشرف ، و (العَلَاء) و (العَلَا) الرفعة والشرف ، وكذا
(المَعْلَاة) ، والجمع (المَعَالِي) .
(٥) دجى : (الدُّجَى) الظلمة . وقد (دَجَا) الليل ، وليلة (داجيةٌ) ، وكذا (أَدَجَى) الليل
و (تَدَجَى) .

(٦) جردت : (تَجَرَّدَ) للأمر : أى جدد فيه .

ويخلو الحبيب بالأحباب^(١) ، وتغفل أعين الرقباء ، وتتيقظ أشجان المحبين ، وأحزان الغرباء ، ثم لا تصادف إلا العشاق وذوى الأشواق ، ومن هو لكاس المحبة قد ذاق ، فيفتح الحبيب بابَه ويرفع حجابَه ، وينادى أحبابَه ، فترفع الرسائل بالدمع السائل ، وتُجَاب المسائل بالطف الوسائل ، ويقال : يا جبريل أقم فلاناً وأئم فلاناً ، وقل لمن كتم حُبِّي يصرح بالإعلان ، وقل لمن هو ظمآن ، هذا الكأس ملآن ، وقل لمن هو فى حبنا ولهان إن الوصل قد آن ، وفى ذلك أقول :

يَا قَلْبُ لَا يُؤْذِي بِكَ الْخَفَقَانُ	رَاضِيَ الْحَبِيبَ وَوَاصِلُ الْغَضَبَانِ
وَصَفَتْ أَوْثِقَاتُ السُّرُورِ بِوَصْلِهِ	فَعَلَيْكَ فِي حُكْمِ الْهَوَى سِلْوَانُ
لَا تَكْخَلَنَّ بِغَيْرِ نُورِ جَمَالِنَا	إِنْسَانَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
الْيَوْمَ يَنْسَخُ بَيْنَنَا مِنْ بَيْنِنَا	لَا صَدَّ يُخْشَى لَا وَلَا هُجْرَانُ
لَا يُبْعِدَنَّكَ عَثْبُنَا عَنْ بَابِنَا	فَالْعَهْدُ بَاقٍ وَالْوِدَادُ مُصَانُ
فَبِحُبِّنَا وَبِلُطْفِنَا وَبِوَضْفِنَا	شَاعَ الْحَدِيثُ وَسَارَتِ الرُّكْبَانُ
فَلَرُبَّمَا يَكْبُو ^(٢) الْجَوَادُ وَرُبَّمَا	يَنْبُو الزَّنَادُ وَتَعَثُّ الْفُرْسَانُ
فَاخْضَعْ وَذَلِّ لِمَنْ تُحِبُّ فَإِنَّهُ	حُكْمُ الْهَوَى أَنْ تَخْضَعَ الشُّجْعَانُ
وَإِذْ ذَلَلْتَ لِعَزَّنَا ذَلَّتْ لِعَزِّ	تِكَ الْمُلُوكُ وَهَابَكَ السُّلْطَانُ
يَا أَيُّهَا الْعُشَّاقُ دُونَكُمْ السُّبَا	قُ فَهَذِهِ الشُّقْرَاءُ وَالْمَيْدَانُ

فقلت له : أيها الطائر الضعيف مالى أراك تخالف من سواك ، إذا طلعت الشمس وقعت فى الغشا ، فلا تزال كذلك إلى العشا^(٣) ، فتعمى بما يستضىء به الناس ، وهذا خلاف القياس .

فقال : يا آدمى التكوين ، ذلك لأنى فى مقام التلوين^(٤) ، وما بلغت

(١) فيه إشارة إلى اجتهد المجتهدين وما يفعلون فى اجتهدهم وعبادتهم بالليل ، والناس نيام .

(٢) يكبو : (كَبَا) لوجه سقط فهو (كَاب) .

(٣) العشا : سوء البصر نهاراً . والعشا : أول الليل .

(٤) التلوين : هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة .

إلى مقام التمكين^(١) ، لأن المتلَوّن الخائف ، يدهش عند تشعشع أنوار المعارف ، والتممكن العارف ، من يثبت عند شهود أسرار اللطائف ، وإنما عدم تمكّنى فى تلوينى ، لأننى مخلوق ناقص الحقوق ، بالنهار أستر نقصى باستتارى ، وبالليل أناجى الحبيب بانكسارى ، فيجود بغناه على فقرى ، وبفضله على احتقارى ، فأول ما جبر به كسرى ، ورحم به فقرى ، أن جعل الليل خلوتى ، ومع أحبابه حضرتى ، وإليه لا إلى سواه نظرتى ، فإذا انقضت خلوة الليل أغمضت عينى بالنهار ، كى لا أنظر إلى الأغيار ، وحق لمن سهر الليل أن ينام بالنهار ، وقبيح على عين تتمتع برؤياه ، أن تنظر إلى ما سواه ، وفى ذلك أقول :

أَيَجْمَلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدْعَى سِوَاهُ وَمَا فِي الْكَوْنِ يُعْشَقُ إِلَّا هُوَ
قَبِيحٌ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً بِحُبِّ لَهُ فِي الْكَوْنِ مِثْلٌ وَأَشْبَاهُ
إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ فِي الْحُسْنِ وَاحِدًا فَكُنْ وَاحِدًا فِي الْعِشْقِ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ
فقلت : تالله لقد فاز أهل الخلوات ، وامتاز أهل الصلوات ، ومنع من الجواز أهل الغفلات ، فافهم الإشارات .

* * *

(١) التمكين : هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة .

إِشَارَةُ الدِّيكِ (*)

فقال الديك : ها أنا فى ناديك أناديك ، وأنت فى تَعَاميك وتغاشيك (١) ، جعلتُ الأذانَ لى وظيفة ، أوقظ به من هو نائم كالجيفة (٢) ، وأُبشِّرُ الذين يدعون ربَّهم تضرَّعاً وخيفة ، وفى إشارة لطيفة ، ومَعَانٍ ظريفة ، أَصَفِّقُ بجناحيّ بُشرى للقاء ، وأُعلن بصياحى تنبيهاً للنائم ، فتصفيق الجناح ، بشرى بالنجاح ، وترداد الصياح ، دُعَاءٌ للفلاح ، ولئن كان الخفاش جعل له فى الليل وظيفة ، فإنه فى النهار نائم كالجيفة ، مستتر عن أعين الناس خيفة ، فأنا الذى لا أُخلُّ بوظيفتى ليلاً ولا نهاراً ، ولا أغفلُ عن وردى سرّاً ولا جهاراً ، قسّمت وظائف الطاعات ، على جميع السّاعات ، فما تمرّ بى ساعة ، إلّا ولى فيها وظيفة طاعة ، فبى تُعرَف المواقيت ، فأنا غالى القيمة ، ولو شربتُ

(*) الديك : هو ذكر الدجاج ، جمعه ديوك وديكة ، وتصغيره دُويك . أكثر الطيور شهرة وعجباً لنفسه ، يبشر بطلوع الفجر . ومن عجائبه أنه يعرف أوقات الليل ، فيقسط أصواته عليها تقسيطاً لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أو قصر ، ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده حتى أفتى بعض القضاة على ما ذكره العلامة الدميرى صاحب حياة الحيوان بجواز اعتماد الديك المجرب فى أوقات الصلاة . وقد أجاد الشاعر فى وصفه فقال :

مُغَرِّدُ اللَّيْلِ مَا يَأْلُوكَ تَغْرِيداً مل الكَرَى فَهُوَ يَدْعُو الصُّبْحَ مَجْهُوداً
لَمَّا تَطَرَّبُ هَذَا لَعَطْفٌ مِنْ طَرَبٍ وَمَدٌّ لِلصَّوْتِ لِمَا مَدَّهُ الْجِدَا
كَلَّاسٍ مَطْرَفاً مَرَحَ ذَوَائِبِهِ تُضَاحِكُ الْبَيْضُ مِنْ أَطْرَافِهِ الشُّودَا
حَالِي الْمُقَلَّدِ لَوْ قِيسَتْ قَلَائِدُهُ بِالْوَرْدِ قَصَرَ عَنْهَا الْوَرْدُ تَوْرِيدَا

ومن أوصاف الديك ذى الرعشات . قال الشاعر :

مِمَّا يُورِقُنِي لَيْلًا وَيُسْهِرُنِي مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَشَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ

(١) تغاشيك : (الغِشَاءُ) الغطاء ، وجعل على بصره (غِشَاوَهُ) بفتح العين وكسرهما وضمها ، و (غِشَاوَةٌ) بالكسر ، أى غطاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يس ~ آية ٩] .
(٢) الجيفة : جثة الميت ، والجمع (جيف) ثم (أجياف) .

باليواقيت ، فهذا حالى مع قيامى فى عيالى ، وإشفاقى على أطفالى ، فأنا بين الدجاج ، أقنع بالماء الأجاج^(١) ، فلا أختصّ عنهم بحبّه ، ولا أتجرع من الماء دونهم بشربه ، وهذه حقيقة المحبّة ، إن رأيت حبة دعوتهم إليها ، ودلّتهم عليها ، فمن شأنى الإيثار ، إذا حصل اليسار ، ثم إنى طوعاً لأهل الدار ، أصبر لهم على سوء الجوار ، يذبّحون أفرأخى ، وأنا لهم كالخيل المواخى^(٢) ، وينتهبون أتباعى ، وأنا فى نفعهم ساعى ، فهذه سجيّة أوصافى ، والله لعبده كافى .

فقلت له : أيّها الديك إلى كم تعظ ، ولا تتعظ ، وتنصح من هو عن الصواب معترض ، وتجمع من ملازمتك الأذكار ، ومنادمتك فى ظلم الأسحار ؟ فقال : يا قوم إذا حسن الوعظ انتفع به الكل أو البعض ، فالعقول عارفة بما أقول ، فقد أفلح من وعى ، واجتهد فى الإخلاص وسعى ، ومن أعماه الجهل ، فقد توعد مسلكه السهل ، وفى ذلك أقول :

يَذْكُرُ اللَّهُ يَدْفَعُ كُلَّ خَوْفٍ وَيَذْنُوا الْخَيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَصْغَى وَيَذْرِى حَقِيقَةً مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

فقلت له : أيّها الديك مالى أراك تغتر إذا شبت ، كما تغتر إذا مُنعت ؟ فقال : الحرص أغلب ، وهو لأجل القلوب أجلب ، وقد آن وُجود الحبّ ، بمشيئة الربّ ، فعليك بحسن الطلب لبلوغ الأرب^(٣) ، فربما قل رزقك ، إذا كثرَ حذقك .

قلت : فليهنك الخلاص من المرضى ، فلمْ بُليت منهم بهذه البغضى ، وأنت صغير السنّ ، جدير بالرحمة من الإنس والجن ؟

(١) أجاجه : ماء (أجاج) أى يُلخ مَرّ . وقد (أَج) الماء يُؤج (أجوجاً) بالضم .
(٢) المواخى : (آخاه مؤاخاة) وإخاء ، والعامّة تقول : وإخاه ، و (تأخياً) على تفاعلا .
(٣) الأرب : الحاجة .

قال : ولع الطيب بهذه الأسماء ، فسجرت ^(١) الشفار ^(٢) لإراقة
الدماء ، فمن حان أجله ، عَظُمَ وَجَلَه ، والجِمَام ^(٣) أجلٌ معلوم ، وما أحدٌ
من منيته بمعصوم ، وفي ذلك أقول :

إِذَا مَا الدِّيكُ صَفَّقَ بِالْجَنَاحِ فَمَا فِي شُرْبِ كَأْسِكَ مِنْ جُنَاحِ
فَبَادِرْ بِاضْطِجَاحِكَ يَا نَدِيمِي فَقَدْ طَابَ الصُّبُوحُ لَدَى الصَّبَاحِ
وَقَدْ رَكَعْتَ أَبَارِيقُ النَّدَامَا وَنَادَى الدِّيكُ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ

وفي ذلك أقول أيضاً :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي سَائِرِ الْأُمْرِ وَبَادِرْ إِلَى الطَّاعَاتِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَارْغَ حُقُوقَ الْجَارِ إِنْ كُنْتَ مُخْلِصاً وَإِنْ جَارَ فَاصْفَحْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الْجَوْرِ
فَإِنَّ إِلَهَ الْعَبْدِ كَافٍ لِعَبْدِهِ وَيَكْفِيكَ كَافٍ لِلْأُمُورِ وَلَا تَذْرى

* * *

(١) فسجرت : (سَجَر) التنوير : أحماه ، و (سَجَر) النهر : ملاه .

(٢) أشفار : حرف كل شيء (شفره) و (شفيره) .

(٣) الجِمَام : بالكسر قدر الموت .

إِشَارَةُ الْبَطِّ (*)

فناداه البَطُّ ، وهو فى الماء يَنْغُطُ ^(١) ، يا من بدنىء همته يَنْحُطُّ ،
لا أنت مع الطير فى الجو ترقى ، ولا أنت مع الحيوانات تبقى ، فأنت
كالْمُنْبَتِّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى ^(٢) ، سقوط نفسك ألقاك على المزابيل ،
ووقوفك مع الطَّلِّ حجبك عن الوَابِلِ ، وما ربح فى المتاجر من لم يقطع
المراحل ، ولا ظفر بالجواهر من هو قائم على الساحل ، فلو ثَبَّتَ تمكينك ،
وقوى يقينك ، لطرت فى الهواء ، ولمشيت على الماء ، ألم ترنى كيف ملكت
هوى ، فملكْتَ عَالَمِي الماء والهواء ، فأنا فى البرِّ سائح ، وفى البحر سابح ،
وفى الهواء سارح ، وقد جعلت البحر مركب عَزَى ، ومعدن كنزى ،

(*) البَطُّ : طائر الماء . وهو نوعان : وحشى وداجن ، فالوحشى يبلغ طوله (٣٠) سنتيمتراً ،
وعندما يحين وقت البيض ترى فى كل خطوة عشاً فى الجهات التى يكتر فيها . يطير قرب الشتاء
طيراناً عالياً قوياً على هيئة مثلث ذاهباً إلى البلاد الأقل برودة ليأوى إليها . الواحدة منه تبيض من (٨)
إلى (١٤) بيضة ، وتحتضنها (٣٠) يوماً ، وصغارها يعومون فى الماء ساعة ولادتهم .
أما الداجن فأكبر من الوحشى ، يتخذة الناس فى البيوت ولا يستطيعون إحسان تربيته إلا إذا
توفرت له المياه لأنه روحه .
قال الشاعر على النيفر :

الْبَطُّ صِنْتُ الدُّجَاجِ	من مُذْيَةِ غَيْرِ نَاجٍ
وَهَبُهُ فِى طَيْبِ لَحْمٍ	لَمْ يَخْكِهِ أَوْ نِتَاجِ
مُدَى الْوَرَى عَامِلَاتٍ	فِى الطَّيْرِ أَوْ فِى النَّعَاجِ
وَإِنْ أَعْجَبَ شَيْءٌ	يَرِيكَ غَيْرَ مُدَاجٍ
أَنْ يَطْرَحَ الْبَيْضَ أَرْضاً	دُونَ اغْتِنَا وَابْتِهَاجِ
وَيَحْضُنَ الْبَيْضَ عَنْهُ	أُنْشَى الدُّجَاجَ فَحَاجِ
وَمَا بِهِ مِنْ فِرَاحٍ	بَدَا بِحَالِ احْتِيَاجِ
تِلْكَ الدُّجَاجَةُ تُؤْوِى	مِنْ هَذِهِ كُلِّ لَاجٍ
وَأُمُّ ذَا الْفَرَخِ تَلْهُو	عَنْ رَغْبِي هَذَا النَّعَاجِ
بِالسَّبْحِ فِى الْمَاءِ وَالشَّيْءِ	بِى فِى الْفَلَا وَالْفِجَاجِ

(١) يَنْغُطُ : (غَطَّه) فى الماء غَوْصَه فيه ، و(انْغَطَّ) هو فى الماء . والمعنى : انغمس .
(٢) فيه إشارة إلى الحديث : « إِنْ الْمُنْبَتُّ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى » .

فَأَغْوَصُ فِي صَفَاءِ تَلَالِيهِ ، وَأَحْتَلِي مِنْ جَوَاهِرِهِ وَآلِيهِ ، ثُمَّ أُطْلِعُ فِيهِ عَلَى
حِكْمِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ ، فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ ، لَمْ
يُظْفَرِ إِلَّا بِزَبْدِهِ ^(١) ، وَأَجَاجِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْذَرِ مِنْ دَوَائِخِلِهِ ، غَرِقَ فِي لُجْجِهِ ^(٢)
بَلَجَاجِهِ ، فَالسَّعِيدُ مِنْ رَكَبٍ فِي قَارِبٍ قَرَبَاتِهِ ، وَرَفَعَ قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ ،
مُتَعَرِّضاً لِنَفْحَاتِ نَسَمَاتِهِ ، مَاذَا بَنَانِ رَاحَاتِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ كَثَائِفَ ظِلْمَاتِهِ ،
وَوَصَلَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ بِصِفَاتِهِ ، وَذَاتِهِ ، فَهَنَالِكَ يَقَعُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ ، وَيَرِدُ
مِنْ عَذْبِهِ وَفُرَاتِهِ ^(٣) ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

يَا طَالِباً لِلْمَعَالِي	مَهْرَ الْمَعَالِي غَالِي
مَا اسْتَعَذَبَ الْمَوْتَ إِلَّا	مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرَّجَالِ
حَمَاهُ دُونَ وَصَالِ	حِمَاهُ حَدُّ النَّصَالِ ^(٤)
كَذَا الْقُصُورِ الْعَوَالِي	حُقِّقْتُ بِشُمْرِ الْعَوَالِي
كَالشَّهْدِ دُونَ جِنَاهُ	لَذَعُ كَحَدِّ النَّبَالِ
قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ	ذُؤُوا الْجُدُودِ الْعَوَالِي
وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ	عَلَيْهِ مُرُّ النَّكَالِ
صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا	فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
فَالرُّوحَ بِالشُّوقِ تَفْنَى	وَالْجِسْمَ بِالسَّقَمِ بَالِي
قَدْ صَادَفَ الْحُبَّ مِنْهُمْ	لَهُمْ قُلُوباً خَوَالِي
إِنْ كُنْتَ مِنَّا فَافْهَمْ	مَا فِيهِ سِرُّ مَقَالِي
أَوْ كُنْتَ بَطْلاً فَاتْرُكْ	مَنَازِلَ الْأَبْطَالِ

* * *

- (١) زبدته : بحر (مُزْبَدٌ) أى مائج يقذف بالزبد .
(٢) لُجْجِهِ : (لُجَّةٌ) الماء بالضم معظمه ، وكذا (اللَّجَجُ) ، ومنه بحر (لُجْجِي) و (لُجْجَتِ)
السفينة (تُلْجِجُ) خاضت اللجة . و (اللجاج) التماذى فى العناد إلى الفعل المذجور عنه .
(٣) فُرَاتِهِ : (الفرات) الماء العذب . يقال : ماءُ فُرَاتٍ ومياه فُرَاتٍ . والفرات نهر الكوفة .
و (الفُرَاتَانِ) الفرات ودجيل . قال الأزهري : دجيل نهر صغير يتخلج من دجلة .
(٤) النصال : (التصل) نصل السهم والسيف والسكين والرمح ، والجمع (نُصُولٌ) ، و (نِصَالٌ) .

إِشَارَةُ النَّحْلَةِ (*)

فنادته نَحْلَةٌ ، يا لها من نَحْلَةٍ ^(١) ، ما صحح في روايتها رِخْلَةً ، السَّعِيد من ظهر مَعْنَاهُ قبل دَعْوَاهُ ، وُعْلِمَ صَفَاءُ سِرِّهِ من نَجْوَاهُ ، ومن مَحَا حقيقة دعواه ثبتت حقيقة معناه ، فلا تقل قولاً يبطله فعلك ، ولا تُربى فرعاً ينقصه أصلك ، واعلم أنه بِصَفَاءِ المشارب يصفو الشارب ، وبطيب المطاعم يطيب الطاعم ، ألا ترانى لما طاب مطعمى ، وصفا مشربى ، كيف رُفعت رتبتي ،

(*) النحلة : تقع على الذكر والأنثى ، ويطلق عليه البعض ذباب العسل . وهو نوع من الزنابير ، جسمه زغبى ، يوجد في كل جهة من أقطار الأرض . يربى للحصول على عمله الذى يجنيه من الأزهار ويدخره لنفسه ولصغاره وهو العسل . وللنحل في حياته نظام عجيب جداً ، فهو يعيش مجتمعاً كالإنسان ، وله نظام يحير الألباب وقانون يسير عليه في جميع أموره ، وهو يُكون ممالك كل مملكة أو خلية تتكون من ثلاثة أصناف : صنف يقال له : العملة ، وصنف ثان يقال له : الذكور ، وصنف ثالث من الإناث أو الملكات لأنها هي صاحبة السيادة على جميع المملكة . وقد قال الشاعر حسن البحيرى قصيدة جميلة عن النحل ، رأيت أن أقتبس منها عدة أبيات من غير ترتيب ، قال :

فَرَأَيْتُ النَّحْلَ فِي أَرْجَائِهَا	بَيْنَ رَقْصٍ وَارْتِشَاقٍ وَانْتِشَاءٍ
تَتَهَادَى فَوْقَ أَزْهَارِ الرَّبَى	تَجْتَنِي مِنْ كُلِّ ثَغْرِ مَا نَشَاءُ
سَلَكَتُ لِلْكَشْبِ سُبُلًا دُلَّلًا	ثُمَّ آبَتْ بَعْدَ جِدِّ وَعْنَاءٍ
بِغُبَارِ الطُّلَعِ مِنْ أَكْمَامِهِ	أَوْ رَجِيتِ الزُّهْرَ أَوْ سَمِعِ الضُّيَاءَ
أَوْ رَضَابِ النَّعْصِ مَعْشُولِ اللَّمَى	أَوْ لُعَابِ الشَّهْدِ أَوْ عَذْبِ الدَّوَاءِ
ثُمَّ مَجَّئُهُ شَرَابًا سَائِغًا	فِيهِ لِلنَّاسِ شِفَاءٌ وَدَوَاءُ
يَا لَهَا مِنْ آيَةٍ صَامِتَةٍ	صَمْتُهَا يُعْطِي بَيَانَ الْبُلْغَاءِ
رَبُّ قَدْ أَحْكَمْتَ خَلْقًا بَاهِرًا	لَمْ يَزَلْ يَتْلُو بِتَمَجِيدِ الدُّعَاءِ
سُورَ الْحَمْدِ وَآيَاتِ الثَّنَا	مُرْسِلًا تَشْبِيحَهُ صُبْحَ مَسَاءِ
قَائِلًا لِلنَّاسِ الْفِكْرِ وَلِدَ	مُعِضِ الْعَيْنَيْنِ عَنْ فَيْضِ السَّنَاءِ
كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ هُدَى	فَسَرَتْ إِعْجَازَ آيَاتِ السَّمَاءِ

(١) نَحْلَةٌ : عطية ، يقال : (نَحَلَ) المرأة مهرها يَنْحُلُهَا (نَحْلَةٌ) بالكسر أعطاهها عن طيب نفس من غير مطالبة ، وقيل : من غير أن يأخذ عَوْضًا .

وعلا منصبى ، وكمل أدبى ، وإلا فمن أنا حتى يوحى إلى ، وينصّ فى الذكر الحكيم على ، فقال من له الحكم وإليه ترجعون : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ ^(١) ، ولولا أنى أكلت الحلال ، ولزمت أشرف الخلال ^(٢) ، حتى صرت كالخلال ، أسلك سُبُل ربي ذُلًّا ، وأشكر من نعمه فصولًا وَجُمَلًا ، أتبع المُباح الذى ليس على آكله جناح ، فأجعل فى الجبال بيوتى ، ومن مُباح الأشجار قوتى ، أصنع لى بُيُوتًا يعجز كل صانع عن تأسيسها ، ويتحير أقليدس الحكيم ^(٣) فى حلّ شكلها وتسديسها ، ثم أسقط على الزهر والثمر ، فلا أكلم ^(٤) ثمرة ، ولا أهشم زهرة ، بل أتناول منها شيئاً على هيئة الطلّ فأتغذى به قاعة وإن قلّ ، ثم أعود إلى عُشّى ، فاشتغل فى وكرى ، بفكرى ، وأخلص لمولاي فى ذكرى ، فلا أفتر عن الذكر ، ولا أغفل عن الشكر ، علّمتُ بإلهام الوحي لى ، وعملت بالتوفيق الأزلى ، فأورثنى علمى وعملى ، شمعى وعسلى ، فالشمع ثمرة العلم ، والعسل ثمرة العمل ، فالشمع للضياء ، والعسل للشفاء ، فإذا قصدنى قاصدٌ يستضىء بضياءى ، أو يستشفى بشفاىى ، فلا أذيقه حلاوة نفعى ، حتى أجزّعه مرارة لَشعى ، ولا أنيله شهدى ، إلّا بعد مكابدة جهدى ، فإذا اقتنصه منى قهراً أحامى عنه بروحى جهراً ، وأقول : يا روحى ، ثم أقول لمن جنّانى واستخرج مافى جنّانى : أنت يا جانى علىّ جانى ، فإن كنت للمعانى تُعانى فقد رمزت لك فى خِصالى ، إنك

(١) سورة النحل : الآية (٦٨) .

(٢) الخلال : جمع (خَلَّة) بالفتح الخصلة . والخلال : العود الدقيق الذى يُتخلل به .

(٣) أقليدس : من أشهر رياضى اليونان ، وجد قبل المسيح بعدة قرون . ترجم عنه العرب كتباً رياضية غاية فى النفع . نقل كتابه فى الرياضة حنين بن إسحاق ، فجاء العلامة ثابت بن قره حوالى سنة (٢١١ هـ) فنقحه وهذبه وسهل مصاعبه .

(٤) أكلم : (الكَلَم) الجرح ، والجمع (كُلوَم) و (كِلَام) . وقد (كَلَّمه) أى جرحه ، ومنه (التَّكليم) التجريح .

لا تصل إلى وصالى ، حتى تصبر على حدّ نصالى ، وفى ذلك أقول :

اضْبِرْ عَلَى مُرِّ لَسَعِي إِنَّ رُمْتَ مِنِّي وَصَالَا
وَأَتْرُكْ لِأَجَلِ هَوَايَا مِنْ صَدِّ جَهْلًا وَصَالَا
وَمُتْ إِذَا شِئْتَ تَحْيَا وَاسْتَعْجِلِ الْآجَالَا
فَمَسْلَكَ الْحُبِّ صَعْبٌ يُقَطِّعُ الْأَوْصَالَا
عَذَابُهُ الْمَرَّ عَذْبٌ يُخَفِّفُ الْأَثْقَالَا
إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَمَعْنَى قَقْدَ ضَرَبْتَ مِثَالَا
وَإِنْ فَهِمْتَ رُمُوزِي أَقْدِمْ وَإِلَّا فَلَا لَا

وفى ذلك أقول أيضاً :

أَحْرِصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغِ الْأَمَلَا وَلَا تَعِيشْ بِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا
فَالنَّحْلُ لَمَّا جَنَى مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ أَبَدَا لَنَا مِنْهُ صَنْفَى الشَّمْعِ وَالْعَسَلَا

* * *

إِشَارَةُ الشَّمْعِ (*)

فلما فرغ النحل من مقالته ، وما رمز فى إشارته ، سمع استغاثة شمعته ، فأصاغ إليه بسمعته ، فإذا هو يحترق بالنار ، ويكي بدموع غزار ، ويقول : أيتها النحلة ، أما يكفينى أن رُميت بينى ، وفرّق الدهر بينك وبينى ، فأنت فى الوجود أبى ، وفى الإيجاد سببى ، فأفردت عنك أنا والعسل وهو أخى وشقيقى ، وصاحبى ورفيقى ، فبينما نحن مجتمعون ، إذ فرقنا يدُ النار ، ورمينا ببُعْدِ الدَّارِ ، وشَطَّ (١) المزار ، فأفردت عنه ، وأفردت عني ، وبنت (٢)

(*) الشمع العسل ، وسمى الشهد ، مادة ينتجها النحل وينى بها طبقات خليته وفى نخاريه يضع العسل ويربى أولاده . وكان هذا الشمع يستعمل قديماً للاستصباح .

(١) شط : (شطت) الدار (تشط) بضم الشين وكسرهما (شطاً) و (شطوطاً) أى بعدت .

(٢) بنت : (البتين) الفراق .

عنه ، وبان عني ، ثم سلّط على النار ، ولم أكن من أهل الأوزار^(١) ،
فكبدى يحترق ، وجسدى يمتزق ، فأهل المحبة يقاسون باحتراقى ، وأهل
المعرفة يَسْتَضِيئُونَ بِإِشْرَاقِي ، ففي إشراق وإحراق ، ودمعى مُهْرَاق^(٢) ، قائمة
فى الخدمة على ساق ، أحرقت نفسى ، وأشْرِقت على غيرى ، فأنا المعذب
بشررى ، وغيرى مستمتع بخيرى ، فكيف أُلَامُ على اصفرارى ، ودموعى
الجوارى ، ثم يقصدنى الأوباش^(٣) من الفراش ، يريدون إطفائى ، وإذهاب
ضياءى ، فأحرقه مكافأةً لفعله ، ولا يحقيق المكر السيئ إلا بأهله^(٤) ، فلو
ملئت الأرض فراشاً لكنت منهم فى أمان ، كما لو ملئت الأرض أوباشاً
لما قدروا أن يطفئوا نور الإيمان ، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ ... ﴾^(٥) ، وفى ذلك أقول :

حَالَتِي يَا نُورَ عَيْنِي	مِنْكَ نُورٌ أَيْ نُورِ
فَهْدَايَا وَضِيَائِي	مِنْكَ يَا كُلَّ الشُّرُورِ
لَمْ يُطِيقْ كُلُّ عَذُولٍ	مِنْكَ يَرْمِينِي بِزُورِ
وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ	يُطِيقْ إطفَاءَ نُورِي

* * *

(١) الأوزار : (الوزر) الإثم والثقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] أى لا تأثم آثمة بإثم أخرى .

(٢) مهراق : (هَرَّاق) الماء (يُهَرِّقُهُ) بفتح الهاء (هَرَّاقَه) بالكسر صبه ، وأصله أراق يُريق إراقة .

(٣) الأوباش : من الناس والفراش وأى شىء الأخلاط ،

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة فاطر ، الآية (٤٣) .

(٥) سورة التوبة : الآية (٣٢) .

إِشَارَةُ الْفَرَّاشِ (*)

فاستغاث الفرّاش ، وهو ملقى على الفرّاش ، يتلهب في تلاشيهِ ، ويتقلّب في تغاشيهِ ، ويقول : يا لله العجب ! أبذل نفسى فى هواك ، وتسومنى سوم أعداك ، فياليت شعرى مَنْ بقتلى أفتاك ، وَمَنْ بهتكى ^(١) أغراك ، أين لك مثلى عاشق صادق ، وصديق موافق ، صبرت على أذاك وإحراقك ، وقدمت على الموت دون عُشّاقك ، فهل رأيت محبّاً يعذبُه حبيبه ، وعليلاً أسقمه ^(٢) طبيبه ، أحبك فتعذبنى ، وأقرب منك فتحرقنى ، وتدنينى شدة شوقى إليك ، فأهجم بإدلالى عليك ، أطلب منك الوصول فتصول علىّ ، فتحرقنى وتمزقنى ، فما أصاب أحد مُصّابى ، ولا عُذب أحد عذابى ، ولست لغيرك صابى ، وكان يكفينى ما بى ، لو سلمت من توييخى وعتابى ، وفى ذلك أقول :

جِئْتُ أَشْكُو إِلَى حَبِيبِي مَا بِي فَرَمَانِي مِنْهُ بِسُوطِ عَذَابِ

(*) الفراشة : حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج فيحترق ، جمعها فراش .
ومما ورد عنه فى الأمثال : أخف من فراشة ، أطيّش من فراشه .
قال مهلهل بن يموت :

حَلَّتْ مَحَاسِنُهُ عَنْ كُلِّ تَشْبِيهِ وَجَلَّ عَنْ وَاصِفٍ فِي الْحُسْنِ يَحْكِيهِ
انْظُرْ إِلَى حُسْنِهِ وَاسْتَعْنِ عَنْ صِفَتِي سُبحَانَ خَالِقِهِ سُبحَانَ بَارِيهِ
الْتَرَجِسُ الْعَضْنُ وَالْوَرْدُ الْجَنَى لَهُ وَالْأَقْحَوَانُ التَّضْيِيرُ الْعَضُّ فِيهِ
دَعَا بِالْحَاطِظِ قَلْبِي إِلَى عَطْبِي فَجَاءَهُ مَسْرِعاً طَوْعاً يُلَبِّيهِ
مِثْلُ الْفَرَّاشَةِ تَأْتِي إِذْ تَرَى لَهَا إِلَى السَّرَاجِ قَتْلُهَا نَفْسَهَا فِيهِ

(١) بهتكى : (الهتْكُ) خرق الستر عما وراءه . وقد (هتَّكه فانْهتَّك) ، و (هتَّك) الأستار شدد للكثرة ، والاسم (الهتَّكة) بالضم ، و (تَهتَّك) أى افتضح .

(٢) أسقمه : (السَّقَامُ) المرض ، وكذا (السَّقَمُ) و (السَّقَمُ) ، وقد (سَقِمَ) فهو (سَقِيمٌ) و (المِسْقَامُ) الكثير السقم .

كفراش قد جاء يَطْلُبُ وَضْلاً فَرَمَاهُ حَبِيبُهُ بِشِهَابِ
هُوَ مُلْقَى لَدَى الْحَبِيبِ حَرِيقاً وَغَرِيقاً فِي لُجَّةٍ وَاكْتِثَابِ
فِي حِسَابِي أَنِّي وَصَلْتُ وَلَكِنْ سَطْوَةُ الْهَجْرِ لَمْ تَكُنْ فِي حِسَابِي
ذُبَّ غَرَاماً وَحُرْقَةً وَاشْتِيَاقاً هَكَذَا شَرُطُ سُنَّةِ الْأَحْبَابِ

* * *

إِشَارَةُ الْفَرَّاشِ مَعَ الشَّمْعِ

فلَمَّا ذَكَرَ الْفَرَّاشُ مُصَابَهُ ، وَشَكَى أَوْصَابَهُ ^(١) رَقَّ لَهُ الشَّمْعُ مِمَّا أَصَابَهُ ،
وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْعَاشِقُ الصَّادِقُ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ فَإِنِّي لَكَ مُوَافِقٌ ، وَأَنَا مُصَابٌ
بِمُصَابِكَ ، مَعَذَّبٌ بِعَذَابِكَ ، فَاسْمَعْ قِصَّةً مِنْ أَعْجَبِ الْقِصَصِ ، وَارْحَمْ
غُصَّةً مِنْ أَعْظَمِ الْغُصَصِ ^(٢) ، لَيْسَ بِعَجَبٍ مِنْ مُحِبٍّ يَحْتَرِقُ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ
مِنْ مُحَبَّبٍ يَحْتَرِقُ ، هَذِهِ النَّارُ تَحْبُنِي وَتَطْلُبُ قَرِيبِي ، وَهِيَ بِأَنْفَاسِهَا تَحْرِقُنِي
وَتَذِينُنِي ، هِيَ تَدَّعَى هَوَايَ ، وَتَسْتَدْعِي لِقَائِي ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِفَنَائِي فَلَا بَقَاءَ
لَهَا إِلَّا بِفَنَائِي ، وَهَذَا لِعَمْرِي أَعْجَبُ الْأَشْيَاءِ ، أَنْ حَبِيباً يَفْنَى وَمُحِبِّاً يَبْقَى ،
وَمُعْشَوْقاً يَسْعَدُ ، وَعَاشِقاً يَشْقَى .

* * *

(١) أَوْصَابُهُ : (الْوَضْبُ) بَفَتْحِ الصَّادِ : الْمَرَضُ .

(٢) الْغُصَصُ : (الْغُصَّةُ) الشَّجَى ، وَالْجَمْعُ (غُصَصٌ) ، وَالشَّجَى : الْهَمُّ وَالْحُزْنُ .

إِشَارَةُ النَّارِ

فنادت النار : أيها المَعَذَّب بإحراقى ، والداهش بنور إشراقى ، إن كان دخان احتراقك إلى راق^(١) ، فأنا نازل إليك فى السَّحَر راقى^(٢) ، تشكو مما تلاقى ، وتفوز بساعة التلاقى ، فيا فوز من شرب بكاسى وأنا الساقى ، ويا سعادة من فنى فى وأنا الباقي ، وفى ذلك أقول :

وَلَقَدْ أَقُولُ لِشَمْعَةٍ نَادَمْتُهَا وَسُدُولُ^(٣) جُنْحِ اللَّيْلِ زَادَ جُمُوحُ^(٤)
أَنَا مَنْ يَحِنُّ إِلَى الْأَحِبَّةِ قَلْبُهُ وَإِلَى الْبُكَاءِ بِدَمْعِهِ الْمَسْفُوحُ^(٥)
قَالَتْ : عَجَلْتُ عَلَى فِيمَا قُلْتُهُ فَاسْمَعْ بَيَانَ حَدِيثِ الْمَشْرُوحِ
إِنْ كَانَ أَذْهَلَكَ الزَّمَانُ بِخَطْبِهِ فَلَقَدْ فَقَدْتُ أَنَا شَقِيقَةَ رُوحِي
أَفْرَدْتُ عَنْ خِلِّ شَهْيٍ وَضْلُهُ حُلُو اللَّمَى^(٦) عَذْبُ الْمَذَاقِ صَرِيحِ
قَدْ سُلِّ مِنْ جَسَدِي وَكَانَ شَقِيقَهُ فَرَجَعْتُ مِنْهُ بِقَلْبِي الْمَقْرُوحِ
هَأَنْتَ تَنْدُبُ مِنْ حِكَاةِ بَرِيقِهِ أَوْ طَعْمِهِ أَوْ دَلُّ فِى التَّبْرِيحِ
فَأَنَالَهُ هُوَ قَدْ فَقَدْتُ بَعْيِيهِ أَوْلَيْسَ بُخْلُ مَدَامِعِي بِقَيِّحِ
فَالنَّارُ فَرَّقَتْ الْحَوَادِثَ بَيْنَنَا وَبِهَا تَذُوبُ حَشَاشَتِي مَعَ رُوحِي

* * *

(١) راق : أى من الرقى ، وهو الصعود .

(٢) راقى : أى من الرقية ، و (الرُقِيَّة) معروفة ، والجمع (رُقَى) ، و (اشترقاه فَرَقَاه) يرقيه (رُقِيَّة) بالضم فهو (رَاقٍ) .

(٣) سدول : (سَدَل) ثوبه أرخاه .

(٤) جموح : (جَمَح) أسرع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [التوبة : ٥٧] .

(٥) المسفوح : المهرق ، و (سَفَح) الماء هَرَقَهُ ، و (سَفَحَ) دمه سفكه ، ومنه يقال : رجل (سَفَّاح) .

(٦) اللَّمَى : (لَمَّة) الرجل يَزُوبُهُ وشكله ، وفى الحديث : « ليتزوج الرجل لُمتَه » .

إِشَارَةُ الْغُرَابِ (*)

فبينما أنا فى نشوة الخطاب ، وسكرة هذا الشراب ، إذ سمعت صوت غراب ، ينعق بين الأحباب ، ويغرق بين الأتراب ، ينوح^(١) نوح المصاب ، ويندب^(٢) ما يجده من أليم العذاب ، قد لبس من الحِدادِ جلباب ، ورضى بين العُباد بتسويد الثياب ، فناديته : أيها النادب ، لقد كدّرت ما كان صافياً ،

(*) الغراب : بالضم طائر معروف كبير الجثة أسود اللون ، وهو معدود فى الجوارح ، جمعه على غربان ، وأغربة ، وغرايين ، وغُرب ، وأغُرب . وقد جمعها ابن مالك فى قوله :
بالغرب أجمع غراباً ثم أغربة وأغرب وغرايين وغربان
وله كنى كثيرة منها : أبو جحادف ، وأبو الجراح ، وأبو حاتم ، وأبو حذر ، وأبو زاجر ، وأبو زيدان ، وأبو الشؤم ، وأبو غياث ، وأبو القعقاع .
وأشبهه تبيض أربع بويضات أو خمساً ، والأنثى هى التى تحضن البيض ، وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم ، وفى طبعه أنه لا يتعاطى الصيد ، بل إن وجد جيفة أكل منها .
وسمى الغراب لسواده إن كان أسود ، وأبقع لاختلاف لونه .
قال الجاحظ : قال صاحب منطق الطير : الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ولا من أحرارها ، ومن شأنه أكل الجيف والقمامات ، وكانت العرب تتشائم من الغربان ، لذا اشتقوا اسمه من الغربة .
ومما ورد فى الأمثال : أبصر من غراب ، احذر من غراب ، أشام من غراب البين .
قال العقاد (عباس محمود) تحت عنوان (عادات الغراب) :

بُشَّ الغُرَابُ وإنْ ذَكَرْتُ بِصَوْتِهِ	عطفَ الحبيبِ عليه كلَّ صَبَاحٍ
أبدأُ يُقَاطِعُ كلَّ شَادٍ حَوْلَهُ	كمعطلي الإنشادِ فى الأفراحِ
وإذا شدا الكَرْوَانُ اتَّبَعَ شَدْوُهُ	بصياحِ مَشْهُومٍ منه أو يَنَوَّاحِ
وإذا تَرْتُمَتِ القَمَارِيُّ أَنْبَرَى	ما بَيْنَ تَنَعَابٍ وَخَفْقِ جَنَاحِ
حَسِداً وَلَوْماً أوْ غُرُوراً لم يَزَلْ	دَابَّ الحَشُودِ وَدَيْدَنَ المِلْحَاحِ
لا عادَ فَرَّغَ كان يَنْعَبُ فَوْقَهُ	فَرَمْتُهُ فَأُسَّ الحَاطِبِ المُجْتَاحِ

(١) نوح : (التَّناوُح) التقابل ، ومنه سميت (التَّوائِخُ) لتقابلهن ، و (نَاحَتْ) المرأة ، و (نياحاً) أيضاً بالكسر ، والاسم (النِّياحة) ونساء (نَوَّح) و (أنواح) و (نُوح) و (نَوَائِخُ) و (نائحات) كله بمعنى واحد ، ونقول : كنا فى (مَنَاحَة) فلان بالفتح .
(٢) يندب : (نَدَب) الميت بكى عليه وعدّد محاسنه ، والاسم (النَّدْبَة) .

ومرّرت ما كان حلوّاً شافياً ، فما لى أراك فى البكور ساعياً ، وعلى الربوع ناعياً^(١) ، وإلى البين^(٢) داعياً ، إن رأيت شمالاً مجتمعاً ، أنذرت بشتاته ، وإن شاهدت ربعاً مُربعاً ، بشرت بدروس عرصاته^(٣) ، فأنت لذى الخليط المعاشر ، أشأم من قاشر^(٤) ، وعند اللبيب الحاذر ، ألأُم من مادر^(٥) ، فنادانى بلسان زجره الفصيح ، وأشار بعنوان حاله الصريح : ويحك أنت لا تفرّق بين الحسن والقبيح ، وقد تساوى لديك العدو والنصيح ، لا بالكناية تفهم ولا بالتصريح ، كأن المواعظ فى أذنيك ريح ، وكلام الواعظ فى هواك كالنبيح ، أما تذكر ارتحالك عن هذا الفضاء الفسيح ، إلى ضيق اللّحد^(٦) وظلمات الضريح ، أما بلغك ما جرى على أهلك آدم ، وهو ينادى على نفسه ويصيح ، أما يكفيك ما جرى على داود وهو يكي بدمعه القريح^(٧) ، أما تعتبر نوح وهو ينوح على دار ليس فيها مستريح ، أما سمعت بماء جاء فى قصة إبراهيم وهو فى نار النمرود طريح ، أما تقتدى بصبر الذبيح ، أما تهتدى بزهد المسيح ، ويحك أىّ جمع لم يتفرّق ، وأىّ شمل لم يتمزّق ، وأىّ صفو لم يتكدر ، وأىّ حلو لم يتمرّر ، وأىّ أمل لم يقطعه حلول

(١) ناعياً : (النّعى) خبر الموت ، يقال : (نَعاه) له يَنْعاه (نَعياً) و (نُعْيَانَا) أيضاً بالضم ، و (النّعى) أيضاً بالتشديد (النّاعى) وهو الذى يأتى بخبر الموت .

(٢) البين : الفراق .

(٣) عرصاته : (العَرْصَة) كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع (العِرَاص) و (العرصات) .

(٤) قاشر : قيل : هو فحل لبعض قبائل العرب استطرقوه رجاء أن يؤنث إبلهم فماتت الأمهات والنسل . لذلك يقال : أشأم من قاشر .

(٥) مادر : لقب مخلوق لثيم من بنى هلال بن مالك بن صعصعة ، سقى إبله فبقى فى الحوض قليل ، فسُلح فيه ، ومدر الحوض به .

(٦) اللّحد : الشق فى جانب القبر ، و (لَحَد) القبر لَحْداً ، و (ألْحَد) له أيضاً .

(٧) القُسْرَحَة : بياض بين عيني الفرس مثل الدرهم الصغير فما دونه .

الأجل ، وأنى تدبير لم يطله التقدير ، وأنى بشير لم يعقبه نذير ، أنى حال
قط مآ حال ، وأنى زوال قط مآ زال ، وأنى مال قط مآ مال ، أين ذوو العمر
الطويل ، أين ذوو المال الوافر الجزيل ، أين ذوو الوجه الجميل ، أما قرضهم
الموت جيلاً بعد جيل ، أما ساوى فى الثرى^(١) بين المولى الجليل والعبد
الذليل ، أما هتف بالمتمتع من دنياه ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾^(٢) فكيف
تلومنى على نواحى ، وتتشاءم بصياحى فى مسائى وصباحى ، ولو علمت
يقيناً أيها اللاهى^(٣) ما فيه صلاحك وصلاحى ، لا تَشَحَّتْ^(٤) بوشاحى^(٥) ،
ووافقتنى فى سواد جناحى ، وأجبتنى بالنواح فى سائر النواحى ، وإن ألهاك
هَوَاك ولهوك ، وَحَجَبِكَ عُجْبِكَ وزهوك ، وها أنا أنذر النازل خراب المنازل ،
وأحذر الآكل غُصَّةَ المآكل ، وأبشّر الراحل بقرب المراحل ، وصديقك من
صَدَقَكَ لا من صَدَّقَكَ ، ومن عزلك لا من عَذَرَكَ ، ومن بَصَّرَكَ لا من
صَبَّرَكَ ، ومن وعظك فقد أيقظك ، ومن أنذرك فقد حذرك ، ولقد أنذرتك
بسوادى ، وحذرتك بتردادى ، وأسمنتك ندائى فى النادى ، ولكن لا حياة
لمن تنادى ، وفى ذلك أقول :

أنوح على ذهابِ العمر منى وحقى أن أنوح وأن أنادى
وأنذبُ كُلِّما عَايَنْتُ رَكْباً حدا بهم لَوْشِكِ البينِ حادى
يُعَنِّفُنِي الجَهُولُ إذا رَأَى وقد أَلْبَسْتُ أثوابَ الجَدَادِ

(١) الثرى : الثراب .

(٢) سورة النساء : الآية (٧٧) .

(٣) اللاهى : يقال : (لَحَاهُ) الله : أى قَبَحَهُ وَلَعَنَهُ .

(٤) لا تشحّت : لبست أو ارتديت ، يقال : (وَشَحَّهَا فَتَوَشَّحَتْ) أى لبسته . وربما قالوا :

(تَوَشَّحَ) الرجل بثوبه وسيفه .

(٥) بوشاحى : (الوشاح) بالكسر : شىء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة

بين عاتقها وكشحها .

وَهَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدُعَاً
 فَقُلْتُ لَهُ : اتَّعِظْ بِلِسَانِ حَالِي
 أَلَمْ تَرْنِي إِذَا وَافَيْتَ رِبْعاً
 أَنْوُحَ عَلَى الطُّلُولِ^(١) فَلَمْ يُجِبْنِي
 فَأَكْثِرُ فِي نَوَاحِيهَا نَوَاحِي
 تَيَقُّظُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَافْهَمُ
 فَمَا مِنْ شَاهِدٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا
 فَكَمْ مِنْ رَايِحٍ فِيهَا وَغَادِي
 لَقَدْ أَشْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا
 وَنَاراً لَوْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَةً
 عَلَى الْخُطَبَاءِ أَثْوَابُ السَّوَادِ
 فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 أَنْادِي بِالنَّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 مِنَ الْبَيْنِ الْمُفْتَتِ لِلْعَوَادِي
 إِشَارَةً مَا تُشِيرُ بِهِ الْعَوَادِي^(٢)
 وَيَشْهَدُ بِالمَصِيرِ إِلَى النِّفَادِ
 يُنَادِينِي بِقَرَبٍ أَوْ بَعَادِي
 وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي
 وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِي

* * *

(١) الطُّلُولُ : (الطُّلُلُ) ما شخص من آثار الدار ، والجمع (أَطْلَال) و (طُلُول) .

(٢) الْعَوَادِي : (عَوَادِي) الدهر عوائقه .

إِشَارَةُ الْهُدُودِ (*)

فلما كثر الغراب علىّ وقتي ، وحذرنى مقتي ، انصرفت من حضرتي ،
ورجعت إلى خلوة فكرتي ، فهتف بي هاتف من سماء فطرتي : أيّها السّامع
منطق الطير ، المتأسف على فوات الخير ، تالله لو صفت الضمائر ، لنفذت
البصائر ، واهتدى السائر ، وما ضلّ الحائر ، ولو طابت السرائر^(١) ، لبانت
الأمائر ، ولو انشاحت الصدور ، لورد المصدور ، ولو ارتفعت الستور ، لظهر
المنشور ، ولو طهرت القلوب ، لظهرت الغيوب ، وشوهد المحبوب ، ولو أعرضت
عن الأسباب ، لفتح لك الباب ، ولو خلعت ثياب الإعجاب ، لا رتفع
الحجاب ولو غبت عن عالم العيب ، لشهدت عالم الغيب ، ولو قطعت
العلائق ، لا نكشفت لك الحقائق ، ولو خالفت العادة ، لما قطع عنك مادة ،
ولو صحت الإرادة ، لحصلت لك الزيادة ، ولو ملت عن هواك ، لمال بك
إليه ، ولو فارقت إيتاك لجمعك عليه ، ولكنتك محبوس بسجن طبعك ،
مقيّد بقيد مألوفاتك ، متشاغل بشواغل نفسك ، متعلّق بحبال خيال
حسّك ، قد أغرقتك برودة عزمك ، وأحرقتك حرارة حرصك ، وأثقلتك

(*) الْهُدُودُ : من الطيور المشهورة بجمال شكلها ، يجمع على هداهد ، وهداهيد . من صفاته وجود تاج من الريش على رأسه ، وجسمه مغطى بريش مبقع باللونين السنجابي والأسود ، ومن صفاته أيضاً أنه طويل المنقار ، وهو مشهور بشدة الخوف والسكرات ، يأكل الحشرات والديدان ، وهو يبنى عشه في شقوق الصخور والجدران وجذوع الأشجار ، وهو من الطيور الرحالة .

قال أبو الشيص (محمد بن عبد الله بن رزين) في وصف الهدد :

لا تَأْمُنَنَّ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ	غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْ طَيِّ الْقَرَّاطِيْسِ
أَوْ طَائِرٍ سَأَحْلِيهِ وَأَنْعَثُهُ	مَا زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيرٍ وَتَدْسِيْسِ
سُوْدٍ بَرَائِنُهُ مِيْلٌ ذَوَائِبُهُ	صُفْرِ حَمَالِقُهُ فِي الْخُسْنِ مَغْمُوسِ
قَدْ كَانَ هَمٌّ سُلَيْمَانُ لِيَذْبَحَهُ	لَوْلَا سِعَايَتُهُ فِي مُلْكٍ يَلْقِيْسِ

(١) السرائر : (الشر) الذي يكتنم ، وجمعه (أسرار) ، و (السريرة) مثله ، وجمعه (سرائر) .

تخمة بطرك ، وأسقمتك عفونة رعونتك^(١) ، وبرسمتك^(٢) وساوس
شهوتك ، فأنت زَمِنُ^(٣) الهمة ، مُقَعْدُ العزيمة ، جامد الفكرة ، فاسد
الفطرة ، قد انعكس ذوق فهمك ، فرأيت الحَسَنَ قبيحاً والقبيح حسناً ،
فأفسدت صحيح عملك وعلمك ، ولودخلت إلى يمارستان^(٤) التقوى ،
وعرضت على قارورة^(٥) البلوى ، ورفعت قصة الشكوى إلى طبيب يعلم
السرَّ والنجوى ، ومددت إليه كفَّ ذلتك ليجسَّ نبض علتك ، وينظر في
سجيتك ، فيعلم حقيقة محتتك ، فيُسَلِّمك إلى قيم مؤدِّب الشرع ،
فيعقلك بعقل العقل ، ويضربك بسياط الخوف ، ويروِّحك بمروحة الرجاء ،
ثم يحميك في حمى الحماية ، ويكتب في دستور علاجك بإصلاح
مراجك ، فيعبئ لك من عَنَاب العناية ، ويسقيك من ثمر هندی الهداية ،
وإجاص^(٦) الإخلاص ، وبنفسج الرجاء ، وأهليلج الالتجاء ، وخيار شنبر
الأخيار ، ومحمودة التوكل ، ويرضُّ الجميع على أرض الرضا ، ويدقُّ على
هاون الصبر ، وينخل بمنخل الورع ، ويصفى على سكر الشكر ، ويستعمل
بعد الحمية في خلوة السَّحر ، بحضرة الطبيب ، وخلوة الحبيب ، وغفلة
الرقيب ، لعلَّ يسكن من قلبك الوجيب^(٧) ، ويرد من فؤادك اللَّهيب ، ويردَّ
القلب السَّليب ، فيعتدل المزاج ، وتبرد حرارة الأوهاج ، يطيب الشراب ،
فتنضج علتك ، وينفتح سمع يقظتك ، ويُفتح لك الباب ، فتسمع نداء :

(١) رعونتك : (الرُّعونة) الحمق والاسترخاء ، ورجل (أُرْعَنُ) وامرأة (رَعْنَاء) .
(٢) برسمتك : (البرسام) ورم حارٌّ في الحجاب المعترض بين القلب والمعدة يحصل معه
الهديان .

(٣) زَمِنٌ : (الزَّمانَة) آفةٌ في الحيوانات ، ورجل (زَمِنٌ) أى مبتلى بين الزَّمانَة .

(٤) يمارستان : مستشفى .

(٥) عرض القارورة عند الأطباء القدامى ، يعنى تقديم عينة من البول لفحصها .

(٦) إجاص : (الإجاص) دخیل ، لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة عند العرب .

الواحدة (إجاصة) ولا تقل : إِنْجَاص .

(٧) الوجيب : (وَجَبَ) القلب (وَجِيأً) اضطرب .

هل من داع فاستجيب له^(١) ؟ ، ويستنير بصر بصيرتك ، فتشاهد حينئذ كل معنى غريب ، وترى كل شيء عجيب . أما ترى إلى الهدهد لما حَسُنَتْ سيرته ، وصفت سريره ، كيف نفذت بصيرته ، فتراه يشاهد بالبصيرة ما تحجبه الأرض عن سائر البشر ، فيرى في باطنها الماء الشجاج^(٢) ، كما تراه أنت في الزجاج ، فيقول بصحة ذوقه : هذا عذب فُرات سائغ^(٣) شرابه ، وهذا ملح أجاج^(٤) ، ولسان حاله يقول ، لمن له ذوق وإدراك ومعقول : أنا الذى أوتيت مع صغر الجثمان ما لم يؤته الله لنبيه سليمان ، هو أُعطي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وأنا أوتيت علماً لا يعلمه هو ولا أحد من جنده . كنت معه حيث ما سرى وجد به السرى ، أدله على الماء من تحت تخوم^(٥) الثرى ، فغبت عنه ساعة ، فعجز عن الاستطاعة ، فعرض أتباعه وأشياعه أجمعين ، وقال : ﴿ ... مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾^(٦) ، والعجب أنه افتقدنى حالة افتقاره إلى ، ثم تهددنى بسطوة اقتداره على ، فقال : لأعذبه أو لأذبحه ، والقدر يقول : لأقربنه ولأهديته .

فلما جئت من سبأ نبأ يقين ، وقلت : أحطت بما لم تحط به ، زاد ذلك فى غضبه ، وقال : يا صغير الجرم ، يا كبير الجرم ، أما كفاك غيبتك

(١) فيه إشارة إلى الحديث القدسي : « ينزل ربنا - عز وجل - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : هل من داع فاستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ... » رواه البخارى (٨٨/٨) ، ورواه مسلم فى صلاة المسافرين (١٦٨) ، ورواه الإمام أحمد (٢٦٤/٢) ، (٢٦٧) ، وراه الترمذى (٣٤٩٨) .

(٢) الشجاج : (تَج) الماء سَيْلُه ، ومطر (تَجَّاج) أى منصب جدًّا .

(٣) سائغ : (سَاغ) الشراب سَهْلٌ مدخله فى الحلق ، و (ساغه) غيره ، و (أساغه) غيره . قال الله تعالى : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [إبراهيم : ١٧] .

(٤) أجاج : ماء (أجاج) أى مِلْحٌ مُرٌّ . وقد (أَجَّ) الماء يُؤْجُّ (أجوجاً) بالضم .

(٥) تخوم : (التَّخْم) بالفتح منتهى كل قرية أو أرض ، وجمعه (تَخُوم) . قال الفراء : تخوم الأرض حدودها .

(٦) سورة النمل : الآية (٢٠) .

عَنِّي ، حتى تدّعي أنك أعلم مني ، فقلت : الأمان يا سليمان ، أنت سألت ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدك ، ما سألت علماً لا ينبغي لأحد من بعدك ، وقد جئتُك من سبأ بالنبأ العظيم ، وفوق كلِّ ذي علم عليم^(١) ، فقال : أيها الهدهد من صَحَّ له السلوك أوْتمن على أسرار الملوك ، اذهب بكتابي ، وعجل بجوابي ، فذهبت بكتابه ، وعجلت بجوابه ، فقرّبتني إلى جنابه ، وكتبني من حُجّابه ، بعد أن كنت من وراءِ حِجّابه ، ثم كساني من ملابس الكرامة تاجاً ، وكنت إلى ذلك محتاجاً ، ثمّ نُسِخت أحكام ذبحي ، وتُليت آيات مدحي^(٢) ، فإن كنت ممّن يقبل نُصحي ، فحسّن سيرتك ، وصفّ سرّيرتك ، وطيّب أخلاقك ، وراقب خلاقك ، وتأدّب بأحسن الآداب ، ولو أنها من الدواب ، فإنه من لم يأخذ إشارته من صرير الباب ، ولم يعتبر بطنين الذُّباب ، ونباح الكلاب ، وحشرات التُّراب ، ويفهم ما تشير به السُّحاب ، ولم السُّراب^(٣) ، وضياء الضباب ، فليس من ذوى الألباب ، وفي ذلك أقول :

مَنْ لَمْ يَصُنْ سِرَّ مَوْلَاهُ وَسَيِّدِهِ لَمْ يَأْمُنُوهُ عَلَى الْأَسْرَارِ مَا عَاشَا
وَعَاتَبُوهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلٍ وَأَبْدَلُوهُ مَكَانَ الْأَنْسِ إِيحَاشَا

* * *

(١) فيه إشارة إلى الآية ٧٦ من سورة يوسف .

(٢) فيه إشارة إلى قصة سيدنا سليمان - عليه السلام - مع النملة التي وردت في سورة النمل ، يقول الله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبْنَهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ أَوْ لْيَأْتِنِيَ بَشَلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ .

(٣) السُّراب : الذي تراه نصف النهار كأنه ماء .

إِشَارَةُ الْكَلْبِ (*)

فبينما أنا منصت لسماع الجواب ، إذ ناداني كلب من الكلاب ، واقف على الباب ، يلتقط ما يسقط على المزابل من دقيق اللباب ، فقال لي : يا من هو من وراء الحجاب ، يا محجوباً عن مسبب الأسباب ، يا مُسْبِلًا^(١) ثياب الإعجاب ، تأدّب بآدابی ، فإن فعل الجميل دأبى^(٢) ، وشُسّ^(٣) نفسك بسياستى ، وما عليك من خساستى^(٤) ، فإن كنت ترانى فى الصورة حقيراً ،

(*) الكلب : من الحيوانات ذات الخلال الحسنة ، وأظهر ما فيه من تلك الخلال خلة الوفاء لصاحبه ، والقيام على ماله ، وملازمة داره ، والدود عنه بنفسه . وهو ذكى جداً ، ومحِب لسيدته ، يجرى مسافات شاسعة بدون كلال ، ويحسن السباحة ، وهو قليل العرف ، كما أنه شديد الحس بالشم . تحمل أنثاه (٦٣) يوماً ، وتلد من جروين إلى اثنى عشر جرواً ، ويبلغ الجرو أشده فى سنتين ، ولا يزيد عمر الكلب عن (٢٠) سنة . قال الدميرى : وفى الكلب من اقتفاء الأثر وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوانات ، وهو أيقظ الحيوانات عيناً فى وقت حاجته إلى النوم ، وغالب نومه نهاراً ، وهو فى نومه أسمع من فرس وأحذر من عقق .

والكلب يجمع على : أكلب ، وكلاب ، وكَلِيب . والكلبة أنثى الكلاب ، وجمعها كليات . والكلاب نوعان : أهلى وسلوقى ، نسبة إلى سلوق (بالفتح) أرض باليمن ، وكلا النوعين فى الطبع سواء .

قال أبو البحر جعفر بن محمد الخطّى فى كلاب الصيد :

ولم أرَ كَالِكَلَابِ ذَوَاتِ عَدُوٍّ على أثرِ الْأَرَانِبِ وَالظُّبَايِ
مَتَى أَرْسَلْتَهُنَّ وَرَاءَ صَيْدٍ فَجَاذَبَهُنَّ أَهْدَابُ النُّجَايِ
عَلِقْنَ بِهِ وَلَوْ كَانَتْ يَدَاهُ تُشَدُّ بِذَيْلِ عَاصِفَةِ الْهَوَايِ

(١) مسبلاً : (أَشْبَلَ) إزاره : أَرْخَاهُ .

(٢) دَأْبَى : (دَأَبَ) فى عمله : جدّ وتعَب ، فهو (دَائِبٌ) و (الدَّأْبُ) بسكون الهمزة : العادة والشأن .

(٣) شُسّ : (سَاسَ) الرعية يَشُوسُهَا (سِيَّاسَةً) بالكسر .

(٤) خَسَاسَتِي : (الْخَسِيسِ) الدُّنْيَى . وقد (خَسَّ) يَخْسُ بِالْفَتْحِ (خِسَّةً) ، و (خَسَّاسَةً) و (اسْتَخَسَّهُ) عده خسيساً .

فإني في المعنى فقيراً ، لا أزال واقفاً على أبواب سادتي ، غير راغب في سيادتي ، ولا أتغير عن عاداتي ، ولا أقطع عنهم موداتي ، وأحامي عنهم بنفسي ، ولا أخاف رمسي^(١) ، أترد مراراً فأعود ، وأضرب ولست بالحقود ، فأنا الصَّاحِبُ الودود ، الباقي على حفظ العهود ، أقوم إذا كانت الخلائق^(٢) رقود وأصوم إذا رأيت الخِوَان^(٣) ممدود ، وليس لي مالٌ معدود ، ولا وقت موعود ، ولا سِمَاطٌ^(٤) ممدود ، ولا رباط معهود ، ولا مقام محمود ، إن أعطيت شكرت ، وإن مُنعت صبرت ، لا أرى في الأوقات شاكياً ، ولا على ما فات باكياً ، إن مرضت فلا أعاد^(٥) ، وإن متُّ فلا أحمل على أعواد ، وإن غبت فلا يقال : ليتهُ عاد ، وإن سافرت فلا أستصحب الزاد ، لا مالٌ لي يُورث ، ولا عقار يُخرث ، إن فقدت فلا يُكي عليّ ، وإن وُجدت فلا يُهشَّ^(٦) إليّ ، وإن مرضت فلا يُمشي إليّ ، وأنا مع ذلك أحوم حول جماهم ، وأدوم على ولاهم ، عاكف على مزابلهم ، قانع بطلّهم دون وابلهم ، فإن كانت صورتني ذميمة ، فإني قانع بلُقيمة^(٧) ، فإن أنت أعجبتك خِلالِي^(٨) ، فاتبع أحوالي ، وإن أردت وفاقي فتخلّق بأخلاقِي ، وقل : سبحان الباقي ، تصير إلى العُلا راقِي ، وفي ذلك أقول :

(١) رَمَسِي : (رَمَس) الميت : دفنه ، و (أَرَمَسَه) أيضاً ، و (الرَّمَس) تراب القبر ، و (المَرَمَسُ) موضع القبر .

(٢) الخلائق : (الخَلِيقَة) هم خليقة الله وهم خلق الله ، والجمع (الخلائق) .

(٣) الخِوَانُ - بالكسر - : الذي يؤكل عليه .

(٤) سِمَاط : (السَّمَط) الخيط مادام فيه الخرز وإلا فهو سلك ، و (السَّمَط) أيضاً واحد

(السَّموط) وهي السيور التي تعلق من السرج .

(٥) أعاد : (عُدْتُ) المريض أعُوذُه (عيادةً) بالكسر .

(٦) يُهش : (الهَشَاشَة) بالفتح : الارتياح والخفة للمعروف ، وقد (هَشَّ) به يَهشُّ بالفتح

(هَشَاشَةً) إذا خف إليه وارتاح له ، ورجلٌ (هَشَّ) وشيءٌ هَشَّ ، و (هَشِيشٌ) أي رخو لين .

(٧) لقيمة : تصغير لقمة ، يقال : (لَقِمَ) .

(٨) خِلالِي : (الخَلَّة) بالفتح : الخصلة .

أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدْرًا وَلَكِنْ
فَتَعَلَّمُ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي
أَحْفَظُ الْجَارَ فِي الْجَوَارِ وَدَأْبِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُشِيرٍ وَيُسْرِي
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا
لَا يَرَانِي إِلَهَ أَشْكُوا لَخَلْقِي
أَحْمِلُ الضِّيمَ مِنْهُ صَوْنًا لِسْرِي
فِيخَالِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي
لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْأَدْغَالِ (١)
وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَا بِحِبَالِي
أَنْ أُحَامِيَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
أَوْ سَقَتْنِي الْأَيَّامُ مَرَّ النَّكَالِ
إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
وَفِرَارًا مِنْ مَرَّ ذُلِّ السُّؤَالِ
فِي الْمَعَالِي يَفْقَنُ كُلَّ الْخِلَالِ

* * *

(١) الأدغال : (الدُّغْل) بفتحين : الفساد .

إِشَارَةُ الْجَمَلِ (*)

فنادانى الجمل حينئذٍ وقال : أيُّها الراغب فى السلوك ، المتأدب بآداب الملوك ، إن كنت تعلّمت من الكلب زهداً وفقراً ، فتعلّم منى جلدأً وصبراً ، فإنه من توسّد^(١) الفقر وجب عليه معانقته ، فإن الفقير الصابر هو المعدود من الأكابر ، وهو خير من الغنى الشاكر . ها أنا ذا أحمل الأحمال الثقّال ، وأقطع بها المراحل الطّوال ، وأكابد^(٢) الكلال^(٣) ، وأصبر على مُرّ

(*) الجمل : حيوان عظيم الجسم ، شديد الانقياد ، ينهض بالحمل الثقيل ويترك به ، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه كما فى البيت ، وهو يمشى بكل هذا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] . وربما تصبّر عن الماء عشرة أيام ، وإنما طولت رقبتة ليستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل ، وينال الأرض يرعى منها حالة قيامه لتكون الرقبة مناسبة للقوائم ، وليبلغ مشفره سائر جسده يحكه به . وجمع الجمل : جمال ، وأجمال ، وجمائل ، وجماليات . قال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات : ٣٣] . والجمل البازل ، أى الذى بلغ تسع سنين أو الجمل الجذع ، أى الذى بلغ خمس سنين يقع على الذكر والأنثى ، والجمل هو بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة . وصفات الجمل كثيرة ، منها :
* العوّجاء : أى الضامرة . قال الحطيئة :

فَمَا زَالَتْ الْعَوَّجَاءُ تَجْرَى طُفُورَهَا إِلَيْكَ ابْنُ شَمَاسٍ تَرْوُحُ وَتَغْتَدِي
* الحُزْجُوجُ : الضامرة ، وكذلك الْمُقْوَرَّةُ . قال سحيم :

فَقَرَّبْتُ نَفْسِي وَاجْتَنَبْتُ غَوَاتِي وَقَرَّبْتُ حُزْجُوجَ الْعَشِيَّةِ نَاجِيَا
وقال ديك الجن :

وَرُبَّ مَقْوَرَةٍ مُلْمَلَمَلَةٍ فِي غَارِضٍ لِلْحَمَامِ مُنْسَكِبٍ
* العيرانة : أى الصلبة . قال الشاعر بشامة بن القدير :

فَقَرَّبْتُ لِلرَّجُلِ عِيرَانَةً عَذَابُهَا عَنْتَرِيَا ذَمُولَا
مُدَاخِلَةُ الْخَلْقِ مَضْمُورَةٌ إِذَا أَخَذَ الْخَافِقَاتُ الْحَقِيلَا

(١) توسّد : استعار هذا التشبيه للدلالة على أن الفقر قد أصبح رفيقه وتحت رأسه كأنه مخدة ، يقال : (وَشَدُّهُ) الشيء (تَوْسِيداً فَتَوْسَدَهِ) إذا جعلته تحت رأسه .

(٢) أكابد : (كَابَدَ) الأمر قاسى شدته .

(٣) الكلال : (كَلَّ) الرجل ، والبعير من المشى يكلّ (كَلَّالًا) و (كَلَّالَةً) أيضاً : أى أعيا .

النكال^(١)، ولا يعتريني من ذلك ملال^(٢)، لا أصول صولة الإدلال^(٣)، بل أنقاد للطفل الصغير، ولو شئتُ استصعبت على الأمير الكبير، فأنا الذَّلُول^(٤)، وللأثقال حَمُول، لستُ بالخائن، ولا الغُلُول^(٥)، ولا الصَّائِل^(٦) عند الوُصول، ولا المائل عند القفول، أقطع في الوحول^(٧)، ما يعجز عنه الفحول، وأصابِر الظمأ في الهواجر^(٨) ولا أحول^(٩)، فإذا قضيت حق صاحبي، وبلغت مآربي^(١٠)، ألقىْتُ جبلي على غاربي^(١١)، وذهبت في البوادي،

- (١) النكال : (التكل) القيد ، وجمعه (أنكال) .
(٢) ملال : (مل) الشيء ومل من الشيء يَمَلّ بالفتح (مَلَلًا) و (مَلَّة) و (مَلَالَة) أيضاً : أى سئمه . و (استَمَلَّ) بمعنى ملّ ، ورجل (مَلَّ) و (مَلُولٌ) و (مَلُولَة) وذو (مَلَّة) وامرأة (مَلُولَة) .
(٣) الإدلال : الثقة ، يقال : فلان (يُدَلّ) بفلان : أى يثق به . قال أبو عبيد : (الدّل) قريب المعنى من الهذى وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك .
(٤) الذَّلُول : (الدَّلّ) بالكسر : اللين ، وهو ضد الصعوبة ، يقال : دابة (ذَلُول) بينة (الدَّلّ) من دواب (ذُلّ) و (أذَلّه) و (ذَلَّله تَذْلِيلًا) و (اسْتَذَلّه) كله بمعنى واحد .
(٥) الغُلُول : (الغِلّ) بالكسر : الغش والحقد أيضاً . وقد (غَلَّ) صدره يَغْلُ بالكسر (غَلًّا) إذا كان ذا غشٍّ أو ضغنٍ أو حقدٍ .
(٦) الصَّائِل : الوائب ، يقال : (صال) عليه اشتصال وصّال عليه وثب ، و (صَوَّلَة) أيضاً و (المُصَاوِلَة) الموائبة ، وكذلك (الصِّيَال) و (الصَّيَالَة) .
(٧) الوحول : (الوَحَل) بفتحتين : الطين الرقيق ، و (المَوْحَل) بفتح الحاء : المصدر وبكسرهما المكان ، ويقال : (وَحَلَّ) الرجل بالكسر يَوْحَل (وَحَلًّا) و (مَوْحَلًّا) أيضاً بفتح الحاء .
فيهما : أى وقع في الوحل .
(٨) الهواجر : (الهَاجِرَة) و (الهَاجِرُ) نصف النهار عند اشتداد الحر ، و (التَّهْجِير) ، و (التَّهْجِير) السير في الهاجرة .
(٩) أحول : (حَال) عن العهد تحول (حُوْلًا) انقلب ، و (حَال) إلى مكان آخر يَحُول (حُوْلًا) ، و (حَوَّلًا) بكسر الحاء وفتح الواو : أى تحول .
(١٠) مآربي : حاجتي ، يقال : (الإرب) الحاجة ، وكذا (الإِرْبَة) و (الأَرَب) بفتحتين و (المَأْرَبَة) بفتح الراء وضمها .
(١١) غاربي : (غَرَبْتُ) كل شيء حدّه ، و (الغارب) ما بين السنام إلى العنق ، ومنه قولهم : حَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ : أى اذهبي حيث شئتِ ، وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام ألقى على غاربها لأنها إذا رآته لم يهتها شيئاً .

أكتسب من المباح زادی ، فإن سمعت صوت حادی ، سلمت إليه قيادی ،
وواصلت فيه شهادی^(١) ، وطلّقت طيب رقادی ، ومددت إليه عنقي لبلوغ
مرادی ، فأنا إن ضللت فالدليل هادی ، وإن ذلّلت أخذ بيدي منّ إليه
انقيادی ، وإن ظمئت فذكر الحبيب مائي وزادی ، فأنا المسخر لكم بإشارة
﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴾^(٢) ،
فلم أزل بين رحلة ومقام ، حتّى أصل إلى ذلك المّقام ، وفي ذلك أقول :
يَا عَذُولِي^(٣) سَلِّمِ الْمَحَبَّ قِيَادِي ثُمَّ دَعْنِي فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِي
حُبُّهُ رَاحَتِي وَرَوْحَ حَيَاتِي وَكَذَا ذِكْرُهُ بَلَغِي وَزَادِي
فَإِذَا مَا ضَلَلْتُ أَوْ ضَلَّ رَكْبُ عَنْ حِمَاهُ فَوَجَّهْهُ لِي حَادِي
يَا عَذُولِي سَلِّمِ إِلَيَّ قِيَادِي ثُمَّ دَعْنِي فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِي
إِنْ تَلَمَّنِي أَوْ لَا تَلَمَّنِي فَإِنَّ حُبُّهُ مَذْهَبِي وَأَصْلُ اعْتِقَادِي

* * *

(١) سهادي : (الشهاد) الأرق ، و (سَهْدَه تَشْهِيدٌ) فهو (مُسْهَد) .

(٢) سورة النحل : الآية (٧) .

(٣) عذولي : (العذل) الملامة . وقد (عَذَلَهُ) والاسم (العذل) بفتحتين ، وقد (عَذَلَهُ

فاعتذل) أي لام نفسه وأعتب .

إِشَارَةُ الْفَرَسِ (*)

فقال الفرس : أئِثها الفقير الصابر ، الطالب سُئِلَ المفاخر والمآثر ، تعلّم
منى صدق الطلب ، وحسن الأدب لبلوغ الإرب^(١) ، ها أَنَا أحمل مُباهلى^(٢)
على كاهلى^(٣) ، فأجتهد به فى السير ، وأنطلق به مسرعاً كالطير ، أهجم
هجوم الليل ، وأقتحم اقتحام السيل ، فإن كان طالباً أدركَ بى طلبه ، وبلغ
بى أربه ، وإن كان مطلوباً قطعت عنه طالبة ، وجعلت أسباب الردى^(٤)
عنه مُحْتَجِبَةً ، فلا يُدرك منى إلا الغبار ، ولا يسمع عنى إلا الأخبار ، فإن
كان الجمل هو الصّابر المجرب ، فأنا المجتبى^(٥) المقرب ، وإن كان هو للقصد
لاحق ، فأنا المقرب السابق ، فإذا كان يوم اللقاء^(٦) قَدِمْتُ إقدام الوالِه^(٧) ،
وسبقت العدو مواقع نِياله^(٨) ، والجمل متخلف لثقل أحماله ، وهو مُعَاقٌّ
لنفيس ما فى رحاله ، ورأيت ثُمَّ حقوقاً لا يستوفيهما إلا كل مُوفٌّ ، وطريقاً

(*) الفرس : واحد الخيل ، والجمع أفراس . الذكر والأنثى فى ذلك سواء وأصله التأنيث ،
والذكر حصان ، وجمعه مُحْصَن ، وأهم ألوان الخيل : الأشقر ، والأشهب ، والأصفر ، والكميت .
قال عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - :

أَجْبُوا الخيل واضطَبِّروا عليها فَإِنَّ العِزَّ فيها والجَمَالَ
إِذَا ما الخيل ضيَعَهَا أناسٌ رَبَطْنَاهَا فَأَشْرَكَتِ العِيالَا
نَقَّاسِئُهَا التَّعِيشَةَ كُلَّ يَوْمٍ وَتَكَشَّرُوا البرَاقِعَ والجِلَالَ

- (١) الإرب : الحاجة .
(٢) مباهلى : (المُبَاهَلَةُ) الملاعنة . والمعنى : أى أحمل من دائماً يضربنى ويشتمنى .
(٣) كاهلى : (الكاهل) ما بين الكتفين .
(٤) الردى : الهلاك ، و (رَدَى) أى هلك ، و (أَرْدَاهُ) غيره : أى أهلكه غيره .
(٥) المجتبى : (اجْتَبَاه) اصطفاه .
(٦) يوم اللقاء : يوم المعركة والالتحام . (٧) الواله : العاشق .
(٨) نباله : (النَّبَل) السهام العربية ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وقد جمعوها على
(نِيَال) و (أَنْبَال) .

لا يبلغها إلا كلُّ مُخِفٍّ ، فلذلك شَمَّرت عن ساق ، وتضمَّرت^(١) ليوم
السباق ، وقل لمن أسكره الطيش فما أفاق ، وغرَّه العيش الذى قد راق :
ما عندكم ينفد وما عند الله باق^(٢) ، فيامن هو عن المراد مردود ، وفى
الطراد مطرود ، هلاً نظرت إلى الوجود وما فيه موجود ، وفهمت المقصود ،
وأقمت على نفسك الحدود ، وأوثقت جوارحك بالقيود ، وذكرت الأجل
المحدود ، وخشيت اليوم الموعود ، ها أنا لَمَّا أوثق سائقى قيدي ، أَمِنَ قائدى
كيدي ولكم أَكَلْ سائقى من صيدى ، وكم لى على سائقى من أيدي ،
أُوثِقت بِشِكالى^(٣) ، لكيلا أصول على أَشْكالى ، وأُخذت بعِنانى^(٤) ،
كيلا أنطلق إلى غير ما عَنانى ، وأُجِمت بلجامى ، كيلا يفسد على صيامى ،
وَأُزِمت بحزامى^(٥) ، كيلا أغفل عن قيامى ، وَأُنْعِلت^(٦) بالحديد أقدامى ،

(١) تضمّرت : (الضُّمَر) بسكون الميم وضمها : خفة اللحم . وقد (ضَمَرَ) الفرس ،
و (ضَمُرَ) أيضاً بالضم (ضُمُراً) فهو (ضَامِرٌ) فيهما و (أَضْمَرَهُ) صاحبه و (ضَمَّرَهُ) تضميراً
فأَضْمَرَ) هو وناقته (ضَامِرٌ) و (ضَامِرَةٌ) و (تَضْمِير) الفرس أيضاً : أن تعلقه حتى يسمن ثم ترده
إلى الفوت وذلك فى أربعين يوماً ، وهذه المدة تسمى (المِضْمَار) والموضع الذى تضرع فيه الخيل
أيضاً (مِضْمَارٌ) .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة النحل ، الآية (٩٦) : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴾ .

(٣) شكالى : (الشُّكَال) العِقال ، والجمع (شُكُلٌ) ، وفى الحديث : أن النبى ﷺ كره
الشكال فى الخيل ، وهو أن تكون ثلاث قوائم وواحدة مطلقة أو ثلاث قوائم مطلقة ورجل محجلة ،
ولا يكون الشكال إلا فى الرجل . والفرس (مَشْكُولٌ) وهو مكروه ، و (شَكْلٌ) البطائر والفرس
بالشُّكال .

(٤) عنانى : (العِنَان) للفرس اللجام ، وجمعه (أعِنَّة) .

(٥) حزامى : (حِزَام) الدابة والفرس ما يربط به رأسه وظهره وبطنه . وقد (حَزَمَ) الدابة ،
ومنه (حِزَام) الصبى الذى يربط به فى مهده .

(٦) أنْعِلت : (النَّعْل) الحذاء وهى مؤنثة وتصغيرها (نَعِيلَةٌ) نقول : (نَعَلَ) و (انْتَعَلَ) أى
احتذى ، ورجل (نَاعِلٌ) أى ذو نعلٍ ، و (أَنْعَلَ) خفه ودابته ، ولا يقال : نَعَلَ .

كيلا أكَل^(١) عن إقدامي ، فأنا الموعودُ بالنجاة ، المعدود لاكتساب المال والجاه ، المشدود للسلامة ، المقصود للكرامة ، وقد أجزل المنعم على إنعامه ، وأمضى بالعناية الأزلية أحكامه ، بأن الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة^(٢) ، خلقت من الريح ، وألهمت التقديس والتسبيح ، وما برح ظهري عزاً ، وبطني كنزاً ، وصُحبتى حرزاً^(٣) ، فكم ركضت في ميدان السباق وما أبديت عجزاً ، وكم ألبست من ملابس أهل الشقاق خزاً^(٤) ، وكم حَزَزْتُ رُؤوسَ أهل النِّفاق خَزاً ، وكم أخليت منهم الآفاق ، هل تحسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً^(٥) .

وفي ذلك أقول :

لَهُ صَدْرُ طَاوُوسٍ وَسَاقُ نَعَامَةٍ وَوَثْبَةٌ فَهْدٍ وَالتِّفَاقُ غَزَالٍ
وَأَحْسَنُ مِنْ خَيْلٍ تَشَدُّ بِأَرْجُلٍ نَخَطُ هِلَالٍ مِنْ وَرَاءِ هِلَالٍ
قلت أيضاً :

وَكَأَنَّمَا نَقَشَتْ حَوَافِرُ خَيْلِنَا لِلنَّاطِرِينَ أَهْلَةً فِي الْجِلْدِ
وَكَأَنَّ طَرَفَ الشَّمْسِ مَطْرُوفاً وَقَدْ جَعَلَ الْغُبَارُ لَهَا مَكَانَ الْإِثْمِ^(٦)

* * *

(١) أَكَلُ : (كَلَّ) الرجل والبعير من المشى يكلُ (كَلَّالاً) و (كَلَّالَةً) أيضاً : أى أعيا ، يقال : (أَكَلُ) الرجل بعيره أعياه .

(٢) فيه إشارة إلى الحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » رواه البخارى (٣٤/٤) ، ورواه الترمذى (١٦٣٦) ، ورواه الإمام أحمد (٤٩/٢) .

(٣) حرزاً : (الجزز) الموضع الحصين ، يقال : هذا (جِزْزٌ حَرِيزٌ) ويسمى التعويذ (جِزْزاً) و (اخْتَزَزَ) من كذا ، و (تَحَرَّزَ) منه : أى توقاه .

(٤) خَزاً : (الحَزُّ) واحد (الحُزُوز) نوع من الثياب .

(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة مريم ، الآية (٩٨) : ﴿ ... هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ .

(٦) الإِثْمِد : حجر يكتحل به .

إِشَارَةُ الْفَهْدِ (*)

فقال الفهد : تعلم منى حُسن الأنفة ، والأخلاق الصِّلفة^(١) ، فأنا لست فى الطلب كالفرس ، ولا كالأسد إذا افترس ، أنا لعلو همّتى ، وسمو عزيمتى ، أراقب مطلوبى ، وأجالس محبوبى ، وأراوغ صيدى بمراوغة كيدى ، فإن لم أدركه فى أول وثبة ، غضبت على نفسى غضبة وأى غضبة ، فيترضانى أهلى فلا أرضى ، ويصيرون لى فى التلطف أرضاً ، وما غضبى إلا من التقصير ، والساعد القصير ، فيجب على من استوثب نفسه على المكارم فنكصت^(٢) ، ودعاها إلى الكمال فنكصت ، أن يغضب عليها الأنيف ، ثم يعود إلى التوبة سريعاً ويستأنف ، ولا يرضى لها بالهمة

(*) الْفَهْدُ : حيوان من ذوات الثدي ، يستأنس ويمرن على الصيد على ما ينبغى ، وهذا ما يجعله أقرب شَبهاً بالكلب . قال الدميرى : مزاج الفهد كمزاج النمر ، وفى طبعه مشابهة لطبع الكلب ، ويضرب بالفهد المثل فى كثرة النوم ، وهو ثقیل الجثة يحطم ظهر الحيوان فى ركوبه ، ومن خلّقه الغضب ، وإذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك ، وتمتلىء رئتيه من الهواء الذى حبسه ، ومن خلقه أن يأنس لمن يحسن إليه ، والجمع : أفهد ، وفهود ، والأنثى فهدة ، والفهاد : صاحبه ومعلمه .

قال عبد الله بن المعتز :

ولا صَيْدٌ إِلَّا بِوُثَابَةٍ تَطِيرُ عَلَى أَرْبَعٍ كَالْعَذَبِ
وإنْ أُطْلِقَتْ مِنْ قِلَادَتِهَا وَطَارَ الْغُبَارُ وَحَدَّ الطَّلَبُ
فَزَوْبَعَةٌ مِنْ بَنَاتِ الرِّيَّاحِ تُرِيكَ عَلَى الْأَرْضِ شَدًّا عَجَبُ
تَضُمُّ الطَّرِيدَ إِلَى نَحْرِهَا كَضْمِ الْمُحِبِّ لِمَنْ قَدْ أَحَبُ
إذا مارأى عَذْوَهَا خَلْفَهُ تَنَاجَتْ ضَمَائِرُهُ بِالْعَطَبِ

(١) الصِّلفة : قال الخليل : (الصِّلَف) مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً ، فهو رجل (صَلِفٌ) وقد (تَصَلَّفَ) .

(٢) نَكَصَتْ : (النُّكُوص) الإحجام عن الشيء ، يقال : (نَكَصَ) على عقيبه : أى رجع .

الدنيّة^(١) ، ولا بالأحوال الرديّة^(٢) ، ولا يرضى عنها بتخليط النية ، ثم إن
 في لطيفة معنّى ، يفهمها من كان معنا ، وذلك أنه ربما اعترانى من التخليط
 سمنٌ ، فيغلب على شحمى ، وتثقلنى كثرة دمي ولحمى ، وتؤذيني تخمة
 البطنة ، وثقله السمنة ، فأخاف أن أطلب فأدرك ، وأن ألقى فأقتنص فى
 المعرك ، فترانى منفرداً عن أبناء جنسى ، مختبئاً فى خلوتى لإصلاح نفسى ،
 فأعالج نفسى بقطع المألوف ، وترك العادة ، وأذيب شحمى بالجوع الذى
 هو مخّ العبادة ، فإذا تمّت الحمية ، وصحت البنية ، وصفا جسدى من
 العفونة ، وبرئت نفسى من الرعونة ، خرجت من عشى ، وقد صفا كدر
 عيشى ، فحيثما انبسطت بسطت فرشى ، وحيثما شئت نصبت عرشى ،
 فإن كنت يا هذا من رجالى ، فجل فى مجالى ، واعتصم بحبالى ، واطمس
 رسمك برسمك البالى ولا تُبالى ، وفى ذلك أقول :

أَرَاكَ مُعَذِّبِي يَا نُورَ عَيْي	وَقَلْبِي فِيكَ قَدْ أَصْفَى الْوَدَادَا
فَإِنْ أَرْضَاكَ إِبْعَادِي وَطَرْدِي	عَلَى رَأْسِي وَلَوْ أَضْنَى الْفُؤَادَا
فَيَا لِلَّهِ مَا أَهْنَا مُحِبًّا	إِلَى أَحْبَابِهِ أَلْقَى الْقِيَادَا

* * *

(١) الدنية : (الدنيء) بالمد الخسيس الدون . وقد (دَنَأَ) يَدْنُو بالفتح فيهما (دَنَاءَةً) بالفتح
 والمد ، و (دَنُو) أيضاً من باب سهل ، و (الدنيئة) بالمد النقيصة . وقد سميت (الدنيا) لدنوها .
 (٢) الرديّة : (الرديء) بالمد الفاسد ، و (أَرْدَاهُ) أفسده .

إِشَارَةُ دُودَةِ الْقَزِّ (*)

ثم التفتُ فإذا دودة القزّ ممدودة ، وليست فى الجملة معدودة ، فقالت :
تالله ليست الرجولية بالصور والهيكل ، ولا الفحولية بترك المشارب
والماكُل ، كَلَّا ، ولا الإيثار ببذل الآثار ، وإنما الجواد من جاد بوجوده ،
ثم أثر بحياته ووجوده ، فإن كانت خصال الخير معدودة ، فأجملها مع
دودة ، أنا فى الدود كدودة^(١) ، ولأهل الودّ ودودة ، وأنا المتولدة ، من غير

(*) دودة القز : بيض دودة الحرير أو القز تكون فى حجم بزر التين ، فإذا جاء فصل الربيع
خرج من كل بيضة منها دودة ، فإذا خرج أطعم ورق التوت الأبيض فيكبر تدريجياً حتى يصير فى
حجم الأصبع ، ثم ينتقل من اللون الأسود إلى الأبيض رويداً رويداً فى مدة ستين يوماً ، ثم يأخذ فى
النسج على نفسه ، وما الخيوط التى يخرجها من فيه إلا مادة لزجة متى لامست الهواء جفت ،
فلا يزال يخرج تلك المادة ويحيلها إلى خيوط ويلفها حول نفسه حتى يصير كهيئة الجوزة ، فينحبس
فيها نحواً من عشرة أيام ، ثم ينقب تلك الجوزة ويخرج منها على هيئة فراش أبيض له جناحان
لا يسكنان من الاضطراب ، وعند خروجه يميل للتزاوج فيلصق الذكر ذنبه بذنب الأنثى ويلتحمان
مدة ثم يفترقان ، فتبيض الأنثى البيض الذى تقدم ذكره على خرق بيضاء تفرش قصياً ثم يموتان .
قال الشاعر :

وَيَبِيضُة تَحْضُنْ فِي يَوْمَيْنِ	حَتَّى إِذَا ذَبْتُ عَلَى رِجْلَيْنِ
وَأَسْتَبْدَلْتُ بِلَوْنِهَا لَوْنَيْنِ	حَاكْتُ لَهَا خَيْسًا بِلَا نِيرِنِ
بِلَا سَمَاءٍ وَبِلَا بَابِنِ	وَنَقِيتُهُ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ
فَخَرَجْتُ مَكْحُولَةً الْعَيْنَيْنِ	قَدْ صُبِغْتُ بِالنَّقْشِ حَاجِبَيْنِ
قَصِيرَةَ ضَيْلَةِ الْجَنْبَيْنِ	كَأَنَّهَا قَدْ قَطَعْتُ نِصْفَيْنِ
لَهَا جَنَاحٌ سَابِغُ الْبَزْدَيْنِ	مَا نَبَّأَ إِلَّا لِقُرْبِ الْحَيْنِ

إِنَّ الرُّدَى كُنْهْلٌ لِكُلِّ عَيْنِ

وقال آخر :

يُفْنَى الْحَرِيصُ لِمَجْعِ الْمَالِ مُدَّتِهِ	وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوُرَاثِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةِ الْقَزِّ مَا تَبْنِيهِ يُهْلِكُهَا	وغيرها بالذى تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

(١) كدودة : كثيرة الجدد والكدّ .

والد ، ولا والدة ، وتلك حالة على الأحوال زائدة ، أُؤخِّدُ في البداية كما يأخذ الزارع البذر ، فأحضن^(١) في جيوب النساء تارةً ، وفي حُجُور^(٢) الرجال تارة أخرى ؛ فإذا تَمَّت أيام حملي ، وأذنت القدرة بجمع شملي ، انفصل من ذلك الحمل نسلي ، وحصل من ذلك الفصل وصلي ، فأنظر في يوم ميلادي ، فلا أرى لي أباً ولا أمّاً ، ولا خالاً ، ولا عمّاً ، فتكتفني أيدي الرجال والنساء ، بالخدمة والتربية في الصباح والمساء ، فأحتمي عن تخاليط الأغذية المؤذية ، فلا أُطعم إلاَّ غذاءً واحداً ، فإذا تَمَّت أيام حولي ، وبدت قوّتي وصولي ، بادرت إلى شكر من أنعم عليّ ، ومكافأة من أحسن إليّ ، فأشرع فيما يصلح للإنسان قياماً بأمور ، هل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان^(٣) ، فأبتدر من غيري دعوى ، ولا إظهار شكوى ، فأنسج بإلهام التقدير ، ما يعجز عنه أهل التدبير ، فأصل من نسج لعابي ، ما أشكر عليه بعد ذهابي ، وأستخرج من صنعة صانعي ملابس تجمل اللابس ، ومحاسن تضحك العابس ، فالملوك تفتخر بخزّي ، والسلاطين ، تتبختر في أردية قزّي ، فبي تتجدد الملاعب^(٤) ، وبنسجي تتجمل الكواعب^(٥) ، فأنا أجمل المطارف^(٦) ، وأزهى الزخارف ، فإذا كافأت من أحسن إليّ ، وأدّيت ما وجب عليّ ، جعلت بيتي المنسوج قبرى ، ومن طيّبه نشرى^(٧) ، فأضيّق عليّ حبسى ،

(١) أحضن : (الحِضْن) ما دون الإبط إلى الكشح ، و (احتَضَنَ) الشيء جعله في حِضْنِهِ .
(٢) حُجُور : (الحُجْر) حضن الإنسان ، والهدف من حضانة البذر وضعه في حرارة ثابتة قريبة من حرارة جسم الإنسان .

(٣) فيه إشارة إلى قول الله تعالى في سورة الرحمن ، الآية (٦٠) : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ .

(٤) الملاعب : جمع مَلْعَبَة : ثوب بلا كمّ يلعب به الصبي .
(٥) الكواعب : (كَعَبَت) الجارية بدا ثديها للنهود ، فهي (كَعَابَت) بالفتح ، و (كاعبت) والجمع (كَوَاعِبُ) .

(٦) المَطَارِف : أردية من خزّ مربعة لها أعلام ، وأصله بالضم ، و (اسْتَطَرَفَه) عده طريفاً .
(٧) نشرى : (نَشَرَ) الميت فهو (نَاشِئٌ) عاش بعد الموت ، ومنه يوم (النُّشُور) ، و (أنشَرَه) الله تعالى : أحياه .

وأهلك نفسى بنفسى ، وأمضى إلى ربى كما مضى أمسى ، ثم لم أثبت إلا أياماً قلائل ، حتى أخرج فى صورة طائر ، ليعلم كل معتبر أن الله على كل شىء قادر ، ويعلم بحالى صورة البعث والنشور ، وأن الله يبعث من فى القبور ، فأنا الذى أجود بخيرى ، وأهلك نفسى بنفع غيرى ، ثم من مدام^(١) هذه الدار ، المجدولة على الأكدار ، أننى ابتليت بحسد الجار ، وقد اعتدى على ظلماً وجار ، هذه العنكبوت الضعيفة السقيمة المخصوصة بأوهن البيوت ، تجاورنى وتجاورنى ، تقول لى نسج ولك نسج ، فأمرى وأمرى مزيج ، ونحن سواء فى الحرف ، ولا فخر لك على ولا شرف ، فقلت لها : ويحك ، لا سواء بيننا ، هذا نسيجك شبكة للذباب ، ومجمع للتراب ، ونسجى زينة الكواعب الأتراب^(٢) ، ويحك أما أنت الذى نطق بوهنك الكتاب فى الأزل^(٣) ، وضرب بضعفك المثل ، وأين التكحل ، من الكحل ، وفى ذلك أقول :

إِنِّى نَسَجْتُ الْقَزَّ مِنْ لَعَابِ	سِرُّ الْإِلَهِ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ
يَا مَنْ أَتَى مَقْلَداً فَعَالِنَا	هَلْ تَسْتَطِيعُ مَلْبَسَ الْأَثْوَابِ ؟
مَنْ لَا يَكُونُ نَافِعاً لِغَيْرِهِ	فَهُوَ الَّذِى فِيمَا ادَّعَى كَذَابِ

* * *

(١) مَدام : (الذَّم) ضد المدح . وقد (ذَمَّه) فهو (ذَمِيم) ، و (أذَمَّ) الرجل أتى بما يذم عليه ، والبخل (مَذْمُومٌ) بفتح الذال : أى ما يذم عليه وهو ضد المحمودة .
(٢) الأَثْرَاب : (التَّوْب) بالكسر : اللدة المتماثل ، وجمعه (أثراب) .
(٣) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة العنكبوت ، الآية (٤١) : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

إِشَارَةُ الْعَنْكَبُوتِ (*)

قالت العنكبوت : لئن كان بيتي أوهن البيوت ، وحبلى كما زعمت مبتوت ، فإن فضلى عليك فى سجلّ الكتاب مثبت ، فأما أنا فما لأحد على منة^(١) ، ولا لأم على حنة ، أنا من حين أولد ، أنسج لنفسي فى جميع الأوقات ، فأسلم من منة الآباء ، وحنة الأمهات ، فأول ما أقصد زاوية بيت ، وإن كان خراباً فهو أحسن مأوى ، فأقصد الزوايا ، لما فيها من الخبايا ، ولما فى سرّها من النكت والخفايا ، فألقى لعابى على حافتها ، حذراً من الخلطة وآفاتهما ، ثم أفرد من طاقات غزلى خيطاً دقيقاً رقيقاً منكساً فى

(*) العنكبوت : حشرة معروفة ذكورها أصغر أجساداً من إناثها ، وهى أكلة اللحم ، فإذا انقضت على فريستها نفثت فيها سماً يوقف حركاتها ، فلا تستطيع الدفاع عن نفسها ، وهى تبيض بيوضاً تخرج منه صغارها بشكلها النهائى ، أى أنها لا تتشكل فى أطوار متعاقبة كبعض الحشرات ، وهى تغتذى من الحشرات التى تصطادها بالشبكة التى تمدها على جدران البيوت ، فتصنع تلك الشبكة من مادة تفرزها لها غدد فى باطنها محتوية على سائل لزج تخرجه من فتحة صغيرة فيتجدد بمجرد ملامسته للهواء ويصير خيطاً فى غاية الدقة .

والعنكبوت على وزن (فَعْلَلْتُ) واحدة العناكب ، وكنية ذكر العناكب : أبوخيثمة ، وأبو قشعم ، والأنثى أم قشعم . وقد ورد فى الأمثال : أغزل من العنكبوت ، أوهى من بيت العنكبوت (يضرب به المثل فى الوهن والضعف) .

قال جرير :

تَبْدُو قَتْبُودِي جَمَالاً زَانَهُ خَفِرَ إِذَا تَزَاوَزَتْ السُّودُ الْعَنَّاكِبُ

وقال أحد الشعراء فى ذم الدنيا :

إِنَّمَا الدُّنْيَا عَنَاءٌ لَيْسَ لِلدُّنْيَا ثُبُوتٌ

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٌ نَسَجَتْهُ الْعَنْكَبُوتُ

(١) منة : (مَنْ) عليه أنعم ، و (المَنَّان) من أسماء الله تعالى ، و (مَنْ) عليه : أى (ائْتَنَنْ)

عليه ، و (منة) أيضاً يقال : المنة تهدم الصنعة ، ورجل (مئونة) كثير (الامتنان) .

الهواء ، فأتعلق به مسبلاً يديّ ، ممسكاً برجلي ، فيظن الغرّ (١) بتلك الحالة ،
أننى ميّت لا محالة ، فتمرّ الذبابة بى فأختطفها بحبائل كيدى ، فأودعها
شبكة صيدى ، فإن كان لك الفخار ، فيما تنسجينه من زخارف هذه الدار ،
فأين كنت منى ليلة الغار ، وأنا أستر النبى المختار ، وأصدّ عنه صناديد
الكُفّار ، وأردّ عنه ما لا يرده المهاجرون والأنصار ، فلىّ عليك الشرف
والفخار مذ حجبْتُ عنه الأبصار ، وكذلك رفيقه أبو بكر شيخ الوقار ،
وكذلك صاحب ذى الفقّار (٢) ، الذى فداه بنفسه فى الدار (٣) ، فأنت أيها
الغرّار ، الذى هو بزخرفه غرّار ، إنما جعلت زينة للنساء الناقصات العقول ،
ولللصبيان الذين لم يدركوا معقول ، وقد حُرّمت على الرجال الفحول ،
فمالك فى الحقيقة محصول ، ولا إلى الطريقة وصول ، وفى ذلك أقول :

أَيُّهَا الْمُعْجَبُ فَخْرًا	بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا مَحَلٌّ	لِقِيَامٍ وَقُنُوتِ
وَعَدًا تَنْزِلُ لَحْدًا	ضَيْقًا بَعْدَ التُّخُوتِ
بَيْنَ أَقْوَامٍ سُكُوتِ	نَاطِقَاتٍ فِي الصُّمُوتِ
فَاتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا	مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ
وَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِشُوبِ	وَمِنْ الْعَيْشِ بِقُوتِ
ثُمَّ قُلْ : يَا نَفْسُ هَذَا	بَيْتُ مَثْوَاكِ فَمُوتِ

* * *

(١) الغرّ : رجل (غرّ) بالكسر ، و (غرير) أى غير مجرب ، وجارية (غيرة) ، و (غريزة) .
وقد (غرّ) يَغِرُّ بالكسر (غَرَارَةً) بالفتح والاسم (الغيرة) بالكسر ، والغيرة أيضاً العُقلة ، و (الغار)
بالتشديد الغافل .

(٢) ذو الفقار : اسم سيف النبى ﷺ ، ويقصد بصاحبه : الإمام علىّ - كرم الله وجهه - .

(٣) فيه إشارة إلى ما حدث ليلة هجرة الحبيب المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة ، حين اختفى

داخل المغارة .

إِشَارَةُ النَّمْلَةِ (*)

فبينما أنا مترددٌ بين هذه الإشارات ، متفهم لهذه العبارات ، إذ حانت منى التفاتة ساهى^(١) ، متفكر في الأحوال ما هى ، إذ رأيت نملة تتخير لنفسها المسالك ، وتتوقى في خطراتها المهالك ، فنادتنى النملة : إذا رماك الدهر بمرمى ، فَنَمْ له ، وإذا رأيت من تهيئاً للسير فسر قبله ، ولا تكن في تدبير عيشك أبله^(٢) ، تعلم منى قوة الاستعداد ، وتحصيل الزاد ليوم المعاد ، انظر إلى عزّة عزمى ، وصحة حزمى ، وتأمل كيف شدّت يدُ القدرة

(*) النمل : من الحيوانات التى تعيش مجتمعة تتعاون فى شؤون حياتها ، وتتساعد فى أمور بقائها ، فهى أمم وشعوب كأمم وشعوب البشر ، لها نظام كمنظوماته ، وهى من أعجب الحيوانات وأدعاهما للتأمل .

وهو معروف بحرصه على جمع الغذاء ، يتخذ قرى تحت الأرض فيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء .

والنمل واحدته نَمْلَةٌ والجمع نِمال . وسميت النملة لتنملها ، وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها . كنيته : أبو مشغول .

ومما جاء عنها فى الأمثال : أجمع من نملة ، وأكسب من نملة .
قال عبيد الله بن أحمد الميكالى :

أَرْضٌ مِنْ دُنْيَاكَ بِالْقَوِيَّةِ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا
فَهَلَاكَ النَّمْلُ أَنْ يُكْسَى جَنَاحًا فَيَطِيرًا

وقال تاج الدين اليمنى فى منزل لأحد الشعراء كثير النمل :

مَالِي أَرَى مَنْزِلَ الْمَوْلَى الْأَدِيبِ بِهِ نَمْلٌ تَجْمَعُ فِي أَرْجَائِهِ زُمْرًا
فَقَالَ : لَا تَعْجَبَنَّ مِنْ نَمْلٍ مَنَزِلَنَا فَالنَّمْلُ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَّبِعَ الشُّعْرَا

(١) ساهى : (السَّهْوُ) الغفلة . وقد (سَهَا) عن الشيء ، فهو (سَاهٍ) ، و (سَهْوَانٌ) .

(٢) أبله : رجل (أبله) بين (البَلَه) ، و (البَلَاهَة) وهو الذى غلبت عليه سلامة الصدر ،

والمرأة (بَلْهَاء) ، وفى الحديث : « أكثر أهل الجنة البُلَه » يعنى البله فى أمر الدنيا لقلة اهتمامهم بها

وهم أكياس فى أمر الآخرة . هذا هو معنى كلمة (أبله) ولكن الناس أطلقوا كلمة (أبله) على الذى به تخلف فى عقله أو عبط .

للخدمة وسطى فاغتننى عن حَلَى وَرَبْطَى ، فأول ما فتحت عيني من فراش
العدم ، رأيتنى قائمة على باب القَدَم ، قد خَصرت يد اللطافة تُخصرى ،
لأكون من جملة الخَدَم ، ثم كُلفتُ جمع المؤونة لتيسير المعونة ، ثم
أُعطيت قوة الشِّمَّة ، من الأماكن البعيدة ، فأدركت بالشَّم من بُعد الفَراسِخ
ما لم يدركه ذو العلم الرَّاسخ ، ثم أُلهمت بالتقدير حُسن التدبير ، فأدبُر
ما أحصله من الحبِّ لقوتى وأجمعه فى بيوتى ، فيلهمنى فالق الحبِّ
والنوى^(١) ، أن أفلق الحبَّة نصفين بالسَّوَا ، فإن كانت الحبَّة كزبرة ، فلها
عندى حكمة مدبرة ، وهو أن أفلقها أربع فلق بقوة رب الفلق ، لأنى إذا
فلقتها نصفين بالسوا نبتت ، وإذا فلقتها أربعاً انقطعت ، فإن خفت على
الحب فى الشتاء عفن الأرض وغلبة الرطوبة المحض أخرجته فى يوم شامس ،
لتجففه الشمس بحرّها ، فلم يزل هذا شعارى ، وذلك دأبى بين أترابى ،
وأنت تعتقده فى نقصاً ، وانهماكاً على الدنيا وحرصاً ، كلاً والله لو علمت
حقيقة أمرى لأشعت بين العالمين ذكرى ، ولأقمت فى ذلك عذرى ،
وارتفع عندك قدرى ، اعلم أن لله جنوداً لا يعلمها إلا هو^(٢) ، فجيوش
النمل تحت الأرض ، لا يحصرون بطول ولا عرض ، كلهم قائمون فى
طاعة الله ، متوكلون عليه لا يتكلون على غيره ، ولا يلتفتون إلى سواه ،
فيقوم منهم من يريد أن يقوم عليهن ، فيستأذنهن تذلاً أن يأذن له تفضلاً ،
ليذهب فى تحصيل قوتهن ، إذ هنّ متكلات على الله فى بيوتهن ، فإن أذن
لواحدة منهن خرجت بلا خلاف ، مبايعة نفسها على التلاف ، تنشُد
بلسان حالها عند ارتحالها :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ إِنِّى مُودِّعٌ وَعَيْنَاى مِنْ خَوْفِ التَّفَرِّقِ تَدَمُّعٌ

(١) النوى : الذى هو جمع (نواة) التمر ، فهو يذكر ويؤنث ، وجمعه (أنواء) .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة المدثر ، الآية (٣١) : ﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ

إِلَّا هُوَ ... ﴾ .

فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مِتْنَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا جَامِعٌ وَمَفْرُقٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاجِلٌ وَمُودُّعٌ

فتجتهد في سيرها ، وتحصل خيرها لنفع غيرها ، متعرضة للهلاك ،
ومصايد الأشرار ، فإما أن تهلك عطشاً أو جوعاً ، وإما أن تقع في مغارة
لا تستطيع رجوعاً ، وإما أن تطأها دابة ، أو تخطفها ذبابة ، أو يقتنصها طائر ،
أو يدوسها حيوان سائر ، فمننا من يموت على الإخلاص ، ومننا من يُقدَّر لها
الإخلاص ، فتعود إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر^(١) ، فثُلثى ما معها بين أيديهم ، وتقسم عليهم من
غير خصوص ، ولا حظ منقوص ، فهذه صفات أهل الخصوص ، فإن كنت
بالقبول مخصص ، فأنت التائب بالخصوص ، وإن كان جناح عزمك عن
العمل مقصوص ، فمالك في ديوان السابقين نصوص .

قال : فلما رأيت ما رأيت ، ووعيت ما وعيت ، وعلمت أن الكل من
عنده ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده^(٢) ، وإن من كان له حسن فكرة ،
كان له في كل نظرة عبرة ، فأياك والفترة^(٣) ، فما بعد النصيح إلا ذلة
الحسرة ، وفي ذلك أقول :

اقنَعِ بِبَيْسِيرِ الْعَيْشِ مَعَ بَقْلَةٍ^(٤) فَلَيْسَ يَنْسَى رَبُّكَ النَّمْلَةَ
إِنْ أَقْبَلَ الدَّهْرُ قُمْ قَائِماً وَإِنْ تَوَلَّى مُذْهِراً نَمَ

وفي ذلك أقول أيضاً :

تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ وَكُنْ حَلِيماً لَعَلَّكَ أَنْ تَشُمَّ لَهَا نَسِيماً

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب ، الآية (٢٣) .

(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء ، الآية (٤٤) .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف .

(٤) بقلة : (البَقْلُ) معروف . الواحدة (بَقْلَةٌ) ، والبقلة أيضاً : الرجلة ، وهي البقلة الحمقاء .

و (المَبْقَلَةُ) موضع البقل ، وقيل : كل نبات اخضرت له الأرض ، فهو (بَقْلٌ) .

وَصَاحِبُهُمْ لَعَلَّكَ تَسْتَقِيمَا
وَزَا حِمُّهُمْ وَخَيْمٌ فِي حِمَاهُمْ
فَمَا كُلُّ الرِّجَالِ لَهُ مَكَانٌ
وَبِالْبَابِ الشَّرِيفِ فَقِفْ وَلَا زِمْ
وَقُمْ لِحَنَابِ رَبِّكَ كُلَّ وَقْتٍ
وَقُمْ تَحْتَ الظُّلَامِ لَهُ مُنَاجٍ
وَأَفْلَاكِ وَأَمْلَاكِ وَمُلْكَا
وَرَبِّ فِي أَحَبَّتِهِ تَجَلَّا
وَحَيَّاهُمْ وَأَشَقَّاهُمْ سَمِيرًا
فَمَا بِزُجَاجَةٍ شَرِبُوهُ صَافٍ
وَمَا طَبِخَتْ بِنَارٍ وَإِنَاءٍ
وَلَيْسَ لَهَا أَبٌ تَعْزَى إِلَيْهِ
فَسَلِّ رَبِّ السَّمَاءِ يَسْقِيكَ مِنْهَا
وَإِنْ تَكُ طَالِبًا لَا شَكَّ فَاجْعَلْ

عَسَى رَجُلٌ يَكُونُ الْخَيْرُ فِيهِ
فَتَصْبَحُ مِنْ تَأْنِسِهِ نَدِيمَا
وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ يَكُونُ حَكِيمَا
وَقُوفَكَ فِيهِ كَيْ يُزَاعِيَ خَدِيمَا
فَهَذَا الرَّبُّ لَمْ يَبْرُخْ رَحِيمَا
بِإِخْلَاصٍ تَرَى مَلِكًا عَظِيمًا
وَوَقْتَ لَا تَرَى فِيهِ حَمِيمًا
فَأَهْدَاهُمْ وَأَعْطَاهُمْ نَعِيمًا
بِكَأْسِ الْأُنْسِ مَشْرُوبًا قَدِيمًا
وَلَيْسَ مَرَامُهُمْ شَيْئًا ذَمِيمًا
وَلَا عَصَتْ وَلَا ذَاقَتْ أَلِيمَا
وَلَا أُمٌّ وَلَا تَلِدُ عَقِيمًا
بِكَأْسٍ كَيْ تَكُونَ لَهُ قَسِيمَا
وَسَيَلَّتْكَ النَّبِيُّ الْهَادِي الْأَمِينَا^(١)

* * *

(١) في هذا توسل بحضرة النبي ﷺ وفيه خلاف بين العلماء يُطلب في مظانه (المصحح) .

إِشَارَةُ الْعَنْقَاءِ

قال الشيخ قدّس الله روحه ، ونور ضريحه : فى إشارة ضرب الأمثال لكم البشارة يا أهل الإشارة ، إن فهتم رمز هذه العبارة ، فأنصتوا لضرب الأمثال المستعارة ، فالمعانى لمن عُنيَتْ ولكن الحديث لكى يا كُنَّة^(١) فاسمعى يا جاره :

اجتمع الطيور وقالوا : لا بدّ لنا من ملك نعرف له ونُعرفُ به ، فهلّمّوا ننتلق فى طلبه ، ونعتصم بحبله ، ونعيش فى ظلّه ، فقد بلغنا أن فى جزائر البحر عَنقَاءَ مُغْرِب ، ينفذ حكمه فى المشرق والمغرب ، فهلّمّوا ننتلق إليه ، متكلين عليه .

فقليل لهم : إن البحر عميق ، والطريق مضيق ، والسبيل سحيق ، وبين أيديكم جبال شاهقة ، وبحار مُغرقة ، ونيران مُحرقة ، ولا سبيل لكم إلى الاتصال ، ولو تقطّعت بكم الأوصال ، فاقعدوا فى أوكاركم ، واعترفوا بإنكاركم ، فإن العجز من شأنكم ، والملك غنى عنكم ، وإن الله لغنى عن العالمين^(٢) ، أما سمعتم صائح الحذر يصيح ويُحذّرُكم الله نفسه^(٣) ، قالوا : صدق ولكن منادى القدر ينادى ففرّوا إلى الله^(٤) .

فطاروا بأجنحة يتفكرون فى سبيل عدلٍ ، إن أخذوا ذات اليمين أخذتهم برودة الرجا ، وإن عدلوا ذات الشمال أحرقتهم حرارة الجوى^(٥) ، فهم بين

(١) كُنَّة : الشئ نهائيه ، يقال : أعرفه كنه المعرفة .

(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة العنكبوت ، الآية (٦) .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران ، الآيات (٢٨ - ٣٠) .

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الذاريات ، الآية (٥٠) .

(٥) الجَوَى : الحرقه وشدة الوجد .

سباق ، ولحاق ، ومحاق^(١) ، واحتراق ، وتلاش ، وافتراق ، واستغراق ، حتى وصل منهم من وصل إلى جزيرة الملك ، قد سقط ريشه ، وتكدر عيشه ، وتضاعف نحوله ، وتزايد ذبوله ، وصلوا إليه خماصاً^(٢) ، بعد أن كانوا بطاناً .

فلما نظروا إلى جزيرة الملك ، وفيها ما تشتهى الأنفس ، وتلد الأعين^(٣) ، فمن كان همته في المأكول والمشرب ، قيل لهم : كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية^(٤) ، ومن كان همته في الملابس والنفائس ، قيل لهم : يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين^(٥) ، ومن كان همته التمتع بالعرائس ، قيل لهم كذلك وزوجناهم بحور عين^(٦) .

فأما أهل الأنفة قالوا : سبحانك اللهم وبحمدك ، إذا كان ثمَّ اشتغال بمأكول ومشروب ، فمتى يتفرغ المحب للمحبوب ، ومتى ينال الطالب شرف المطلوب ؟ فالدون^(٧) كلَّ الدون ، من رضى بصفقة المغبون^(٨) ، نحن لا نريد إلاَّ الملك ، الذي خرجنا من أجله على المحاجر^(٩) ، وقطعنا كل

(١) محاق : (مَحَقَهُ) أبطله ومحاه ، و (مَحَقَهُ) الله ذهب بيركته .

(٢) خماصاً : (الْخَمَصَةُ) بالفتح : الجوعة ، يقال : ليس للبطنة خيرٌ من (خَمَصَةٍ) تَتَبُّعُهَا . و (الْمَخْمَصَةُ) المجاعة ، وهى مصدر كالمغضبة والمعتبة . وقد (خَمَصَهُ) الجوع ، و (مَخْمَصَةٌ) أيضاً .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الزخرف ، الآية (٧١) .

(٤) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الحاقة ، الآية (٢٤) : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ .

(٥) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الدخان ، الآية (٥٣) : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ .

(٦) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الدخان ، الآية (٥٤) : ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ .

(٧) الدُّونُ : الحقير . قال الشاعر :

إذا ما غلّا المرءُ رامَ العَلَا
ويقنعُ بالدُّونِ من كان دُونَا

(٨) المغبون : (غَبَنَهُ) فى البيع : خدعه . وقد (غَبِنَ) فهو (مَغْبُون) ، ويقال أيضاً :

(غَبِنَ) رأيه إذا نقصه فهو (غَبِيْنٌ) أى ضعيف الرأى .

(٩) المحاجر : العيون ، وهى جمع (مَحَجَر) أى العين .

حاجر ، وصابرنا ظماء الهواجر^(١) ، كيف يقول ومن يخرج من بيته مهاجر^(٢) ، ثم يشتغل بالملابس والمفاخر ، فهو الذى لا إله إلا هو ، ولا نريد إلا هو .

فقال لهم الملك : فلأى شىء جئتم ؟ وبأى شىء أتيتم ؟

قالوا : أتيناك بذلة العبيد ، وإنك لتفعل ما تريد .

فقال لهم : ارجعوا من حيث أتيتم ، أنا الملك إن شئتم أو أبيتم ، وإن الله لغنى عنكم .

قالوا : هو الغنى ونحن الفقراء إليه ، وهو القوى ونحن الضعفاء لديه ، فبأى قوة نرجع وقد ذهب قوانا ، وتحملت عُرانا^(٣) ، واضمحل^(٤) وجودنا مما عرانا ؟

فقال لهم الملك : إذا صحّ افتقاركم ، وثبت عندى انكساركم ، فعلى جباركم^(٥) ، اذهبوا فداووا العليل فى ظلّ الظليل ، وقيلوا فى خير مستقر وأحسن مقيل^(٦) ، فمن استولت عليه حرارة الشوق فليشرب من كأس كان مزاجها كافورا ، ومن غلبت عليه برودة الرجا فليشرب من كأس كان مزاجها زنجبيلا ، ثم يقال للعاشق : أشرب من عين تسمى سلسبيلا ، فإذا تمت الحمية ، وحلّت البغية ، فقدموا العليل إلى طبيبه ، وقربوا المحبّ إلى حبيبه ، فلقاهم زرع وسرورا ، ونقاهم فسقاهم شراباً طهورا^(٧) ، فسكروا

(١) الهواجر : (الهَجْر) بالفتح ، و (الهَاجِرَة) ، و (الهَجِير) نصف النهار عند اشتداد الحرارة ، و (التهجير) ، و (التَّهْجُر) السير فى الهاجرة .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة النساء ، الآية (١٠٠) : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ... ﴾ .

(٣) عرانا : قوانا . (٤) اضمحل : الشىء ذهب .

(٥) جباركم : (الجبر) أن تغنى الرجل من فقر أو تصلح عظمه من كسر . و (جَبَر) الله فلاناً (فاجتبر) أى سد مفاقره .

(٦) مقيل : (القائلة) الظهيرة ، يقال : أتانا عند القائلة . وقد يكون بمعنى (القيلولة) أيضاً ، وهى النوم فى الظهيرة .

(٧) الجمل السابقة فيها إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإنسان من الآيات (٥ ، ١٧ ، ١٨ ،

فغنى لهم فطربوا ، ثم استزاروا فزاروا ، ثم استجيبوا فطاروا بأجنحة الأنس ،
 فإذا هم فى حضرة القدس ، فسقطوا ليلتقطوا حبة المحبة ، فى مقعد صدق
 عند ملك مقتدر^(١) ، فحوصلوا حين حصّلوا ، واتّصلوا حين وصلوا ،
 فنظروا فإذا الحجب قد رُفعت ، والأكواب قد وُضعت ، والأحباب قد
 جُمعت ، فقل لأُذنٍ قد سمعت :

يا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامَ الرِّضَا رَجَعْتَ وَهَذِهِ الدَّارُ بِالْأَحْبَابِ قَدْ جَمَعْتَ
 أَمَا تَرَى نَسَمَاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَقَتْ أَنْفَاسُهَا وَبُرُوقُ الْبَرْقِ قَدْ لَمَعَتْ
 فَعِشْ هَنِيئاً بَوْصِلٍ غَيْرِ مُتَفَصِّلٍ مِمَّنْ تَحَبَّ فَحُجِبَ الْهَجْرُ قَدْ رُفِعَتْ
 وَاَنْظُرْ جَمَالَ الذِّى مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ قُلُوبُ عُشَّاقِهِ مِنْ حَبِّهِ انْصَدَعَتْ

* * *

تم الكتاب^(٢) بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، على يد الفقير محمد
 ابن يحيى الربحاوى ، يوم السبت فى العشر الأخير من شهر ذى القعدة من
 شهور سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه ،
 ولجميع المسلمين .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القمر ، الآية (٥٥) .
 (٢) ما أثبتته فى المتن فى نهاية نسخة مكتبة دار الكتب المصرية .
 * أما نهاية نسخة مكتبة الشيخ نجم فقد ورد كالاتى : تم كتاب كشف الأسرار فى لغة الطيور
 والأزهار وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين ، وذلك على
 يد الفقير يوسف بن خضر الشربيني غفر الله له ولوالديه أمين أمين .
 * وأما نهاية نسخة مكتبة طلعت فقد وردت كالاتى : وكان الفراغ من كتابته فى يوم الأربعاء
 سابع عشر شوال الخير من شهور سنة إحدى عشر ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
 الصلاة والسلام ، على يد كاتبه العبد الفانى محمد محبى الدين إمام زاوية سيدى عبد الوهاب
 الشعرانى .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أحلى الكلام فيما قيل في الحمام : إبراهيم بن عبد الله الحازمي - دار الشريف للنشر والتوزيع بالرياض - الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ .
- أناشيد الطبيعة : على النيفر - الدار العربية للكتاب سنة ١٩٨٣ م .
- تبارك الرحمن : شعر حسن البحيري - دار الفكر بدمشق - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ م .
- حياة الحيوان : للإمام الدميري .
- الحيوان : للجاحظ - مصطفى الباي الحلبي - الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠ م .
- الحيوان في الأدب العربي : شاكر هادي شاكر - عالم الكتب سنة ١٩٨٥ م .
- دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدى - دار المعرفة - بيروت سنة ١٩٧١ م .
- عجائب المخلوقات : القزويني - دار التحرير للطبع والنشر سنة ١٩٦١ م .
- القاموس المحيط : الفيروزآبادي - المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٣٠ هـ .
- القرآن وعالم الحيوان : الدكتور عبد الرحمن محمد حامد - الدار السودانية للكتب .
- كفاية المتحفظ في اللغة : لابن الأجدابي ، تحقيق السائح علي حسين - دار اقرأ للطباعة والنشر - طرابلس - ليبيا .

- المحب والمحجوب والمشموم والمشروب : كتاب المشموم - السرى بن أحمد الرفاء - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- مختار الصحاح : عبد القادر الرازى - المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٣ م .

* * *

فَهْرُسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المحقق
٩	ترجمة المؤلف
١٣	هذا الكتاب
١٥	صحة النسب
١٦	النسخ الخطية للكتاب
١٧	وصف النسخ الخطية
١٨	عملى فى الكتاب
١٩	صور ضوئية من المخطوطات
٤١	مقدمة المصنف
٤٧	إشارة النسيم
٥٠	إشارة الورد
٥٢	إشارة المرسين
٥٤	إشارة البان
٥٧	إشارة النرجس
٥٩	إشارة اللينوفر
٦١	إشارة البنفسج
٦٣	إشارة المنثور
٦٥	إشارة الياسمين
٦٦	إشارة الريحان
٦٧	إشارة الأقحوان

٦٩	إشارة الخزامى
٧١	إشارة الشقيق
٧٣	إشارة السحاب
٧٥	إشارة الهزار
٧٦	إشارة الباز
٧٨	إشارة الحمامة
٨٠	إشارة الخطاف
٨٢	إشارة البوم
٨٤	إشارة الطاووس
٨٧	إشارة الدرہ
٨٩	إشارة الخفاش
٩٢	إشارة الديك
٩٥	إشارة البط
٩٧	إشارة النحلة
٩٩	إشارة الشمع
١٠١	إشارة الفراش
١٠٢	إشارة الفراش مع الشمع
١٠٣	إشارة النار
١٠٤	إشارة الغراب
١٠٨	إشارة الهدهد
١١٢	إشارة الكلب
١١٥	إشارة الجمل
١١٨	إشارة الفرس

الموضوع .	الصفحة
إشارة الفهد	١٢١
إشارة دودة القز	١٢٣
إشارة العنكبوت	١٢٦
إشارة النملة	١٢٨
إشارة العنقاء	١٣٢
المصادر والمراجع	١٣٧
فهرس الموضوعات	١٣٩

* * *